

جامعة الجزائر 2  
-أبو القاسم سعد الله-  
معهد الترجمة

ترجمة الخطاب المضاد في النص القرآني في ضوء النظريات التواصلية للترجمة والنظريات  
المعاصرة لتحليل الخطاب  
-دراسة تحليلية مقارنة لترجمتين للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية-

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة  
تخصص: الترجمة و الدراسات اللغوية  
الفرع: عربي-فرنسي

الاسم و اللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
خميسة علوي	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2	رئيسا
سهيلة مريبي	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2	مقرا
فاطمة علوي	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
دليلة خليفي	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
مليكة باشا	أستاذة محاضرة أ	جامعة غليزان	عضوا مناقشا
سفيان جفال	أستاذ محاضر أ	جامعة معسكر	عضوا مناقشا

إشراف:  
د. سهيلة مريبي

إعداد الطالبة:  
نسرین جيلالي عياد

السنة الجامعية:  
2023-2022

## الإهداء

إلى رفيق درب أبي أهدي رسالتي هذه و كل نجاحاتي.

إلى أمي و خالتي يمينة.

إلى أبت الدكتور أحمد رباني.

إلى أحبتي و إخوتي: مُحمَّد عبد الرؤوف و عبد القادر.

إلى حبيبات الروح أخواتي: أحلام و نادية و سندس.

إلي.

## شكر و تقدير

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السماوات والأرض ومن فيهن. الحمد له أن وفقني و الشكر له أن سدد خطاي و ثبتني و أعانني و وجهني. أحسب عملي هذا خالصا لوجهه الكريم و أسأله أن يتقبل ما أصبت فيه و يبارك فيه و ينفع به العلم و أهله و أن يعفو عما أخطأت فيه و يتجاوز عني. لك الحمد ربي حتى ترضى و لك الحمد بعد الرضا.

أما بعد، فإني أتقدم بخالص عبارات الشكر و التقدير إلى أبي على محبته و مرافقته و دعمه لي و تضحياته لأجلي و إيمانه بي ، حفظه الله و بارك فيه و أطال عمره ؛ و إلى أستاذتي الغالية: الدكتورة سهيلة مربي على دعمها و صبرها و ثقها، بارك الله فيها و في علمها و أهلها و مالها و جزاها الله عني خير الجزاء في الدنيا و الآخرة. كما أشكرني لأنني لم أستسلم حتى في أشد الظروف صعوبة و قساوة، و أشكر أختاي الحبيبتين أحلام و نادية على أكواب القهوة و أحاديثها الدافئة التي لطالما أبدلت دموعي ضحكات و آستني في أوقات الحيرة و الشتات طيلة مسيرتي البحثية.

و في الختام، شكرا لكل من نهلت من معارفهم و أعدقت بكرمهم و أفضالهم: أستاذتي من الابتدائية إلى الثانوية و أستاذتي بقسم اللغة الفرنسية بجامعة الشلف، و أستاذتي بمعهد الترجمة بجامعة الجزائر 2 و أخص بالذكر: الأستاذة الدكتورة باني عميري و الأستاذة الدكتورة زينة سي بشير و الأستاذة الدكتورة بجاوي وفاء و الأستاذ الدكتور محمد رضا بوخالفة. و أدعو الله أن ينفعني بتوجيهات أستاذتي الذين شرفوني بقبول مناقشة رسالتي لتصويب فكرتها و تسديد منهجها و إقالة عثرتها جزاهم الله وافر الخير و الجزاء.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

(سورة هود، الآية 88)

مقدمة

## مقدمة

لطالما شكلت ترجمة الخطاب القرآني على مر الأزمان تحدياً لأهل الخبرة و الاختصاص من الناحية العملية، و موضوع بحث للعديد من الدراسات الترجمة و اللسانية من الناحية النظرية، خصوصاً فيما يتعلق بالتقنيات والاستراتيجيات التي يتم تبنيها من طرف المترجمين أثناء الفعل الترجمي و كذا الظروف المحيطة بهذا الأخير و المتحكمة به؛ على غرار: طبيعة المكاسب المعرفية و الخلفيات الدينية والثقافية و الاجتماعية لكل من متلقي الترجمة و المترجمين و توجهاتهم النظرية و الفكرية و الإيديولوجية ناهيك عن طبيعة اللغة المترجم إليها.

و القرآن الكريم خطاب معجز بسحر بلاغته و نصاعة بيانه و قوة فصاحته، تحدى العرب و هم أهل الفصاحة و البيان فاعترفوا بإعجازه و بيانه دون أن يقدرُوا على رفع التحدي. فلقد جاء من كلامهم لغة و تركيباً و من سنن قولهم فصل تفصيلاً، و شكل من اللغة المتداولة بينهم فتعانقت ألفاظه مع معانيه مفجرة طاقاتها التعبيرية تعجيراً.

هذا و اختلفت مواقف العلماء من منطلق التسليم بإعجاز الخطاب القرآني بخصوص قابلية ترجمته إلى اللغات الأخرى؛ فإذا عجز العرب على ما هم عليه من بلاغة و فصاحة عن الإتيان بمثله، فإن اللغات الأخرى عن الإيفاء بأغراضه الشكلية و مضامينه الدلالية أعجز.

و يتخذ الشكل الذي نجده في وحداته أبعاداً دلالية يصعب نقلها كلية إلى اللغة الهدف، إذ إنه يستمد جزءاً من دلاليته من التشكيلات الصوتية و الإيقاعية لوحداته اللغوية. و ترجمة مثل هذه الأبعاد بصورة مستقلة عن شكلها يعتبر انتهاكاً لجوهرها و تغييباً لمختلف وظائفها التواصلية و قيمها التأثيرية.

كما يهب تناسق الألفاظ في علاقات تركيبية لكل لفظ دلالاته من تشكيلته الصوتية و موقعه ضمنها وضمن سياق الآية و سياق السورة و السياق القرآني ككل، و إذا ما تمكن المترجم من الإمساك بمقصدية الآيات فإنه قد لا يتمكن -مهما أبدى من محاولات- من أن يعيد صياغتها بالوجه الذي وردت عليه في القرآن الكريم، ناهيك عن نقل تراكيبه الصوتية و الإيقاعية. و تغلت بسبب هذا العجز الكثير من المقاصد و تضيع القدرة على التأثير في المتلقي و إقناعه و مخاطبة عقله و تحريك مشاعره و تغيير مواقفه و سلوكاته، فسحر بيان الخطاب القرآني نابع من تكامل و تناسق أشكاله و مضامينه.

و يتبدى مما سبق أن الأولوية التي قد تفرض نفسها على مترجم القرآن الكريم هي المحافظة قدر المستطاع على مقاصد الآيات و مضامينها بعيدا عن الالتزام الحرفي بأبنيتها الشكلية، بحكم تباين اللغات من حيث تراكيبها و إيقاعاتها. ولو أن ترجمة القرآن الكريم لا تقتصر فقط على ترجمة بنياته الدلالية والشكلية بل قد تتجاوز ذلك إلى ضرورة استيعاب طبيعة استراتيجياته الخطابية و تحقيق القيم التواصلية و التأثيرية الكامنة في الخطابات المكونة له مع مراعاة سياقات التلقي.

من هنا، ارتأيت في بحثي الموسوم بـ " ترجمة الخطاب القرآني المضاد في ضوء النظريات التواصلية للترجمة و النظريات المعاصرة لتحليل الخطاب -دراسة تحليلية مقارنة- " أن أعكف على دراسة ترجمات أحد هذه الخطابات المتمثل في الخطاب القرآني المضاد (Le contre-discours coranique) بأنماطه الخمس (الخطاب ضد الله و خطاب الرد القرآني عليه، الخطاب ضد النبي ﷺ و خطاب الرد القرآني عليه، الخطاب ضد القرآن الكريم و خطاب

الرد القرآني عليه، الخطاب ضد الآخرة و خطاب الرد القرآني عليه و الخطاب ضد المؤمنين و خطاب الرد القرآني عليه) في مجال الدراسات الترجمية و اللسانية.

مع العلم أنه لم يدرس من قبل إلا وفق منهج إحصائي بحث من طرف الدكتور مهدي عزازي في مجال الدراسات الإسلامية المعاصرة إضافة إلى حساسية هذا النوع من الخطابات التي يغلب عليها الطابع الحجاجي و الذي تتعسر حتما ترجمته وفق إطار أقرب إلى الموضوعية منه إلى الذاتية، ناهيك عن التغيرات التي قد تطرأ عليه أثناء الترجمة نظرا لتباين الأنظمة اللغوية للغتين المترجم منها و إليها و آليات القراءة و تحليل الخطاب التي يعتمدها المترجمون. و من ناحية أخرى، فإن استثمار نظريات الدرس الحجاجي المعاصر بما تضمنته من آليات و أدوات إجرائية لطالما اقتصر على تناول الخطاب الحجاجي بشكل مستقل عن الترجمة و الدراسات الترجمية، مما حفز فضولي العلمي و البحثي لاختبارها في مجال ترجمة الحجاج في الخطاب القرآني.

وقع اختياري على الآيات القرآنية المتمثلة في الخطاب القرآني المضاد بأنماطه الخمس و مقابلاتها في ترجمتين معاصرتين للقرآن الكريم (ترجمة زينب عبد العزيز 2009 و ريجيس بلاشير 1957)، و ذلك لتباين السياقات التي ترجما فيها و إليها و درجة ، و كذلك لتباين لغتيهما الأم و خلفيتيهما و أهدافهما من ترجمتهما للقرآن الكريم.

و بما أنه لكل خطاب وظيفته التواصلية التي تعد جوهر العملية التخاطبية و التي لا يكتمل تحققه إلا بتحقيقها، علما أن هذه الوظيفة لا تتحقق عن طريق المعنى وحده و إنما أيضا عن طريق المبنى و الاستراتيجيات الخطابية المميزة له، لذلك حاولت من خلال بحثي هذا أن أجيب عن الإشكالية التالية:

كيف نقل كل من المترجمين الاستراتيجيات الحجاجية للخطاب القرآني المضاد من العربية إلى الفرنسية؟

و طرحت تبعا لذلك جملة من التساؤلات؛ أهمها: ما مدى نجاحهما في تحقيق الوظائف التواصلية المترتبة عن الاستراتيجيات الحجاجية للخطاب القرآني المضاد بأنماطه الخمس؟ ما هي الآليات التي تم انتهاجها في تحليله و قراءته و الاستراتيجيات الترجمية التي تم اعتمادها من قبل المترجمين في سبيل تحقيق هذا الغرض؟ هل رجحت الكفة إلى الحفاظ على البنى الدلالية و الشكلية و الاستراتيجيات الحجاجية و الوظائف التواصلية لهذه الخطابات أم الى تكييفها بحيث يسهل استيعابها و فهمها و تقبلها من قبل مستقبلي ترجماتها؟ و أخيرا، هل خضعت ترجمات هذه الخطابات إلى السياقات التي نزلت فيها أم إلى السياقات التي ترجمت فيها و إليها؟

و افترضت، بناء على ذلك، أن:

- قراءة المترجمين لهذا الخطاب قد تختلف باختلاف أنواعه و باختلاف قدراتهما اللغوية و تحليلاتهما التداولية ناهيك عن ميولاتهما الفكرية و الإيديولوجية و الثقافية و الاجتماعية و كافة العوامل السياقية!
- و أنه من الممكن أن تتأرجح ترجمتهما للحجاج في الخطاب القرآني المضاد بين التفسير و التأويل و الحرفية!
- و أنه على الأغلب، ستلعب ديانة المترجمين و مدى اتقانها للغتين المترجم منها و إليها و معرفتهما بنظاميهما اللغويين دورا محوريا في فهمهما للعناصر اللغوية و السياقية و إدراكهما للوظائف التواصلية المرتبطة بالحجاج في الخطابات المشار إليها، و هذا ما

قد يحدد و يبرر طبيعة الاستراتيجيات الترجمية التي اعتمدها في ترجماتهم و كذا

الوظائف التواصلية التي سعوا الى تحقيقها من خلالها !

و قد اقتضت طبيعة بحثي أن أعتمد على المنهج التحليلي المقارن؛ لكونه الأنسب لهذا

النوع من الدراسات من حيث توجب وصف ملامح الحجاج و مكوناته و أدواته في الخطاب

القرآني المضاد و تحليل مضامينه و مقاصده و أغراضه؛ و استندت على المنهج التداولي بوصفه

من أنجع الأدوات الإجرائية لاستقراء و استظهار أوجه الحجاج في الخطاب القرآني المضاد و

كشف جوانبه و موضوعاته و سياقاته و تتبع آليات ترجمته إلى الفرنسية و إبراز مدى نجاحها في

نقل الوظيفة الحجاجية الكامنة في ثنايا بنى اللغة الأصل للخطاب القرآني. و كان لزاما علي

أيضا- باعتبار أهمية و حساسية دور المتلقي في العملية الحجاجية و الترجمية على حد سواء- أن

أستعين ببعض الإضاءات المنهجية و الفكرية المستوحاة من صميم نظرية التلقي.

لدراسة مدونة البحث، حرصت في مقام أول على تحليل و تفسير معاني الآيات المشكلة

لها بالاعتماد على كتب التفسير و أسباب النزول؛ وفي مقام ثان على استنتاج تحليلات و قراءات

المترجمين للخطابات المذكورة آنفا و انعكاس هذه القراءات على اختيار الاستراتيجيات الترجمية و

بالتالي على المتلقي مستجيبا كان أم منكرا ؛ إضافة إلى تأثير السياقات الزمانية والمكانية التي

تمت فيها الترجمة وتلك التي يتم فيها تلقي الترجمات وأثرها على مجريات الفعل الترجمي و على

العمليات والوظائف التواصلية و ذلك بالاعتماد على المقاربة التداولية. ذلك لأن تأثير العوامل

السياقية على الفعل الترجمي آني ومؤقت لا يكاد يتجاوز الحدود الزمانية للعملية الترجمية، أما تلقي

الترجمة فهو دائم التأثير بها تماما مثلما تتأثر بها قراءات النص القرآني.

و تروم هذه الدراسة إلى بلوغ جملة من الأهداف أهمها: إبراز فاعلية توظيف النظرية التداولية للحجاج في سبر أغوار الخطاب القرآني المضاد خاصة و الخطاب الحجاجي عامة سواء قبل أو بعد الترجمة و قدرتها على إعانة المترجم و متلقي الترجمة -على حد سواء- على استنباط المضامين الحجاجية الظاهرة و المضمرة و استيعاب مقاصده التواصلية؛ و ضرورة إحاطة المترجم للخطاب القرآني المضاد بطبيعة موضوعاته و سياقاته و تقنيات التصوير القرآني للمتلقى المنكر و استحضار أقواله و أفعاله و الرد عليه إضافة إلى تأثير الاستراتيجيات الترجمة على الاستراتيجيات الحجاجية للأصل و بالتالي على قواها الإنجازية الصريحة و الضمنية و التأثيرية. و كذا إثبات حتمية تباين مكونات الحجاج و أدواته باعتبار ما يحيق بالعملية الترجمة للحجاج من قيود تستمد حبالها من وشائج التراكيب اللغوية و المعجمية و المستويات الدلالية و من السياقات التأويلية المصاحبة للترجمة و التي تتحكم بها أساسا خلفيات المترجمين و أهدافهم من ترجمة القرآن الكريم من جهة ، و سياقات التلقي التي تتحكم بها خلفيات المتلقين على اختلافهم و اختلاف أهدافهم من قراءة ترجمة القرآن الكريم من جهة أخرى إلى لغاتهم التي تفرض -هي الأخرى- سلطتها على النص و المترجم و المتلقي.

و لأجل تحقيق هذه الأهداف، هندست بحثي في شكل دراسة نظرية و تطبيقية موزعة إياه

على أربعة فصول و خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها :

حيث تناولت في الفصل الأول ماهية الخطاب و النص و العلاقة بينهما ثم ماهية الخطاب القرآني و إشكالية ترجمته و بعض المفاهيم المتعلقة بالحجاج و علاقته بالجدل و الحوار و البرهان و الإقناع و السخرية و ملامح الحجاج في الخطاب القرآني و مكوناته و أشكاله. تطرقت لاحقاً

إلى عرض ماهية الخطاب القرآني المضاد و أنماطه و موضوعاتها و استراتيجيات بناءه لهوية الخصوم و خطابات الرد عليهم، و أخيرا خصائص ترجمة النصوص الحجاجية.

و عرضت في الفصل الثاني تطور لسانيات النص و تحليل الخطاب و من ثم إلى العلاقة بين الترجمة و تحليل الخطاب، و تطرقت لاحقا إلى أهم نظريات الحجاج في الدراسات العربية و الغربية. كما كانت لي وقفات عند محطات نظرية على غرار الاستلزام التخاطبي و ترجمة المضمرة و الافتراضات المسبقة و الأفعال الكلامية، و علاقة مبدأ التعاون و نظرية الملاءمة بالفعل الترجمي.

أما الفصل الثالث، فتطرقت فيه لحيثيات تلقي الخطاب القرآني و طبيعة متلقيه و مكانة المترجم كمتلق ومبلغ له و كذا الدور المنوط به في العملية التخاطبية عموما و العملية الحجاجية خصوصا.

و أما الفصل الرابع التطبيقي، فلقد قمت فيه بتحليل معاني آيات الخطابات المشكلة لمدونة البحث و عرض تفاسيرها لاستظهار ملامح الحجاج فيها، و من ثم تحليل ومقارنة ترجماتها إلى الفرنسية لتتبع تقنيات الفعل الترجمي و طبيعة تأثيره على الحجاج القرآني و طاقته و متلقيه.

هذا و استند البحث إلى مجموعة من المراجع و الدراسات السابقة و التي قد انجلت بفضلها ضبابية بعض المفاهيم و التصورات المحيطة بالحجاج و التداولية والترجمة و التلقي، أهمها "Le contre-discours coranique": للدكتور مهدي عزايذ، "استراتيجيات الخطاب" لعبد الهادي بن ظافر الشهري؛ "اللغة و الحجاج" لأبي بكر العزاوي؛ "اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي" لطفه عبد الرحمان، و "التداولية و الحجاج" لصابر الحباشة، "الآليات الحجاجية في الخطاب القرآني" للأستاذ عيسى تومي؛ "الحجاج في الخطاب القرآني الموجه لأهل الكتاب" للدكتور مختار

حسيني، "تحليل الخطاب الشعري" و "التلقي و التأويل" لمحمد مفتاح، "اللسانيات التداولية و الترجمة: مقارنة لإشكالية المعنى من وجهة تداولية" للدكتور حبيب مونسي.

كما لم يخل مسار البحث من العقبات خصوصا فيما هو عائد إلى قلة المراجع المتعلقة بترجمة الحجاج عامة و الحجاج القرآني خاصة سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية، باستثناء بعض المقالات التي قد أنارته -على قلتها- و سدّدت فكرته ووجهته. و مع كل هذا فإن متعة البحث أملا في الوصول لا تضاهيها متعة، و كم كانت سعادتني غامرة كلما عثرت على مادة علمية ثرية حوت بعضا من الإجابات الشافية لتساؤلات عديدة متتالية، و لكم كبحت فضولي أمام الآفاق البحثية التي فتحتها أمامي الكتب و الدراسات و الملتقيات و المحاضرات لئلا أحيّد عن الأهداف المسطرة. و في الأخير، قد لا أكون أضفت إلى البحث العلمي بقدر ما أضاف إلي من تقوية للعزيمة و حفز على التفكير و التدبر و تطويع على الصبر.

## الفصل الأول:

الخطاب القرآني المضاد و ملامح الحجاج فيه

## تمهيد

يعد الخطاب ثمرة التواصل التفاعلي بين مرسله و متلقيه، ذلك لأن المرسل يستحضر في غياب السياق الفعلي للتواصل مخاطبا معينا، فينشئ سياقاً تتم عبره عملية التواصل و تستمد منه عوامل التفاعل بينه و بين المتلقي.

فعملية التخاطب تقتضي بالضرورة باثا و مستقبلا و ناقلا حينما يتعلق الأمر بالترجمة، أما الباث فهو مرسل الخطاب، و يقوم بتكريب و صياغة ما يريد إيصاله من أفكار و مفاهيم و آراء و حجج في نسق كلامي محسوس يعبر عنه بواسطة اللغة، و أما المتلقي فهو المخاطب يفكك ما يستقبله و يشارك في بناء معناه و يتفاعل معه و مع المخاطب بواسطته. إذ أن كل باث يسعى إلى التعبير عن مقاصد معينة يؤثر من خلالها في نفوس متلقيه، "لا نص بلا قارئ، و لا خطاب بلا سامع." (المسدي ، 1982، صفحة 87) و لا يخرج أي ملفوظ إلى حيز الفعل إلا بوجود متلقيه، و "هذا التلقي هو بمثابة انقذاح شرارة الوجود للنص و لماهية الأسلوب." (المسدي ، 1982، صفحة 87)

و من جهة أخرى، يمكن اعتبار العملية الخطابية بمثابة مشاركة و تشارك بين المرسل و المخاطب "فما تكلم أحد إلا و أشرك معه المخاطب في إنشاء كلامه كما لو كان يسمع كلامه بأذن غيره، و كأن الغير ينطق بلسانه." (عبد الرحمان، 2007، صفحة 50) فيكون بذلك التأسيس للخطاب من قبل المرسل و فهمه من قبل المخاطب عمليتان متلازمتان لا انفصال لإحدهما فلا يلزم عن أسبقيته في إنشاء الخطاب انفراده بتكوينه، فما إن يشرع المرسل في إنتاجه للخطاب حتى يشاركه المخاطب في تكوين دلالاته بمجرد تلقيه له.

## 1-1- مفهوم النص:

بالعودة إلى القاموس الموسوعي لعلوم اللسان (ديكرو و سشتايفر، 2007)، نقرأ عن مفهوم النص ما يلي: "إنه لمن النادر أن يكون مفهوم النص المستعمل بشكل واسع في إطار اللسانيات والدراسات الأدبية، قد حدد بشكل واضح؛ إن بعضها يحدد تطبيقه على الخطاب المكتوب، بل على العمل الأدبي. وبعضها الآخر يرى فيه مرادفا للخطاب. وأخيرا فإن بعضها يعطيه توسعا سيميائيا منتقلا فيتكلم عن نص فيلمي ونص موسيقي إلى آخره". (ديكرو و سشتايفر، 2007، صفحة 553)

و إذا ما دعت الضرورة لمقاربة النص من منظور نقدي ولساني، كان لزاما علينا حينها أن نخص بالذكر ثلاثة رواد قاموا بدور تأسيسي في سبيل ترسيخ نظرية ل "النص" وتطوير الدراسات النقدية المرتبطة بها، وهم: "فردينان دي سوسير" و"رومان ياكبسون" و"إميل بنفنيست". فقد اعتبر "دي سوسير" أن نظرية الدلالة هي أساس الأبحاث التي تتمحور حول النص. وقد سار "ياكبسون" على نهجه وقام بتركيز دراساته وأبحاثه حول وظائف اللغة، واستقلالية النص الأدبي. وأسهم "بنفنيست" من جهته في دراسة إشكالية تبادل الخطاب والنصوص الأدبية التي تتبلور وتتحدد من خلال علاقتها بهذا الخطاب. (راغب، 2003، صفحة 669)

و لتعريف مفهوم "النص" بصورة دقيقة، قد لا يكفي أن نتوقف عند عتبة التعريف اللساني وحده، ذلك أنه: "هناك تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص بصفة عامة، وأخرى تبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه المتعينة خاصة الأدبية، لكننا لا نصل إلى جملة من المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية و السيمولوجية الحديثة، دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية

المباشرة؛ لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب، هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية." (فضل، 1996، صفحة 294)

هذا و ينظر للنص أحيانا على أنه "صرح لغوي" يشيد قواعده ولبناته بواسطة نظام خاص، وفي ذلك يقول تزييفتان تودوروف ما يلي: "قد يكون النص جملة، أو قد يكون كتابا بشكل كامل. فهو يتحدد (النص) باستقلاليته و انغلاقه (...). و هو يكون نظاما لا ينبغي مطابقته مع النظام اللساني، ولكن يجب وضعه في علاقة معه، وهي علاقة جوار وتشابه في الوقت نفسه." (DUCROT & TODOROV, 1972, p. 375)

ومن بين أكثر التعريفات التي برزت عن النص وظفرت بالكثير من الاهتمام، نجد تعريف جوليا كريستيفا الذي يغوص في عمق النص ويبرز ما فيه من شبكات متعاقبة، فهي ترى أن "النص ليس مجرد خطاب أو قول، بل هو موضوع للعديد من الممارسات السيمولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية: بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها." (فضل، 1996، صفحة 294)

ومع ذلك، يرى بعض الدارسين من ناحية أخرى أنه: "يتحتم على الناقد أن يضع في اعتباره دائما أن العمل الأدبي أو أي جزء منه، نص قبل أي اعتبار آخر، أي نسيج من التشكيلات التي تتولد من التشابك بين زمن الأديب الذي يكتب وزمن المتلقي الذي يقرأ". أو كما يقول الناقد الفرنسي "جيرار جنيت" في كتابه "تشكيلات 2": "إن الصفحة أو الكتاب يمثل وسطا غريبا في البداية لكل من الأديب والقارئ، لكن عندما يتم اللقاء بينهما، فإنه إلى أرض مشتركة، ويجعل من النص بناء يحتويهما." (راغب، 2003، صفحة 668)

و إذا ما حاولنا الجمع بين وجهات النظر المختلفة، بحثا عن صيغة تعريفية محددة للنص، يمكننا الرجوع إلى ما قاله "سعيد حسين بحيري": "النص وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي. ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغيرة تربط بينها علاقات نحوية، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية؛ ومن ثم يصعب أن يعتمد في تحليل النص على نظرية بعينها، وإنما يمكن أن نتبنى نظرية كلية، تتفرع إلى نظريات صغيرة تحتية تستوعب كل المستويات." (بحيري، 1997، صفحة 119)

وهكذا، لم يختلف كثيرا تحديد النص بأنه "ليس سوى مجموعة من الرموز اللغوية المعبرة التي لها وظيفة الاتصال الاجتماعي عن تحديده بأنه تتابع من الوحدات الجمالية، فالجملة مجموعة من الرموز، وهي تقال في سياق التواصل الاجتماعي، والنصوص بالنسبة لعلماء اللغة تشكلت وفق قواعد محددة." (بحيري، 1997، صفحة 120)

و لكي نوضح أهم خصائص النص ووظائفه نسوق في هذا المجال تعريفا لسانيا معاصرا، فقد عرفه "محمد مفتاح" أنه مدونة حدث كلامي لها وظائف متعددة؛ وهذا يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسما أو عمارة أو زيا وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل؛ ويرى أيضا أنه حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله مثل الحدث التاريخي؛ وهو ذو صبغة تواصلية، لأنه يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب معينة إلى المتلقي؛ على أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك

وظائف أخرى للنص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين الأفراد و تحافظ عليها. (مفتاح ، 1986، صفحة 120)

وهو فوق ذلك مغلق ويقصد بالانغلاق ستمه الكتابية الأيقونة التي لها بداية ونهاية، ولكنه من الناحية المعنوية توالدي لأن الحدث اللغوي ليس منبثقا من العدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسية ولغوية وتتناسل منه أحداث لغوية وغير لغوية أخرى لاحقة له. والنص هو وحدة إجرائية استعمالية، إطارها الكلام، وليدة إنجاز لغوي وقدرة تواصلية، وهو أيضا الصيغة المكتوبة التي تصدر عن المتكلم أو المؤلف في موقف ما، ويكون قاصدا بها دلالة ما وهذه الصيغة قد تكون لفظة أو إشارة، أو جملة، أو متتاليات من الجمل المترابطة. (مفتاح ، 1986، صفحة 120)

## 2-1- الخطاب:

### 1-2-1- المفهوم:

الخطاب "مصدر خاطب: المواجهة بالكلام، ويقابلها: الجواب: الرسالة والخطابة: مصدر خطب: عمل الخطيب وحرفته. و الخطب مصدر خطب: الحال والشأن "قال فما خطبكم أيها المرسلون" (الباشا، 1992، صفحة 414) الأمر الشديد الذي يكثُر فيه التخاطب، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه. وفي المعجم الوسيط: (خاطبه) مخاطبة وخطابا: كلمه وحادثه، وخاطبه: وجه إليه كلاما، والخطاب الكلام وفي القرآن الكريم: "فقال أكفنيها وعزني في الخطاب." (مجمع اللغة العربية، 1960، صفحة 23)

وفي معجم المصطلحات الأدبية الحديثة ل "محمد عناني": "الخطاب ومعناه" اللغة المستخدمة (أو استخدام اللغة) لا اللغة باعتبارها نظاما مجردا." ويقول "مايكل ستابز" تعليقا على استخدام مصطلحي "النص والخطاب" في كتابه "تحليل الخطاب" (1983) إن ذلك كثيرا ما يتسم بالغموض

ويعتد على البلبلة، وهو يقول إن الخطاب كثيرا ما يوحي بأنه أطول وأنه قد يتضمن أو لا يتضمن التفاعل." (عناي، 1996، صفحة 09)

و لكي نتعرف على الخطاب القرآني كعملية تواصلية فريدة، لا بد من التطرق لمفهوم الخطاب في المنظور اللغوي والاصطلاحي، و لبنيته المكونة له حتى نتمكن من إيجاد مفهوم واضح له من منظور تحليل الخطاب.

شغل مفهوم الخطاب وما يزال يشغل موقعا محوريا في جميع الأبحاث والدراسات التي تتدرج في مجالات تحليل النصوص؛ فالخطاب وسيلة تعبيرية منتجة عن طريق العلامة اللغوية، تتيح للإنسان التعايش الجمعي الذي يمكنه من مشاركة الآخرين، والاندماج معهم في بوتقة الثقافة الجماعية. فهو فعالية اجتماعية قادرة على استيعاب الأنساق الحضارية و تصويبها وتقويمها و تطويرها. وبهذه الرؤية يأتي مصطلح الخطاب مرتبطا تمام الارتباط بدلالته على فعل التواصل. حيث تحيل كل عملية خطابية إلى عناصر عديدة للتواصل تتمثل في المتخاطبين وسياق التواصل و مقاصده. (محمد الجودي، 2014، صفحة 72)

و في ذات السياق، يقول "ابن منظور": "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبك بالكلام مخاطبة وخطابا" (ابن منظور م.، صفحة 135) و المتأمل لدلالة المصطلح في كلام ابن منظور سرعان ما يدرك أنها لا تخرج عن معنيين اثنين: الحدث المجرد من الزمن، أي حدث الخطاب؛ والدلالة على المسمى أي ما يخاطب به. ويضل المفهوم التواصلية حاضرا في الأمرين معا؛ لأن اعتبار الكلام خطابا بمجرد إنجازه إنما هو تركيز على هدفه التواصلية و الإبلاغي بين المتخاطبين. أما في الاستعمال الاصطلاحي فيدل هذا المصطلح على معان كثيرة ومتشعبة، سواء في الفكر العربي أو الفكر الغربي؛ نتيجة لتعدد مجالاته واختصاصاته.

تدوول مصطلح الخطاب في التراث العربي وجاء مرتبطا في مدونته الفكرية بحقل "علم الأصول"؛ وذلك انطلاقا من أن الخطاب شكل الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، وشكل محورا أساسا في أبحاثهم، لهذا فإن دلالاته تقيدت بإجراءات ذلك الحقل مباشرة بينما يصعب حصر ممارسته فيه وذلك عائد إلى ضخامة الموروث الأصولي من جهة، وتعدد زوايا النظر إلى ذلك الموروث من جهة أخرى. (عبد الله، 1993، صفحة 58)

فقد استخدمه شيخ الإسلام (علي بن عبد الكافي السبكي / 771هـ) بمعنيين حددهما في قوله: "فحصل في الخطاب قولان أحدهما أنه الكلام، وهو ما تضمن نسبة إسنادية، والثاني أنه أخص منه وهو ما وجه من الكلام نحو الغير لإفادته." (السبكي، 1995، صفحة 43)

وقد عمد علي بن محمد الأمدي إلى التوجه نفسه لإيجاد تعريف جامع ودقيق استبعد فيه كل الرموز الدالة الأخرى التي يغيب عنها التحقق الصوتي، كالحركات والإشارات والألفاظ التي لا يتوفر فيها الشرط الدلالي كالألفاظ المهملة والكلام الصادر ممن لا يفهم كالتائم والمغمى عليه، ليخلص إلى تعريف الخطاب بأنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه. (محمد الجودي، 2014، الصفحات 74-75)

و وافقهما بدر الدين الزركشي إلى حد كبير في هذا القول حينما عرف الخطاب بقوله: "إنه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم، وعرفه قوم بأنه ما يقصد به الإفهام أعم من أن يكون من قصد متهيأ أم لا." (الزركشي م.، 1994، صفحة 168)

و مما سبق يلحظ أن مدار كل خطاب هو التواصل، وأن الوسيلة التي تعمل على تحقيقه هي اللغة لذا لا يمكن الاعتداد بأشكال التواصل الأخرى واعتبارها خطابات؛ لعدم تحقق الشرط اللغوي فيها. فلا يتصور قيام علاقة من هذا القبيل اعتمادا على الوسائل (السيمائية والإشارية)

الأخرى من إشارات ورموز وعلامات... أي أن كل خطاب هو حدث لغوي قبل كل شيء. من أجل ذلك عمد الأصوليون في أبحاثهم عن طريق توظيف الخطاب الشرعي إلى المزج بين الخطاب والكلام واعتبارهما يدلان على مقصد واحد. (محمد الجودي، 2014، صفحة 75)

وإذا كان مفهوم الخطاب قد أفصح عن حدوده ومقتضياته بشكل بارز عند علماء الأصول أكثر من غيرهم، وأن المعاجم العربية لم تخرج عن المفهوم الديني، فليس معنى هذا أن المصطلح جاء مهملاً في الحقول المعرفية الأخرى للتراث العربي، بل تردد في كثير منها وشكل حقلاً دلالياً خاصاً يقترب من المعنى الأصلي، ويزيد عليه في أحيان أخرى بما يتوافق ومعطيات الحقول الجديدة التي تداولته.

حيث يذكر محمد الجودي أن مصطلح الخطاب قد حضي في هذه المرحلة بنظرة أوسع وأعمق حاملاً بذلك أبعاداً جديدة في الدلالة، جعلته أكثر قرباً من مفهوم الخطاب في العصر الحديث. فقد تطور البحث التفصيلي في عناصر الخطاب عند أبي حامد الغزالي، بما يكشف عن وعيه المبكر بأهمية المخاطب (المتلقي) في إتمام عملية إنتاج المعنى داخل الخطاب.

والناظر لـ "الكفوي" يجده قد وضع الحدود كاملة لعناصر الخطاب والشروط اللازمة لكل عنصر من عناصره الثلاثة التي نص عليها تعريفه، فالمخاطب يتحتم عليه توفير قصد الإفهام لديه وإيصال الرسالة، والخطاب يجب أن يكون مما تواضع عليه الناس وأما المخاطب أو المستمع فلا بد من أن يكون متهيئاً للفهم مستجيباً للخطاب وصاحبه.

حاول العرب في ظل موضوع مفهوم مصطلح الخطاب كما يشرح الدكتور منذر العياشي أن يطوروا نظرية في النص خدمة لأداء المعنى ودراسته، وهذا يعني أنهم قد تجاوزوا المفهوم اللفظي للكلام والمفهوم الجملي، ليستقر عندهم أن المتكلم في تعبيره عن حاجاته لا يتكلم بألفاظ ولا

بجمل ولكن من خلال نص؛ فانتسعت أمامهم بهذا دائرة البحث الدلالي. و انتقلوا من البحث من مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتم فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب. " (عياشي ، 1996 ، صفحة 07)

وإذا كان الخطاب قد شكل في التراث العربي حضورا بازغا تعددت منطلقاته تبعا لتعدد انتماءاته لأكثر من حقل معرفي، فإن هذا المفهوم ظل على حاله منتميا للفكر العربي القديم دون أن يلقى اهتماما أو تطورا في الفكر العربي في العصر الحديث، فقد استبدل النقاد العرب المحدثون النواة العربية القديمة له بالمفهوم الغربي للخطاب.

ولعل العلة في ذلك تكمن في أن النقد العربي الحديث كان ولا يزال في كثير من توجهاته يتكى على النقد الغربي وينقل كثيرا من مفاهيمه التي تتصل بالموروث الغربي والتي تتقاطع مع الموروث العربي الذي ينتمي إليه "فالخطاب الثقافي الغربي قد غلب المحمولات الغربية لمصطلحي الخطاب والنص، وتخلص أو كاد يتخلص من المحمولات العربية لهما، كما تكون في الأصول، وهو أمر يمكن وصفه بأنه إقصاء اصطلاحى لمعظم ما يتصل بجهاز المفاهيم المستعمل الآن في الثقافة العربية الحديثة." (عياشي ، 1996 ، صفحة 117)

و جاء الخطاب في التراث الغربي منبثقا من توجه فلسفي مازال يفرض هيمنته حتى اليوم، أما ما شهدته المصطلح من تطور في العصر الحديث إنما اكتسبه من تطور وتشعب في الحقول المعرفية و في التوجهات البحثية التي صحبت الفكر الحديث.

تبدت أول محاولة جادة تهدف إلى ضبط حدود مفهوم الخطاب فلسفيا في الفكر الغربي القديم وشحنه بدلالاته الخاصة مع أفلاطون الذي عمد إلى ضبط حدود العلاقة بين (المقال/الخطاب) والتي تحددت عنده بحتمية تماثله مع العقل. ورغم أن هذه المحاولة جاءت مبكرة

في الفكر الغربي، إلا أنها مثلت البداية المهمة لتبلور ملامح الخطاب الفلسفي في الثقافة اليونانية.

(محمد الجودي، 2014، صفحة 78)

يتوجب في مجال مقارنة مفهوم "الخطاب" في الفكر الغربي الحديث طرح هذه الرؤية عند منظرين يعدان من أقطاب الفكر الفلسفي واللغوي والأدبي والغربي واللذين شغل الخطاب في فكرهما حيزا كبيرا؛ الأول هو المفكر الفرنسي ميشال فوكو الذي تحدد مفهوم الخطاب عنده بظهور مؤلفاته التي عكست رؤيته العميقة و المحددة لمفهوم الخطاب. حيث ارتبطت رؤيته للخطاب بالميدان العام لمجموع المنطوقات أو مجموعة متميزة من العبارات بوصفها تنتمي إلى تشكيلة خطابية محددة تتركب من "شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه." (الرويلي و

البازعي، 2002، صفحة 155)

فيما سبق، يتضح أن الممارسة الخطابية عند فوكو تتشكل في صميم تكوينها من "المنظومة العبارية العامة التي تحكم مجموع الإنجازات اللفظية، وهي منظومة لا تحكمه وحدها، ما دام يخضع كذلك -حسب أبعاده الأخرى- لمنظومات منطقية ولسانية وسيكولوجية، كما أن تحليل تشكيلة خطابية ما يعني دراسة مجموع الإنجازات اللفظية في مستوى العبارات ودراسة شكل الوضعية التي تميزها". (فوكو، 1987، صفحة 102) فالخطاب عند ميشال فوكو كيان خاص ومتماسك بنفسه ومترايط وصحيح ومفهوم ينتج بتشكيلة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية.

أما الثاني، فهو المفكر الروسي ميخائيل باختين (1895-1975) الذي يراهن على المنهج الاجتماعي في اللسانيات، ويفسره تفسيراً اجتماعياً، فيعرف الخطاب على أنه "خطاب في

الخطاب، وتلفظ في التلفظ، لكنه في الوقت ذاته خطاب عن الخطاب وتلفظ عن التلفظ". (باختين، 1986، صفحة 155) وكان باختين يريد تفسير الخطاب بالخطاب نفسه، وأن الخطاب الواحد قد يكون شاملا لعدة خطابات، وكأنه ينفي عن الخطاب التفرد والتجرد. فهو دائم الارتباط بالعلاقات الخارجية وبالمجتمع عامة.

إن دراسة الخطاب عند باختين تعني دراسة عمليات التلفظ اللغوي في سياقاتها الاجتماعية مما يعني أن السياق الاجتماعي جزء لا ينفصل عن أي فعل لغوي، وأن معنى كل تلفظ يتضمن وضع المتكلم بوصفه ذاتا اجتماعية تنعكس على غيرها. كما يتضمن آفاق الاستقبال التي يقصد بها القيم السابقة للمستمع والتجسد التاريخي للغة بوصفها فضاء تؤسسه وتتفاعل فيه بوصفها ظواهر اجتماعية. فكل خطاب بمثابة فضاء تأسس فيها العلاقات بين الأفراد، ويتم إنتاج موضوعات المعرفة وتتولد مواضع القيم وذلك على نحو يميز كل خطاب عن غيره. (محمد الجودي، 2014، صفحة 81)

### 1-2-2-البنية

بما أن الخطاب عملية من عمليات التلفظ فهذا يعني أنه ليس بنية لغوية بحتة، تنتجها مجمل القوالب الشكلية -النحوية والصرفية والدلالية- بمعزل عن سياق التلفظ، وما يكتنفه من ظروف أو يتضمنه من مقاصد.

ففي تعاملنا مع الآليات التي تحكم بنية الخطاب و تنتجها لا بد من التأكيد على حقيقة مهمة و هي أن إنتاج الخطاب يرتكز على عملية تبادلية بمعنى أن مرجعية الخطاب لا تعود -ولا يمكن أن تعود- إلى الذات، أو إلى المؤسسة، أو إلى الصدق المنطقي، أو إلى قواعد البناء النحوي، و إنما إلى الممارسة الخطابية و غير الخطابية. على أن لا نفهم العلاقة بين الممارسات على أساس

السبب و النتيجة، و إنما على أساس العلاقة التبادلية، دون أن نعني بذلك أن العملية التبادلية المنتجة للخطاب تستطيع أن تستغني عما يميز الخطاب من خصائصه اللسانية و التنظيمية و المعجمية و الدلالية.

كما يوجد هناك عدد من العناصر التكوينية التي تشترك في بلورة عملية التواصل والإبلاغ في الخطاب والتي يمكن معرفتها وفحصها -على حد قول بن ظافر الشهري- من خلال النظر إلى الخطاب ذاته، بوصفه الميدان الذي تتبلور فيه كل هذه العناصر مما يحيلها إلى عناصر سياقية، والتي يمكن نكرها على نحو إجمالي فيما يلي: (بن ظافر الشهري، 2004، الصفحات 45-52)

أ- المرسل: ويجسد الحلقة المحورية الأولى في إنتاج الخطاب، فهو المحرك الأساس للعملية الاتصالية، متى ما طمح في التأثير على المتلقي، ويقوم باختيار الألفاظ التي تليق بمقام المرسل والمرسل إليه والسياق الاجتماعي وما يتبعه.

ب- المرسل إليه: وهو الحلقة الثانية في العملية الاتصالية، وهو الذي تتجدد على أساسه لغة الخطاب ومستواها، مما يدل على أن المرسل إليه مستحضر بشكل أساسي في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان هذا الاستحضر عينيا أم افتراضيا، وهذا الشخوص والاستحضر للمرسل إليه يسهم بشكل فعال في حركية الخطاب، ومن ثم يعمل على قدرة المرسل في الممارسة التنويرية للخطاب، والتي تمنحه أفقا منفتحا لاختيار الطريقة الفعالة لخطابه.

ج- العناصر السياقية: وهي الإطار العام الذي يسهم في ترجيح واختيار الآلية المناسبة لعملية الفهم والإفهام، أو الإقناع بين طرفي الخطاب -المرسل والمرسل إليه- ويتم تحقق ذلك عبر مجموعة من العناصر المؤثرة في إنجاز عملية التواصل في الخطاب، كالمعرفة المشتركة بين

المتخاطبين، والظروف الاجتماعية و عنصرى الزمان و المكان اللذين يتلفظ فيهما المرسل بخطابه.

د- الرسالة: و هو ما يرجع إلى الخطاب نفسه وهو ذلك الكل الجامع بين العناصر السابقة، وبالتالي فإن الخطاب هو الرسالة الموجهة من المرسل إلى المرسل إليه في عبارات لغوية ووفق آليات خطابية منتقاة ضمن سياق معين يفهم (يمكن استنباطه) من خلال تفكيك لغة الخطاب للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد.

فعملية التواصل في الخطاب، تتم من خلال رسالة بين مرسل ومتلق، تتجز بوسائل داخل سياق محدد في المكان و الزمان، قصد التبادل و التبليغ و التأثير. ومن هذه الوضعية نستطيع أن نضع بعدا مفهوميا للخطاب يتجلى في كونه " الصياغة لفكرة مقصودة في تتابع لغوي وفق ما تقتضيه القواعد اللغوية، للغة معينة، ومن الضروري هنا ضبط الصحة والسلامة في التأليف اللغوي، لأن سوء التأليف قد يؤدي إلى اضطراب في العملية الإبلاغية." (بن عيسى، 2005، صفحة 23)

و إذا كان المرسل أو المرسل إليه، وهما طرفا الخطاب، يمثلان الدعامة الرئيسية لإنتاج الخطاب -وفق ما تقتضيه عملية التلفظ بالخطاب- فإن العلاقة الماثلة بين طرفي الخطاب أيضا لها دورها الفاعل في إتمام هذه العملية كعنصر متأصل من السياق القارة في المقول فيه. من هنا اقتضت هذه العلاقة أن تحدد بعض القواعد التي يمكن تسميتها بقواعد التخاطب. فلا شك أن مراعاة العلاقة بين طرفي الخطاب لها دور مهم في اختيار الطريقة الفعالة والمؤثرة في عملية التلفظ بالخطاب.

و لقد تجلت هذه الوضعية -وفق مقتضيات هذه الظاهرة- أبرز ما تجلت في الخطاب المقدس الذي راعى قواعد الخطاب كلها بشكل واضح وصريح؛ و ذلك في توجيه أوامره الداعية إلى تهذيب القول، فعلى سبيل المثال لا الحصر رسم المرسل (الله تعالى) للمرسل إليه (الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم) من خلال الخطاب القرآني المرسل من عنده إلى الخلق أجمعين بعضا من الآليات التي يسير على هداها في خطابه مع كفار قريش في مقام الدعوة، فقال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل، 125)

فلقد تجلت في هذه الآية الكريمة مجموعة من آليات الدعوة التي تتدرج ضمن استعمال الخطاب وفقا لمرعاة (السياق/الدعوة) و عنصر العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم و كفار قريش، إذ نراه يراعي أحوالهم بما ينعكس على اختيار آلية الخطاب المتناسبة مع الموقف.

إذن فشكل الخطاب لا يمكن أن يعول عليه في الدلالة على مقصد المرسل، و لا يمكن أن يكون كافيا في ذلك، فلا يستطيع فعل لغوي معين أن يحدد ما يحمله خطاب التلغظ من معاني قصد المرسل توصيلها للمتلقي. فقد يتطابق شكل الخطاب مع قصد المرسل، و قد لا يتطابق، و هنا يبرز مساران لإنجاز الخطاب، يستعمل المرسل أيهما شاء للتعبير عن قصده وفق عناصر السياق، إما منطوق الخطاب أو ما يطلق عليه المعنى الواضح الذي يوجد به ظاهر اللفظ دون واسطة، أو مفهوم الخطاب و هو ما نسميه بالمعنى العميق أو ما أطلق عليه الشيخ عبد القاهر في البلاغة العربية (معنى المعنى) الذي يتعلل منه الخطاب. (بن ظافر الشهري، 2004، الصفحات

(117-114)

و مما سبق يتضح أن الخطاب في تكوينه هو بنية لغوية أو تلفظية، يتشكل من مجموعة من وسائل الاتصال بهدف تبليغ رسالة، هذه الرسالة تفترض وجود طرفين يسميان بطرفي الخطاب، هما: (المرسل/ الباث)، و (المرسل إليه/المتلقي) تجري بينهما العملية الإبلابية من خلال سلطة تضمن تحقيق هدف الخطاب الذي قصده المرسل.

### 1-2-3- الخطاب و النص و الجملة:

إذا كان من اليسير تحديد مفهوم "الجملة" فمصطلح "الخطاب" على عكسها تماما لم يحظ بتعريف محدد و دقيق إذ كثيرا ما يتم استعماله كمرادف لمصطلح "النص":

« Dans son opposition avec la phrase, le discours peut être défini comme une unité linguistique constituée d'une succession de phrases que l'analyse du discours prend en charge dans une optique transphrastique ; tel est le cas dans la linguistique textuelle où le discours est « l'inclusion du texte dans son contexte », une production et un acte de communication socio-historiquement déterminés par des conditions de production et de réception particulières. » (ADAM, 1999, p. 35)

يمكننا تعريف الخطاب بوصفه نقيضا للجملة- على أنه وحدة لغوية مكونة من تتالي مجموعة من الجمل تعنى بها "السايات تحليل الخطاب" على مستوى ما بعد الجملة "Transphrastique"، كما هو الحال في "السايات النصية" أين يعتبر الخطاب مرادفا لصب النص في السياق وعملية إنتاجية وفعل تواصلية محددتين تاريخيا واجتماعيا بظروف إنتاج واستقبال معينة.

« L'opposition entre discours, texte et phrase nous permet, en effet, de déterminer l'approche du texte en analyse du discours ; le texte est considéré comme énoncé s'il est pris en charge du point de vue de son organisation, de sa structure et de son agencement, il est par contre discours si les conditions de production font l'objet premier de son étude linguistique. » (ADAM, 1999, p. 36)

أي: "تسمح لنا معرفة الفرق بين النص والجملة بتحديد كيفية مقارنة النص في ضوء "السانيات تحليل الخطاب"؛ ويعتبر النص ملفوظا في حال ما تمت مقارنته من حيث تنظيمه وبنائه وترتيب عناصره؛ بينما يكون خطابا إذا ما مثلت ظروف إنتاجه الموضوع الأول لدراسة لغوية ما."

#### 1-2-4- الخطاب و السياق:

لا يقتصر السياق على الإطار أو الظروف التي يحدث فيها التخاطب فحسب، وبما أنه لا يمكننا فهم معنى خطاب معين خارج سياقه فإن الخطاب هو الذي يساهم بحد ذاته في تحديد سياقه الخاص:

« Les phrases contiennent des éléments qui ne peuvent s'interpréter au niveau de la phrase elle-même et l'interprétation d'un discours donné ne se résume pas à la somme des interprétations des phrases qui le composent. » (REBOUL & MOESHLER, 1998, p. 13)

أي: "تحتوي الجمل عناصر لا يمكن تفسيرها على مستوى الجملة نفسها، كما أن تفسير أي خطاب كان لا يقتصر على جملة تفاسير الجمل المكونة له." و منه، لا يمكن عزل الخطاب عن مجموع الخطابات التي ينتمي إليها، أو بصيغة أخرى: لا يمكن أن يكون للخطاب معنى سوى داخل محيط خطابات أخرى.

### 1-3- العلاقة بين النص و الخطاب:

و أما فيما يخص "العلاقة بين النص والخطاب" فيمكن القول أنها: "تتعلق بديها بالتعريف الذي نعطيه لهذا المصطلح الأخير "الخطاب". فإذا عرفناه بوصفه مجموعة من العبارات لمتكلم يتميز بوحدة شاملة للموضوع، فنقول إنه يستطيع إما أن يلتقي نصا (وهذه هي الحال في التواصل الكتابي، حيث تتلاقى عموما الوحدة التواصلية والوحدة الموضوعية)، وإما أن يتكون من عدة نصوص." (ديكرو و شتايفر، 2007، صفحة 50)

و يمكن إحصاء عدة مقاربات لمفهوم الخطاب تختلف باختلاف المدارس الفكرية ، و من ثم الانطلاق من حقولها المعرفية في تحديد ماهية مصطلح الخطاب: يستخدم مصطلح "الخطاب" في ثلاثة أوجه: الخطاب كمرادف للمفوض؛ ما كان أكبر من الملفوظ: وقد امتد ذلك المفهوم في إطار مناهج المشروع البنوي الذي أقامه "دي سوسير"، و بقي المفهوم اللساني مهيمنا عليه؛ ومفهوم سيميائي للخطاب "ما بعد البنوية" يتجلى فيما قام به "بول ريكور" و قبله "بنفنيست"؛ في حين تمكن "ميشال فوكو" بعدها من إخراج مصطلح الخطاب من المنظور اللساني إلى المنظور الاجتماعي التواصلية، معتبرا إياه مجموعة من العبارات التي تنسب إلى نظام تكوين معين بحيث نستطيع الكلام عن خطاب اقتصادي و سياسي و اجتماعي و ثقافي و ديني و غير ذلك. (حليم، 2007، الصفحات 98-99)

و هكذا فمصطلح الخطاب يتحدد من خلال الفصل بين اللغة بمفهومها المجرد -أي وهي منعزلة عن السياق الاجتماعي - وبين اللغة في حالة الاستخدام أي بوصفها "ممارسة اجتماعية" محكومة بجملة شروط وظروف تكون بها جزءا لا يتجزأ من الإطار التواصلية للمجتمع اللغوي. كما يشير أحد الباحثين في السياق ذاته إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي أن "دلالات الخطاب

اصطلاحاً تختلف عن دلالاته في المعجم، إذ يدخل في تشكيل دلالاته العلاقات التي تبين أغراضه، فيكون الخطاب بذلك إنشاء الكلام من لدن المتكلم وفهمه من لدن المخاطب عمليتين لا انفصال لإحدهما عن الأخرى [...] لأن هذه الدلالات الخطابية لا تنزل على ألفاظها نزول المعاني على المفردات وإنما تنشأ وتتكاثر وتقلب وتتغير من خلال العلاقة التخاطبية." (عبد الرحمان، 2007، صفحة 50)

ويذكر الدكتور رشيد حلیم في مقاله "حدود النص و الخطاب بين الوضوح و الاضطراب" أنه إن نظرنا إلى المقاربة المفهومية المتعلقة بالنص والخطاب، نلاحظ أن دال "النص" لم يرد في القرآن الكريم إطلاقاً في حين تكرر استخدام دال "الخطاب" في مواضع عدة؛ وهذا ما قد يوحي إلينا أن الخطاب أوسع وأهم من النص، وأن النص جزء من الخطاب، إذ يمكن اعتباره -أي النص- أداة من أدوات التخاطب. (حلیم، 2007، صفحة 99)

في حين يرى البعض أن النص يتميز بوظيفتي التواصل والإبلاغ وبأحادية المعنى، على عكس الخطاب الذي هو مصطلح حيوي له نفس الوظيفة- وظيفة التواصل- ولكنه إضافة إلى ذلك يحمل أبعاداً فكرية وزمانية ومكانية وسياقية أي أن له وظائف متعددة تختلف بطبيعتها عن النص الذي له عموماً معنى واضح ومحدد، لا سيما أن الخطاب يحمل مضامين فكرية وخطابية عديدة ومتنوعة يسعى المرسل إلى تبليغها.

أي أن النص هو "المادة الأولية" و"الرسالة" بينما الخطاب هو "الاستراتيجية المتبعة" داخل النصوص من أجل الإقناع وإيصال هذه الرسالة وتحقيق الفهم الحقيقي لها لأجل بلوغ الغاية أو الغايات التي يسعى إليها منتج هذا الخطاب من وراء خطابه؛ وتحدد دلالات هذا الأخير بالرجوع

إلى طبيعة العلاقة التخاطبية بين المرسل والمتلقي وطبيعة السياق الذي نشأ وتشكل فيه وكذا الغاية التي وجد لأجلها.

#### 1-4- الخطاب القرآني:

إن أهم ما يميز الخطاب القرآني هو "مرجعتيه" فالله سبحانه هو "المرسل"، و القرآن كلمة الله نزلت على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كلمته التي تحمل كل صفاته ولا نهائيته وديمومته على خلاف الأنواع الأخرى من الخطابات التي تفرض بعض النظريات المعاصرة موت مرسلها أو مؤلفها بمجرد الانتهاء من إنجاز خطابه ومؤلفه وخروج عمله إلى النور و تلقيه من قبل المخاطبين. (محمد الجودي، 2014، صفحة 105)

و الخطاب القرآني هو خطاب لا حدود لدواله و مدلولاته و تراكيبه ، فهو "خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية الدال، ويكون النص فيها على مثال مرسله. وهناك مرجعية المدلول، و يكون النص فيها على مثال متلقيه. وهناك أخيراً، مرجعية النص نفسه على نفسه ويكون النص فيها دالاً ومدلولاً خالفاً لزمانه الخاص و دائراً مع زمن المتلقين في كل العصور، و سمة القراءة في كل ذلك، أن كل واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته".

وهو خطاب لا ينطق إلا بلفظه، حيث لا يجوز لقارئه أن يقرأه إلا بلفظ داله، وإن اختلفوا في لغات المدلول، فالخطاب القرآني موجه للناس كافة هادياً ومنيراً ولكل متلق حاذق راسخ في العلم الحق في تأويل مدلولاته اللانهائية المستمرة المطلقة المنسجمة مع حاجات الناس وطبيعتهم في كل زمان ومكان، ولكل الحق في إعادة إنتاج النص الديني معرفياً بالإيمان الحق.

أما فيما يتعلق بالترجمة، فإن الخطاب القرآني لا يترجم وإنما تشرح مدلولاته في كل اللغات، ولا يستطيع أحد أن ينقله إلى أي لسان آخر كما ترجم الإنجيل والتوراة إلى العربية و

غيرها. و إذا كان الأسلوب يعرف أحيانا بأنه الشيء الذي يفقد العبارات أبعادها التواصلية عند ترجمتها إلى لغة أخرى كما يحدث في ترجمة الشعر حيث تقتل روحه وإيقاعاته ومجمل خواصه بالترجمة، فيفقد إعجازه في معظم مستوياته إن لم يكن بها جميعها.

فالخطاب "ممارسة اجتماعية" لا تنفصل فيها اللغة عن الموقف، أو المنطوق عن الفعل؛ إذ إنه عملية من عمليات الاتصال و إنتاج المعنى التي تكسبه أبعادا مختلفة و تضمن له الانسجام و تحقيق شروط التواصل الفعلي من خلال توافقه مع معايير الاتصال الأدبي العام. و لئن كان هناك نزوع نحو التفرّد، فلا يتجلى ذلك إلا من خلال الترتيب البنيوي للوسائل اللغوية المختلفة في علاقتها بالخطابات النوعية بأنماطها المختلفة.

أما اللغة فتبرز في النصوص الأدبية في نظام الأسلوب الذي لا يجعل اللغة وسيلة للاتصال فحسب؛ و إنما وسيلة جمالية للتأثير في المتلقي. و لقد استطاع القرآن الكريم -جل من أنزله- ابتكار أساليب تواصلية فعالة تنوعت بحسب المقام و السياق، مما جعله يتجاوب مع النفس البشرية في أبعادها المختلفة و المتنوعة؛ فمرة يخاطب فيها العقل و يرشده إلى أعمال النظر و التفكير في الخلق، و مرة يخاطب فيها الروح بأشواقها و تطلعاتها و آمالها و آلامها، و مرة يرشدها إلى الاستدلال المنطقي...و يستعمل أسلوب الترغيب و الترهيب و القصة و المثل؛ و هذا مما جعل من القرآن الكريم منظومة تواصلية بالغة التأثير. (محمد الجودي، 2014، صفحة 71)

و الخطاب القرآني هو خطاب تبليغ مرسل من رب العالمين إلى مرسل إليه هم الناس أجمعين، و حامل هذا الخطاب هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. فهذا الخطاب مخترق حدود الزمان و المكان و البيئة؛ و من ثم يحتاج فهم مضمونه إلى اعتبار متطلبات المستقبل وحاجاته، و ذلك من خلال بنية اللغة التي يتلقى بها ذلك المضمون، لا سيما إذا كان هذا الخطاب

يتبع في تأليفه نظاما محكما. فالقرآن الكريم يجسد أداة تبليغ مبنية في تبليغها، و شاملة لكل ما تقوم به حياة المرسل إليه على أكمل وجه رآه (المرسل)، فيكون بذلك خطابا مستمرا و صالحا و وافيا حاجات الإنسان الذي هو مركز الوجود وغايته. (مخولف، 1985)

و القرآن الكريم خطاب إلهي معجز، و من ثم فهو يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا - و بشكل دائم- لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية. إنه رسالة إبلاغية ربانية عالمية لكل الناس دون تحيز أو طائفية أو جغرافية معينة، أنزله الله تعالى على نبيه. و في ذلك يقول العلامة الشيخ سيد قطب "لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعا ثم لينشئ عالما و يقيم نظاما، جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيه لقبيلة أو أمة أو جنس، إنه جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني و بناء أمة تقود هذا المجتمع العالمي وأنه الرسالة الأخيرة التي ليس بعدها رسالة من السماء رسالة." (قطب، 2003، صفحة 2190)

إن هذه الرسالة الخالدة هي رسالة أبدية و صلاحيتها باقية، جاءت لتستوعب الزمان و المكان و الإنسان. و في هذا الشأن يقول الشيخ الغزالي: "فخطاب القرآن عالمي و رسالته خاتمة، و له بعد في الزمان الماضي و الحاضر و المستقبل، و له بعد في الزمان الماضي و الحاضر و المستقبل، و له بعد في المكان بحيث يشمل العالم كله." (الغزالي، 2005، صفحة 216)

الخطاب القرآني خطاب تنظمه وحدة بنيوية خاصة، فهو نظام فكري و نظام لغوي يمتاز ب (الاتساق/الترباط الشكلي) و (الانسجام /الترباط المعنوي). فلا يجاريه أي خطاب آخر في نظام دواله و دقة مدلولاته و تأليف و تألف عباراته. إنه خطاب يخاطب العقول و يناجي القلوب و يحمل مضامين تفصح عن مراد الله في توجيه حياة الناس "فلقد جاء الخطاب القرآني ليكون منهاج حياة، و خطة لمسيرة الإنسان على طول الزمان و عرض المكان و اختلاف البيئات. من هنا كان

اختيار الكلمات ثم تركيبها بعضها إلى جنب بعض، و ربط بعضها ببعض ربطا نسميه النظم أو التأليف قد روعي فيه أن يكون على نحو يحقق تلك الصلاحية." (مخوف، 1985)

من أجل هذا، لا يمكن النظر إليه على أنه مجرد أوعية لفظية محملة بدلالات لغوية فحسب، وإنما له أبعاد مختلفة. إذ لا يمكن فهم الخطاب القرآني واستنباط الأحكام منه إلا في ظل تكامل الإلمام بالأسرار اللغوية والقيم الثقافية والمفاهيم العلمية والفكرية، والممارسات الاجتماعية والخبرات الإنسانية.

فكما أن طبيعة الخطاب القرآني تأتي بوصفها كلاما دالا على ذاته، تأتي أيضا كلاما دالا على مبدعه، فهو -أي الخطاب القرآني- يضع نفسه في قلب التواصل اللساني، لذا نجده يحتوي بالإضافة إلى سلطته الإبداعية عنصرا آخر لا يتم التواصل اللساني إلا به و لا يكون بلاغا بشكل مكتمل إلا بوجوده؛ هذا العنصر هو (المتلقي) و هو عنصر متضمن في الخطاب نفسه و يؤدي دورا يكون تحين الخطاب و تعينه الدلالي على مثاله. هذا ما يجعل القرآن الكريم بوصفه خطابا و هو يرتحل عبر الأزمنة، يختلف في لحظة استقبله قراءة و تأويلا عن لحظة نزوله وحيا، إذ أنه كامل كمال صاحبه في هذه اللحظة، و لكنه عندما يغادر مرسله يكون أيضا على مثال قارئه و مفسره و هو ما يجعله خطابا آخر غير الخطاب المنزل بوصفه كاملا كمال صاحبه و كاسبا لصفاته، وهذا الأمر يعني بدون شك أن تعددية مستويات الخطاب تكون تبعا لرؤية المتلقي. (مجد الجودي، 2014، صفحة 96)

و يرجع اختلاف مستويات النص القرآني في الفهم إلى كونه نزل متعدد الفهوم، و كل متلق يتلقاه بما أوتي من قدرات على الفهم و التلقي شرط ألا يتعارض هذا الفهم مع مقاصد الشريعة الإسلامية. و من هذا المنطلق يمكننا التمييز بين النص القرآني المقدس الثابت و الفهم الديني

المتغير و المتجدد باستمرار عبر علاقة تبادلية مفتوحة بين المعرفة الدينية و المعارف التي تنتجها البشرية في كل عصر، فتتعدد أبعاد المعنى في النص "طبقا لتعدد القراء و مستوياتهم في الفهم داخل إطار اللغة الواحدة." (مفتاح ، 1994، صفحة 123)

كما لا يمكن إغفال أن عربية القرآن التي قال عنها الله عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء، الآية 195) آتية من طبيعة اللغة التي تكونت عناصرها من المفاهيم الثقافية للواقع التاريخي الذي نزل فيه الوحي. و من هنا، لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن نفصل اللغة عما هو خارج عنها أو سابق عليها. فليست النصوص الدينية نصوصا مفارقة لبنية الثقافة التي تشكلت في محيطها، وأن المصدر الإلهي لتلك النصوص لا يلغي إطلاقا حقيقة كونها نصوصا لغوية بكل ما تعنيه اللغة من ارتباط بالزمان والمكان و التاريخ الاجتماعي. بينما و إن كانت لغة النص القرآني تتعامل مع اللغة العربية لكنه تعامل خاص لذا نجد أنه دائما ما تلجأ لغة النص إلى حفز المتلقي على فعل التعقل والتذكر والتدبر. (أبو زيد، 1995، صفحة 92)

### 1-5- مفاهيم عامة حول الحجاج:

تداول مصطلح "الحجاج" أو "الحجاج" أو "المحاجة" ضمن مجالات و علوم شتى في التراث العربي الإسلامي، بالأخص فيما يتعلق بالمسائل ذات الطابع الفكري و الفلسفي و التي تتعدد فيها وجهات النظر و تتنوع فيها التأويل. هذا ما أدى لكثرة التعاريف حول مفهومه و التي دارت حول عناصر موضوعية و بنائية و وظيفية شتى. (العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، 2002، صفحة 44) كما لعبت البلاغة دورا محوريا في إبراز أهمية الحجاج أثناء التخاطب؛ لكونها تركز على جانبين اثنين في الخطاب هما :

-البيان

-والحجاج لغاية إقناع المستمع.

و كل خطاب حجاجي يستمد دلالاته و حدوده و وظائفه و مرجعياته من خصوصية الحقل التواصلية الذي ينتمي إليه و بالتالي إلى استراتيجياته الخطابية الفردية و الجماعية. و انطلاقا من هذا الطرح: نجد أن هناك: خطابا حجاجيا لسانيا و خطابا حجاجيا بلاغيا، و فلسفيا و دينيا... إلخ. و هذا ما يجعل الخطاب الحجاجي بعدا من أبعاد الخطاب الإنساني. و لكي نستقر على مفهوم علمي دقيق لمصطلح "الحجاج" يتوجب علينا بشكل ضروري أن نستبين وضعيته في مجالاته الاستعمالية الأساسية، ذلك أن وظيفته المفهومية والمنهجية قد لا تتحدد إلا في سياقها الخاص. (أعراب، 2010، صفحة 31)

### 1-5-1- دلالة الحجاج في المعاجم العربية:

الحجاج و المحاجة مصدر للفعل (حاج)، ورد في المعاجم العربية ومنها في "لسان العرب" لابن منظور "حاجته أحاجه محاجا ومحاجة حتى حجته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. والمحجة: الطريق، وقيل جادة الطريق... والحجة: البرهان، قيل: الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محاجج أي جدل.

و التجاج: التخاصم، و جمع الحجة: حجج و حجاج، و حاجه محاجة و حجاجا: نازعه الحجة؛ و حجه يحجه حجا؛ غلبه على حجته. و في الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة. و احتج بالشيء أي اتخذ حجة .

قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد، لأن القصد لها و إليها. و في حديث الدجال: إن يخرج و أنا فيكم فأنا حجيجه أي محاجه و مغالبه بإظهار الحجة عليه. و الحجة

الدليل والبرهان؛ ومنه حديث معاوية: فجعلت أحج خصمي أي أغلبه بالحجة. (ابن منظور، صفحة

(779)

و عليه يكون الحجاج عبارة عن تخاصم وتنازع وتغالاب باستعمال الوسيلة المتمثلة في (الحجة) و (الدليل) و (البرهان). فالمخاطب (المحاجج) يشترك مع المخاطب (المحاجج) في نشاط ذي طبيعة لسانية وفكرية وتواصلية باستعمال الحجة والدليل والبرهان لتحقيق غاية معينة مقصودة، وبذلك يكون الحجاج مرادفا للجدل ويقتضي كشرط طرفين بينهما جدال.

و نخلص مما سبق إلى أن دلالة لفظ "الحجاج" و معناه يستمدان من سياقه و طرفيه و شرطه التخاطبي المتمثل في التخاصم و التنازع و الغلبة و وسيلته المتمثلة في الحجة و الدليل و البرهان و غايته المتمثلة في التأثير و الإقناع.

### 1-5-2- دلالة الحجاج في المعاجم الأجنبية:

يقابل لفظ "الحجاج" في اللغة الفرنسية لفظ (Argumentation)، و الذي يدل على معان و دلالات مقارنة لتلك التي وردت في اللغة العربية؛ فحسب قاموس (Le Grand Robert) ، الحجاج هو: "القيام باستعمال الحجج أو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض عن طريقها في مناقشة معينة. (Le Grand Robert, 1989, p. 53) ويشير لفظ (Argumenter) إلى: "الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج." (أعراب، 2010، صفحة 534)

كما ورد أيضا في قاموس (كامبردج) أن "الحجاج هو الحجة التي تعلل أو تبرر مساندة أو معارضة فكرة ما." و يشير لفظ (Argue) في اللغة الإنجليزية إلى وجود اختلاف بين طرفين و محاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، بتقديم الأسباب و العلل التي تكون الحجة

(Argument) المتعلقة برأي ما أو سلوك ما. (Dictionary of contemporary English,

1989)

و من خلال هذه التعريفات نصل إلى أن دلالات لفظ الحجاج (Argumentation)

انحصرت في استعمال الحجة إما للدفاع أو الاعتراض على فكرة معينة.

و إذا ما قارنا بين المعنى اللغوي للحجاج في اللغة العربية و ما يقابله في اللغة الفرنسية و

في اللغة الإنجليزية، فإننا سنلمس تقاربا جليا، بحيث يتجسد الحجاج في كليهما في عملية جدلية

قائمة بين متكلم و متلق بحيث يقدم كل منهما أدلة و حججا لدعم موقفه و تحقيق المحاجة.

### 1-5-3- دلالة الحجاج الإصطلاحية:

يصعب حصر مفهوم الحجاج و الإحاطة به، و ذلك لكثرة الحقول المعرفية التي يستخدم

فيها "إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية و المنطقية، و البلاغة التقليدية، و في الدراسات

القانونية و المقاربات اللسانية و النفسانية و الخطابية المعاصرة." (طروس ، 2005، صفحة 6) و

عرف التهناوي في كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم "الحجة" بأنها: "مرادفة للدليل و الحجة

الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم و إسكاته و

هي شائعة في الكتب. و القول بعدم إفادتها الإلزام لعدم صدقها في نفس الأمر قول بلا دليل لا

يعبأ به." (التهناوي، 1996، صفحة 622)

و ورد في المعجم الفلسفي أن: "الحجاج يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله و

المحاجة طريقة تقديم الحجج و الإفادة منها." (مذكور، 1983، صفحة 67) و يمكننا أن نلاحظ

أن هذه الدلالة تتقارب مع ما جاء في موسوعة لا لاند؛ إذ تعرف الحجاج بأنه: "طريقة عرض

الحجج و ترتيبها، أو هو سرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها." (لالاند، 2001، صفحة 93)

أي أن الحجاج يعتبر استراتيجية لغوية تكتسب طبيعتها من العناصر المحيطة بالخطاب، و ذلك باعتبار أن "اللغة نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق." (بلخير، 2003، صفحة 120)

ففي أثناء أية عملية تخاطبية، يقوم المتكلم بنقل تصوراتهِ و مدركاتهِ بخصوص موضوع ما؛ و التي تكون في الأصل وليدة واقعه، و ذلك إما بهدف التبليغ و الإخبار أو بهدف التأثير في المستمع المتلقي للخطاب.

و بالتالي يلجأ المتكلم لإقناع المتلقي -نتيجة لاختلاف بينهما- بغية تغيير بعض معارفه و أفكاره فيستعمل خطابا حجاجيا "فالحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق." (أعراب، 2010، صفحة 100)

و بناءا على هذا فإن الحجاج: "جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه، و التأثير في موقفه أو سلوكه اتجاه تلك القضية." (العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، 2002، صفحة 44)

تشعبت مجالات استعمال لفظ الحجاج بحيث نجد أن "بعضهم يرى أن الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين أحدهما: أنت فيه لا تخرج من مجال المنطق و بذلك يكون مرادفا للبرهان و الاستدلال، و ضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات [الخطابية] الباعثة على إذعان السامع أو القارئ." (صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007، صفحة 8)

كما أن الباعث الأساسي للحجاج هو الاختلاف؛ ذلك لأن الحجاج لا يكون فيما هو يقيني مطلق ومنتق عليه، وإنما يكون الحجاج كما يقال فيما هو مرجح وممكن ومحتمل. كما أن الأدلة التي تقدمها المحاجة قد لا تكون دائما فاصلة حاسمة بحيث تثبت ما تثبته وتنفي ما تنفيه؛ إذ لا يمكن لكل مسألة أن تدور حولها محاجة واحدة ومطلقة، بل لها حقائق متعددة ومتدرجة، و على الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى، أو أن تصل إلى ما هو أقر للصواب. (صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007، صفحة 106)

و حدد الحجاج على أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لكون طابعه الفكري مقامي و اجتماعي و يأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه الوضعية التواصلية من معارف مشتركة و مطالب إخبارية و توجهات ظرفية؛ يصبو إلى الاشتراك الجماعي في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجها-أي بقدر الحاجة- و هو أيضا ذو طابع جدلي كونه ذو هدف إقناعي يستلزم بلوغه صورا استدلالية أغنى و أوسع من البنيات البرهانية الضيقة و أن يفهم المتكلم المخاطب معان أبعد من تلك التي نطق بها تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم. (عبد الرحمان، 2007، صفحة 65)

تناول الباحثون مصطلح الحجاج من زاويتين: الأولى تعنى بدراسة العلاقة بين المتكلم و المتلقي، و ما تستوجبه من استعمالات لآليات الإرسال و مراعاة لحال المتلقين، أما الثانية فتعتبر الحجاج بنية نصية و هنا يتم التركيز فقط على الجوانب اللغوية. (ثابتي ، 2006، صفحة 286) حيث ساهم هذا التركيز على الجانب اللغوي في جعل الحجاج يظهر مظهر تواصلية خصوصا من خلال الدور الذي يلعبه في العملية التواصلية؛ إذ أنه: "يأتي كشكل من أشكال التواصل و التخاطب و الحوار." (عشير، 2007، صفحة 12)

## 1-5-4 - علاقة الحجاج بمجاله المفهومي:

ارتبط الحجاج عبر مساره التاريخي بمصطلحات لظالما اعتبرت مرادفات له، لهذا يعد تداخل المصطلحات من أهم ما قد يعترض أي باحث في هذا الحقل: خاصة في بداياته الأولى، لذا وجب مقابلة مفهوم الحجاج بغيره من المفاهيم التي تلابسه و بالوقوف على حدود التداخل بينهما مثل (الجدل و البرهان و الحوار و التناحر و المناظرة و المخاصمة و غيرها) و بيان استعمالاتها بين الدلالة الاصطلاحية و الدلالة القرآنية بما يخدم موضوع هذه الدراسة فالحجاج في النص القرآني مفهوم معبر عنه بأشكال شتى من العبارات و الأساليب التي تشمل الحوار و تروم إلى الإقناع بالبراهين و الأدلة العقلية و الكونية و الفطرية، جامعا بذلك تلك الدلالات في خاصية جامعة تسمى ب "الحجة البالغة".

## 1-5-5 - الحجاج بين الحوار و الجدل:

جاء لفظ "الجدل" عند العرب مرادفا للحجاج، إذ يقول ابن منظور: "...وهو رجل محاجج أي جدل، و حاجه محاججة و حجاجا نازعه الحجة." (ابن منظور) و بما أن الحجاج حسبه هو الخصام و النزاع بواسطة الحجج حسبه هو الخصام و النزاع بواسطة الحجاج و من ثم فهو الجدل بعينه.

و نجد هذا الترادف أيضا عند ابن حزم الذي لم يرد عنده لفظ "الحجاج" إلا و هو يعني به الجدل و العكس صحيح. كما صنف الجدل إلى صنفين مستندا في ذلك إلى القرآن الكريم (ابن حزم، 1983، صفحة 23) :

الصنف الأول: و هو الصنف المحمود و المشروع، و يتمثل في الجدل بالتتي هي أحسن، من أجل إظهار الحق. و في هذا الصنف قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةُ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾  
(سورة النحل، الآية 125)، إذ أوجب الله تعالى الجدل المحمود لما يحويه من رفق وبيان والتزام  
بالحق والرجوع إلى ما أوجبه الحجة القاطعة.

الصنف الثاني: وهو الصنف المذموم، وله وجهان:

أ- وجه يجادل فيه المجادل بغير علم، و في هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ  
فِي اللَّهِ بَغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ (8) ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ  
وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (سورة الحج، الآيتان 8،9)

ب- وجه يجادل فيه المجادل نصره للباطل بشغب و تمويه حتى بعد ظهور الحق إليه، مثل قوله  
عز وجل ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق  
واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾ (الكهف، الآية 56)

و أشار محمد الطاهر بن عاشور بدوره إلى فرق دقيق بين معنيي اللفظين "الحجاج" و  
"الجدال" في القرآن الكريم يفيد بأن المخاصمة تجمع بين الحجاج والجدال، وأن الجدل منه ما هو  
على حق و منه ما هو على باطل مثلما ورد عند ابن حزم، لكنها -أي المخاصمة- قائمة في  
الحجاج على الباطل، استنادا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة، الآية  
258) و الذي يفسره كما يلي: "معنى خاصم، وهو جاء على زنة المفاعلة، ومن العجيب في كلام  
العرب البرهان المصدق للدعوى ومع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة، و أن  
الأغلب أنه يفيد الخصام بالباطل." (بن عاشور ، الصفحات 31-32)

كما يرتبط الجدل عنده إذن بقدرة الانسان على الحجاج. وهذا ما لم يفت ابن منظور الذي قال في هذا السياق: "والجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها." (ابن منظور) وفي اللغة نجد أن الجدل يحمل معنى المخاصمة والمناظرة، وأيضا مقابلة الحجة بالحجة، ويحمل أيضا معنى المغالبة. (التومي ، 1980، صفحة 7) و هو ذات المعنى الذي يحمله الحجاج، فالجدل عموما يطلق على المشادة الكلامية التي تسعى إلى تحقيق الغلبة و التفوق لأحد الأطراف و إلحاق الهزيمة بالخصم. (ابن منظور م.،، صفحة 391) في حين يوجد تعريف آخر للجدل مفاده أن الجدل عبارة عن "قدرة كلامية وبراعة حجاجية." (التومي ، 1980، صفحة 14)

و هذا التعريف يقدم وصفا للجدل بأنه عبارة عن قدرة كلامية يستغلها المتكلم و يوظفها لإقناع المخاطب، و بذلك يكون الجدل حجاجا في أحد وجوهه، إلا أن الحجاج أوسع مجالا، و ذلك باعتبار أن الغرض من الجدل هو: "إلزام الخصم و التغلب عليه في مقام الاستدلال" (أبو زهرة، 2010، صفحة 5) بينما لا يلزم الحجاج الخصم على الإذعان و القبول بل يترك له حرية الاختيار أي إن اقتنع بحججه أذعن له، أما إذا لم يقتنع فمن حقه أن يرفض و يعترض.

و هذا الترادف بين المصطلحين راجع إلى اعتمادهما على نفس العناصر المكونة للعملية التواصلية وهي (المتكلم والمستمع والخطاب)، غير أن هذا الاعتبار من طرف القدامى و بعض المحدثين من شأنه تضيق مجال الحجاج، و إغراقه في الجدل من حيث هو صناعة منطقية" (صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007، صفحة 15) و لهذا يعد اعتبار الحجاج مرادفا للجدل أمر فيه الكثير من المغالطة. و يؤكد الكثير من الباحثين من بينهم عبد الله صولة أن الحجاج أوسع مجالا و يضيف إلى ذلك "أن كل جدل حجاج، و ليس كل

حجاج جدل ."(صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007،  
صفحة 17)

المحاورة و الحوار: المرادة في الكلام، و منه التهاور (الأصفهانى، 2002) و من معانى  
المحاورة أيضا "المجاوبة من فعل الءوار الءال على المشاركة التهاور والتجاوب" (الأصفهانى،  
2002) أى أن المحاورة تتضمن معنى التفاعل بين أطراف الءطاب؛ يطرح المتكلم سؤالا أو يعبر  
عن رأى فىرد عليه المءاطب فىتتاقش معه و هنا يتقاطع الءجاج مع الءوار؛ فالءجاج ءىن  
يعرض ءءته ىرد عليه الطرف الأءر فىءاوره و يتجاوب معه و ىناقشه.

إن ىءل هذا التفاعل معنى الءجاج فىتقرب من معنى الءوار، لأنه ىتضمن ءرىة رأى  
الطرف الأءر فالمتلقى أو المءاطب فى العملية الءوارىة لءىه الءق فى أن ىرفض أو يعترض  
على ءطاب المتكلم، و هنا ىلتقى الءجاج و الءوار، و ىتضح بذلك أن الءوار ءجاج فى أء  
وءوه، من ءلال ما ىءرى فى العملية الءوارىة، إذ ىءاول كل طرف إءناع الأءر بوءهة نظره  
ءون أن ىضءط عليه من أءل إءناعه و كسب إءعانه ، و ىستغل فى سبىل ذلك كل ما تتىءه اللغة  
من آلىات و إمءانىات ءجاجىة ، و فىتقرب الءجاج من الءوار لىستغله ءالبا كوسىلة من  
الوسائل لإءناع المتلقى، و بذلك ىءءل الءوار فى صمىم العملية الءجاجىة.

و الءوار من أهم و أشهر الألفاظ المستعملة فى هذا المءال ، و ءصوصا فى وقتنا  
المعاصر، ذلك لأن الءوار بىن العقول و الشعوب من أهم ءوامل التفاهم و التواصل و التعاىش و  
التقارب بىن مءتلف التىارات الفكرىة ، "فالإسلام ىرىء للإنسان أن ىءصل على الفئاعة الءاتىة  
المرتكزة على الءءة والبرهان، فى إطار الءوار الءاءى العمىق." (فضل الله، 1996، صفءة 32)  
ف "لقد ظل الءطاب القرآنى ىمارس فعالىاته التبلىغىة بمنطق توصىلى، ىرتكز على عقلنة

المعطيات في افتراضاتها و في طرحها، فكان له ثمة في فاعلية المحاورة و ربط الصلة الفكرية مع المتلقي واسطة تبليغ نافذة أساسية." (عشراتي، 1998، صفحة 181)

و لطالما تميز خطاب الله إلى البشر في الكتب السماوية بالرسالات التي ظلت تحت الناس بتوصياته و توجيهاته، حتى إذا جاء الإسلام كان للخطاب القرآني المتزامن معه هذا الطابع الحوارى، و استمد مقوماته مما يؤهله لهذا الدور الديمومى فارتكز على قاعدة الانفتاح على الآخر و على قابلية التماور معه، في كل زمان و مكان." (عشراتي، 1998، صفحة 182)

### 1-5-6- الحجاج بين البرهان و الإقناع:

يعد البرهان من الأنماط الاستدلالية التي تتفرد بمميزات خاصة كاليقينية و القطعية و الدقة ، و هذا ما أكده ابن منظور بقوله: "البرهان الحجة الفاصلة -البينة- يقال برهن يبرهن برهنة، إذا جاء بحجة قاطعة للخصم." (ابن منظور، صفحة 271)

و في هذا التعريف يصنف ابن منظور البرهان باعتباره نمط من أنماط الحجاج لما يمتلكه من مميزات خاصة به، و يشاطره ابن حزم الرأي بهذا الخصوص بقوله: "الحجة هي الدليل إذا كان برهانا أو إقناعا أو شغبا" (ابن حزم، 1983، صفحة 39) إذ يفسح له مجالا واسعا بجعله يشمل البرهان والإقناع والشغب و حتى الدليل.

و يعرف البرهان بقوله: "البرهان كل قضية أو قضايا دلت على حقيقة حكم الشيء" (ابن حزم، 1983، صفحة 182) و منه نستنتج أن البنية التكوينية للبرهان حسب ابن حزم هي القضايا التي توصل إلى نتيجة ما و تشتمل على وظيفة إثباتية لحقائق معينة.

و أغلب الدراسات و البحوث المتعلقة بموضوع الحجاج كانت تميزه عن البرهنة، و تبين التعارض القائم بينهما، فمجال الحجاج حسب عبد الرحمان طه هو المحتمل و المؤكد و غير المتوقع، و هو لصيق دوما بالخطاب و اللغة الطبيعية، أما البرهنة فمجالها المنطق و اللغات الاصطناعية الرمزية بشكل عام، و المصطلح العام الذي يشملها هو الاستدلال؛ فكل حجاج استدلال و ليس كل استدلال حجاجا، و كذلك كل برهنة أو قياس تعتبر استدلالا و العكس غير صحيح. (عبد الرحمان، 2007، صفحة 57)

و يرى "عبد الله صولة" أنه لا أهمية من اعتبار الدراسة الحجاجية "إما برهانا ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق، و إما مجالا أوسع يهتم بدراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على ادعاء السامع أو القارئ." (صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007، صفحة 8) و لأن ربط الحجاج -حسبه- يكون إما بالجدل خاصة عند القدماء و بعض المحدثين العرب، و إما بالخطابة خاصة عند اليونان، و يرى أيضا أن البرهان أضيق مجالا من الحجاج، و لا يرقى إلى مقارنته به خاصة في العصر الحديث حيث ظهر للحجاج في الدراسات الغربية مفهوم أدق و أعمق من ما كان يعرف بالجدل و الخطابة.

و تعد المقارنة بين الحجاج و البرهان من الدراسات البارزة في تاريخ الحجاج، إذ يقول ليونيل بلينجر بهذا الشأن: "هناك فكرة تسيطر على الحجاج في جميع مراحلها التاريخية، إذ كثيرا ما يتم معارضة الاستدلال الصارم -من النمط الرياضي أو النمط الصوري- بالحجاج الذي يقترب من الجدل والخطابة." (Bellenger, 1992, p. 6)

كما يلفت الانتباه إلى تمييز جوهري و أساسي بين البرهان و الحجاج فيقول: "منذ القدم جرى التمييز بين البرهنة والحجاج؛ إذ يعود جوهر الاختلاف إلى أن الحجاج يقضي تفاعل الذوات

"esprits" "L'interaction des"، في حين تنفي البرهنة الذات، لأنها بعيدة كل البعد عن جميع التأثيرات اللغة والعواطف و عن المكان و الزمان المستعمل فيهما و عن دور المستمع و الخطيب." (Bellenger، 1992، صفحة 6)

و هذا ما يمكن تفسيره بصفة الاستقلال التي أشار إليها أيضا طه عبد الرحمان، إضافة إلى سمة أخرى يتميز بها الحجاج عن البرهان و هي إمكانية نقضه (La réfutation) (MOECHLER, 1985, p. 47) و بهذا الخصوص، يقول طه عبد الرحمان: "حد الحجاج على أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها." (طه، 1998، صفحة 226)

أما الإقناع فيقصد به لغة: الرضا، و أصله مادة (قنع)، تقول العرب: قنع بنفسه قنعا و قناعة: رضي. و تقول "أقنعي كذا أي أرضاني." (ابن منظور، صفحة 3753) و نجد في المعجم الوسيط أن معنى الإقناع: القبول بالفكرة أو الرأي و الاطمئنان إليه، اقتنع: قنع بالفكرة أو الرأي و قبله و اطمأن إليه." (مجمع اللغة العربية، 1960، صفحة 763)

أما الإقناع في الاصطلاح، فلقد حدد مفهومه حازم القرطاجني في كتابه "منهج البلاغ و سراج الأدباء" بقوله: "هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده." (القرطاجيني، 1981، صفحة 20) كما يعرفه آخرون أنه: "تقديم الحجج والمناقشات لحمل الفرد على فعل شيء أو الاعتقاد بشيء ما." (حسن، 2006، صفحة 30)

فالإقناع هنا يتمثل في عملية طرح الحجج، و محاولة حمل المخاطب على الإذعان و قبول ما يقدمه المتكلم من طرح، و هو الأمر ذاته تقريبا عند القرطاجني، و هناك أيضا من يرى

أن الإقناع هو: "العملية التي بها يؤثر الخطاب في مواقف الانسان أو سلوكه بدون إكراه أو قسر".  
(ابن عيسى، 2000، صفحة 21)

و عليه فالإقناع والحجاج يلتقيان في الكثير من النقاط المشتركة و ذلك لأن "أحدهما هو غاية الآخر و الآخر هو وسيلة الأول في بلوغ غايته. و على الرغم من هذا التداخل بين المصطلحين، إلا أن هناك حدا فاصلا بينهما يتمثل في درجة التوكيد حيث يرى أوستن أن الحجاج و لإقناع جزء من عملية واحدة، و لا اختلاف بينهما إلا في التوكيد، يولي الحجاج الدعاوي المنطقية أهمية خاصة و لكنه يجعل من اختصاصه أيضا الدعاوي الأخلاقية والعاطفية، أما الإقناع فإنه ينعكس عبر التوكيد الذي يبطل ضده." (AUSTIN & DAVID, 1966, p. 7)

إضافة إلى أن قضية الإقناع لا تتحدد في ذاتها، إنما هي مرهونة بمدى نجاعة الحجاج.  
(عشير، 2007، صفحة 22) فنجاعة الحجاج تعتمد على إقناع الطرف الثاني بما يطرحه الطرف الأول في العملية الحجاجية، و نجاعة الإقناع تكمن في مدى وصول الخطاب إلى ذهن المتلقي و إذعانه لما يطلبه المحتج. و هكذا نجد أن الإقناع يمثل القاعدة التي يسعى إليها الحجاج، وبذلك يكون هو محور الدراسة في الحجاج. (الناجح، 2007، صفحة 271)

أما فيما يتعلق بالفرق بين الإقناع والافتناع، فنجد أن بعض المهتمين بالشأن اللساني قد لا يهتم كثيرا به إلا من حيث ترتب الافتناع على الإقناع. (عبد الرحمان، 2007، صفحة 38) و لكن الخطابة الجديدة عند بيرلمان و تيتيكا تفرق بينهما، و هذا مما يغني الجانب الاستراتيجي في استعمال الافتناع بدلا من الافتناع، فالافتناع عند بيرلمان و تيتيكا هو غاية الحجاج، و يشدد المؤلفان على ارتباط الافتناع بما هو عقلي على اعتبار أنه إذعان نفسي مبني على أدلة عقلية، أكثر من الإقناع الذي قد يرتبط بما هو ذاتي باعتباره يتضمن السماح للمتكلم باستعمال الخيال و

العاطفة لحمل الخصم على التسليم بالشيء، بل إنهما يقسمان الحجاج حسب نوع الجمهور إلى نوعين: حجاج إقناعي و هو يرمي إلى إقناع جمهور خاص، و حجاج اقتناعي غايته أن يسلم به كل ذي عقل. (صولة ، 1998، صفحة 301)

إذ إن بيرلمان و تيتيكا يقولان بأن: "إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل، أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجح حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها و بطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل، أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما يحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم العمل في اللحظة الملائمة". (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 457)

و يولي هذا التعريف للإقناع أهمية خاصة، باعتباره منه لب العملية الحجاجية و مركزها، كما اعتبره بمثابة الأثر المستقبلي الذي يرجى تحقيقه بعد التلفظ بالخطاب، لينتج عنه الإقدام على القيام بعمل معين أو اتخاذ موقف سواء أو الإحجام عنهما.

و منه فإن: "علاقة الحجاج بالإقناع تتجسد أساسا في أن أهمية الحجاج تكمن فيما يولده من إقناع لدى المرسل إليه، و هذا الإقناع لا يتأتى باستعمال اللغة مما يؤكد أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عادة بقصد التأثير، و أن الحجاج وظيفة أساسية للغة، و أن المعنى ذو طبيعة حجاجية." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 457)

و في الخطاب القرآني كان الحجاج دائما عنصرا مهما في عملية الإقناع، و في إدراك الحق و قبوله، و لقد أعطى القرآن العقل مكانة كبيرة و نوه به في العديد من الآيات، حتى أنه وصف الذين لا يعلمون عقولهم بالأنعام أو أضل، ذلك أن الإسلام يصبو إلى أن يحصل الإنسان

على القناعة الذاتية المرتكزة على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة و البرهان في إطار الحوار الهادئ العميق في قضايا العقيدة وغيرها. (بلعلي، 2003، صفحة 225)

و الاقتناع هو الهدف من كل العمليات التي كان يقوم بها القرآن الكريم في عقول الناس و قلوبهم، الاقتناع الذي يؤكد الجديد في العقول و القلوب، و يهزم القديم في أنفس الناس، و إنه من هنا اعتمد القرآن الكريم في عملية الإقناع على أسلوب الجدل و الحوار دون العسر و الإكراه. (خلف الله، 1984، صفحة 117)

### 1-5-7- الحجج والخطاب الساخر في القرآن الكريم :

بداية يمكن توصيف الخطاب الساخر بأنه فعل انتقادي يأتي في سياقات نصية؛ غايتها الفضح و التندر من الخارج عن المألوف، و الهزء من القبح و الهجاء من التسلط و الاستبداد. "و حين ننظر للخطاب الساخر في القرآن الكريم نجده قد احتل مساحة ليست بالقليلة في متنه، بل إنه شكل أهم الوحدات البانية لفضائه. كما أن الخطاب الساخر وصفه أسلوبا من أساليب التعبير القرآني و وجها من وجوه مخاطباته يكتسب طابعا خاصا مستمدا من خصوصية النص القرآني الذي حل فيه من حيث الأهداف و الغايات و الأساليب و الخصائص." (محمد الجودي، 2014، الصفحات 145-146)

إلا أن القرآن الكريم حين استخدم هذا النمط التعبيري لا يريد منه إلا الجانب المشرق الذي يهدف به إلى الإصلاح و التهذيب، و الدعوة إلى نبذ كل ما يليق بالإنسان الذي أكرمه الله تعالى بالعقل. لذلك فلم يقتصر القرآن الكريم في استخدام هذا الأسلوب نفسه مع المسلمين حملة الدعوة؛ و ذلك عندما يقتربون مل من شأنه أن يمس دينهم، أو يكون عقبة في طريقهم إلى الله تعالى، و ما

ذلك إلا لأن القرآن الكريم كتاب دعوة و هداية للبشرية كلها، و وسيلة لردع المتجافين عن اتباع الحقو الفطرة السليمة.

ومن نماذج الخطاب الساخر في النص القرآني قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا لِمَا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (البقرة، الآية 93) وفي هذا يقول "الشهاب الخفاجي":  
"والإيمان إنما يدعو إلى عبادة من هو غاية في العلم والحكمة، فالإخبار بأن إيمانهم يأمرهم بعبادة ما هو غاية في البلادة، غاية في التهكم والاستهزاء." (الخفاجي، صفحة 202)

فرغم ما فعله اليهود في الماضي من الأفعال القبيحة من نقض الميثاق، والكفر بأيات الله، وعبادة العجل من دون الله، إلا أن الخطاب الساخر نعى عليهم هذا لم يكن متجاوزا إنما كان بعيدا كل البعد عن الإقذاع، وعن نبو الألفاظ، بل وعن العداء الشخصي، أو عن العداوة لذاتها؛ لأن ذلك ليس هو المقياس الذي ينظر به إلى السخرية في الخطاب القرآني المنزل، وإنما المقياس كما يقول الأستاذ والعلامة الدكتور "عبد الحليم حنفي" في "أنها مثل أعلى للسمو الذي لا يهدف إلا إلى الغاية العليا، وهي تحقق الخير للناس في دينهم ومعشيتهم. كما أن سخرية القرآن حين توجه إلى فرد أو طائفة فإنها لا تحمل طابع العداء أو الحقد لذاتها، وإنما تهدف إلى شيء واحد حينئذ وهو إزالة هذه العقبة التي تعترض طريق نشر الإسلام." (حنفي، 1997، صفحة 162)

و بالمعيار السابق، تأكدت سخرية الخطاب القرآني حينما ينعى على الأفراد من القادة والزعماء ظلمهم وعداوتهم للإسلام، وجدناه يوجد أشخاصهم -تصريحا أو تلميحا- ويرد عليهم طغيانهم على الإسلام فينال منهم بتساميه دون أن ينزل إلى مستوى البشر في إسفافهم وتبذلهم.

ونرى أسلوباً آخر من الأساليب الساخرة التي طرقها النص القرآني في خطابه وهو الإتيان بألفاظ الوعد مكان الوعيد، كما في قوله تعالى: "إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً" (النساء، الآياتان 168-169) ففي هذا الخطاب استخدم الله - عز وجل - لفظ (الهداية) وهو من ألفاظ البشارة والوعد بالخير في الدلالة على جهنم، وهذا لا يستقيم في أصل الاستعمال؛ فالكلام على خلاف مقتضى الحال؛ إذ أن الهداية مأخوذة من الهدى، وهو الرشاد، وتبيين الحق من الضلال. (محمد الجودي، 2014، صفحة 149)

ولما استعمل لفظ الهداية هنا في سياق إدخال الكافرين النار؛ دل ذلك على أن هناك علة ونكته تقتضي التوقف والانتباه، ومن ثم التحقيق في هذه الحال؛ فهؤلاء الكفار يعتقدون بأنهم الأصح منهجاً ومعتقداً والأسلم مسلكاً، وبالتالي فإن العاقبة ستكون لهم على ظلمهم وكفرهم؛ فأراد الله أن يبين لهم فساد ما اعتقدوه، وشناعة ما سلكوه، فعبر عن ذلك بصورة متفردة، وذلك أن من شأن الأعمال الصالحة أن تهدي أصحابها إلى حسن العاقبة والمآل، وتدلهم على حسن المستقر والمقام، لكن هؤلاء الكفار قد هدتهم أعمالهم إلى عكس ما يرجون ويأملون؛ هدتهم إلى حتفهم ونهايتهم وخلودهم في عذاب جهنم.

لكن المرسل (الله تعالى) أراد تحقيرهم والزراية منهم، وقطع أطماعهم، والتنبيه على قلة بصيرتهم، فخاطبهم بلفظ يحمل في طياته البشارة والوعد؛ نفى عليهم الهداية ثم حصرها في طريق واحد، أشعر هؤلاء الكفار أنه لا زال هناك بريق أمل لكن سرعان ما يتلاشى هذا الأمل، فإذا بالهداية تأتي على غير المعهود؛ فهي هذه المرة إلى جهنم وبئس المصير. (محمد الجودي، 2014، الصفحات 149-150)

ومما يلفت النظر فيما يتعلق بسخرية الخطاب القرآني هو أنها لا تأتي عن طريق المعاني المجردة بقدر ما تلجأ لأداء مهمتها عن طريق تجسيد وتصوير الموقف؛ ومن النماذج التي جسدت هذه الصورة، قوله جل وعلا: " وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ " (سورة التوبة، 34-35)

ففي استخدام القرآن الكريم لفظ (البشارة) في موضع الإنذار والوعيد، والذي جاء على خلاف المعهود، إذ إن البشارة تعني الإخبار بما يسر من الخير دلالة على أن الله تعالى أراد بذلك السخرية من الكفرة والمنافقين فأنذرهم ما أعد لهم من العقوبة لكن على غير الطريقة المألوفة؛ ليكون أدعى إلى توبيخهم والسخرية منهم والإنكار عليهم بما اقترفوه؛ و ليكشف عما انطوت عليه أنفسهم من أفعال يمجتها الشرع. وفي هذا استخفاف بعقولهم وقلة بصيرتهم وانحراف أفعالهم . (محمد الجودي، 2014، صفحة 152)

و لم يكن استخدام النص القرآني للخطاب الساخر في موضع من مواضعه مجرد فكاكة أو أسلوب ترويح للنفوس، و إنما جاء ليؤدي وظيفة حجاجية و إبلاغية مهمة، تحمل العقل حملا على التفكير والتدبر، و ما من صورة أو نموذج من نماذج السخرية في القرآن الكريم إلا و تجعل فيه هذا الطابع، طابع فتح المناقشة، و استعمال التفكير، و تحكيم العقول. (حنفي، 1997).

و القرآن الكريم ليس نسقا لنصوص محفوظة، يستقل بحفظها فريق من الناس و يجهلها آخرون، بل هو خطاب مفتوح مستوعب، تجلى من خلال: "جمع آيات التحمت عبر لحظات متدافعة في مواقع متجددة و بأغراض توجيهية معلومة سواء كان هذا التوجيه بالإعمال أو الإبطال، بالدعم والتثبيت أو بالتقويم والدحض و التصويب. و إذا ما انقضت المناسبات و الملابس بقيت

هذه الآيات - لا بمثابة الذكرى التي تسجل واقعة انقضت، و ليس كمحفظة تاريخية أو بيان توثيقي - تحتفظ بكامل فعاليتها التوجيهية النافذة عبر الزمان والمكان بالنسبة لكل موقف -إنساني أو اجتماعي أو تاريخي- يحتوي على عناصر الموقف الأساسي الذي كان سببا في النزول. و لأن المواقف التي تتخلل حياة الأفراد و الجماعات لا تخلو من عناصر تلازمها ملازمة الفطرة للإنسان. (عبد المنعم أبو الفضل، 1996، الصفحات 21-22) و من هنا يتحتم علينا حين نرجع للنص القرآني أن نتدبر في آياته، لأنه على خلاف النص الذي يتجمد في قلبه فإن الخطاب القرآني حي أبدا سياقه القراءة المتجددة.

و قد راعى الخطاب القرآني الحجاجي سياق تحققه، سواء سياق وروده أو سياق تلقيه، و ذلك نظرا لما لهما من دور مهم في فهم هذا الخطاب؛ بمعنى أنه يتحتم أن يكون هناك سياق ما للخطاب ليمارس فيه فعله و يؤسس سلطته؛ إذ لا يمكن أن يكون هناك خطاب بدون سياق أو (مناسبة) عامة أو خاصة تعمل على وجوده وتحققه، ذلك لأن بعدي التأثير والإقناع في الخطاب القرآني لا يبنيان -و لا يمكن أن يبنيا- على حجة منطقية عقلية خالصة وفق المفاهيم التي سادت في نظريات الحجاج الأرسطي و تطوراتها الحديثة و لكنه يؤسس على متكأ سياقي يتعلق بعناصر سياقية خاصة تحكم عملية التواصل والإقناع بين المرسل والمرسل إليه. (محمد الجودي، 2014، صفحة 104)

و من أهم المحددات السياقية الحاكمة بين طرفي الخطاب القرآني الحجاجي ما يتعلق بالمرسل، فمعروف أن أهم ما يميز الخطاب القرآني هو مرجعيته، فالله سبحانه وتعالى هو المرسل والقرآن هو رسالة مرسله "من لدن حكيم خبير" (سورة هود، الآية 1) على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهو بذلك يختلف كل الاختلاف عن الخطابات الأخرى التي تفرض بعض النظريات

المعاصرة موت (مرسلها/مؤلفها) عقب الانتهاء من إنجاز النص وتلقيه من قبل المخاطبين (بارت  
، 1994، الصفحات 15-25)

يمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد لتقبله؛  
ومن أجل هذا يجب أن ننتبه إلى أن فحص الخطابات الحجاجية المختلفة في النص القرآني  
سيكون بمثابة البحث في صميم الأفعال الكلامية، و أغراضها السياقية، و علاقة الترابط بين  
الأقوال، و التي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية. فوظيفة الخطاب الحجاجي منوطة بطرح  
الحجج التي تضمن (نفاذية) الخطاب اللغوي و بالتالي حصول الاقتناع الفعلي بالقضية المطروحة.  
(محمد الجودي، 2014، صفحة 105)

بينما لا يتوقف الأمر عند ارتباط الخطاب الحجاجي بما تستدعيه أساليب إجراء اللغة؛ بل  
لا بد من الأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعية الخطاب من جهة ومستلزمات المتلقي من جهة  
أخرى. فالغاية التي يتأسس عليها الخطاب الحجاجي هي مجابهة العقول والعمل على إقناعها  
بالطرح المقدم "فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل  
لمحاورتها والإصغاء إليها ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي (الاستمالة) والتحامها مع الطرح  
المقدم لأنه ما لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج يكون بلا غاية  
وبلا تأثير." (ولد محمد الأمين، 2000، صفحة 68)

فالخطاب الحجاجي لا يخرج عن كونه عملية واعية للتأثير في السلوك، بما يعني أن  
الخطاب في النهاية يشكل نشاطا لسانيا مفعما بأنشطة فكرية، تنتج عنها آثار سلوكية تتشكل في  
شكل مواقف، هذه المواقف تتركز على المنطق و توظيف الحجة التي تتمكن من النفوس والعقول  
معا ليس بقصد الفهم والإفهام فحسب، بل بقصد التأثير والتغيير.

كما ينبغي معرفة أن قوة أفعال الكلام تكمن في الأثر الذي يتولد من القول، و الذي يتحقق توافق الكلام مع حال المخاطبين -مؤمنين ومنكرين- و مع الحالة التي يقال فيها؛ من أجل هذا استخدم الخطاب القرآني بعض (الوسائل/ الاستمالات) في أسلوبين أساسيين هما: العقلي المنطقي، و الذي يعتمد على مخاطبة العقل بالحجج و البراهين العقلية المنطقية؛ و الوجداني التأثري، الذي يعتمد على مخاطبة النفوس و الضمائر من خلال الترغيب و التهيب أو من خلالهما معا، بحيث من لا يستجيب للأسلوب الأول يستجيب للأسلوب الثاني أو يجتمع للمخاطب الأسلوبان معا في الوقت ذاته. (محمد الجودي، 2014، الصفحات 108-109)

فمن خصائص التعبير القرآني في سياق استخدام الخطاب القرآني الحجاجي الاستمالة العقلية المنطقية إذ إننا نجده يقيم الحجة و يبرهن عليها حتى تستقر في نفس المتلقي، و حتى يتم التأثير بها و يتحقق لها التأثير بصورة أكثر عمقا وأكثر نفاذا. و غالبا ما يأتي هذا الاستخدام في سياق إبطال دعاوى الكفار و المشركين، و في سياق البرهنة العقلية على وحدانية الله عز وجل و حقيقة البعث و صدق الوحي و النبوة؛ مثلما جاء في قوله تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۗ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ " (سورة الأنعام، الآية 100)

وهنا يوجههم السياق القرآني بسخف دعواهم و افتراءهم، فيقيم الحجة و البرهان المنطقي ليبتلها و يواجههم و يرد عليهم بلفظ معترض بالغ الدقة، بقوله تعالى " وخلقهم " كاف للسخرية مما ادعوه ، فإذا كان الله -عز وجل- هو خالقهم فكيف يكون له شركاء في الألوهية و الربوبية.

و من الخطابات القرآنية التي جاءت مدعومة بالبراهين المنطقية المؤكدة على وحدانية الله ، قوله تعالى: "وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ

مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (البقرة، الآية 163-164)، بدأ الخطاب بقوله: "إلهكم" و في إضافتهم له تأثير في نفوسهم و هذا لمسامعهم و تهيئتها لما سيقال لهم بعد ذلك، ليتفكروا و يتدبروا، ثم ليقروا بعد ذلك وحدانية الله -عز و جل- "و الخطاب بكاف الجمع لكل من يتأتى خطابه وقت نزول الآية أو بعده من كل قارئ للقرآن و سامع فالضمير عام و المقصود به ابتداء المشركون لأنهم جهلوا أن الإله لا يكون إلا إلهًا واحدًا" (بن عاشور ، تونس، صفحة 74)

و بعد أن يقر الخطاب بوحدانية الله -عز و جل- من خلال أسلوب التفكير والتدبر دون إكراه أو تعصب، يأتي الخطاب التالي مبرهنا لهم هذه الوحدانية ومؤكدا في افتتاحية هذا الخطاب بحرف التوكيد بقوله: "إن في خلق السماوات والأرض..." فقد جاء موقع هذه الآية عقب سابقتها موقع الحجة من الدعوى، ذاك أن الله -تعالى- أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تتلقى بالإنكار من كثير من الناس فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلا التسليم بها." (الألوسي، 1994، صفحة 76)

## 1-6- ملامح الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم:

تحدد ملامح الخطاب الحجاجي انطلاقا من نص التخاطب، وبالإطار العام الذي يحيط بهذا النص، من خلال مجموعة من العناصر التي تؤلف هذا المحيط، ولهذا يمكن اعتبارها متعلقة بما هو موجود داخل النص التخاطبي في حد ذاته، بما هو خارج عن هذا النص، وحضورها مجتمعة -أو في معظمها- كفيل بإبراز هذه الطبيعة الحجاجية في الخطاب، ويمكن تحديد الملامح الأولية للخطاب الحجاجي فيما يلي:

## 1-6-1- الحجاج و مكوناته:

ينبني النص الحجاجي حسب محمد العبد في شكله العام على مكونات أساسية هي (العبد

، 2005، الصفحات 189-191) :

أ- **الدعوى:** تمثل نتيجة الحجاج وهي مراد المتكلم ومقصده من خطابه الحجاجي، والغاية منها التأثير واستمالة المستمع لقبول التصورات والمدرجات، سواء بطريقة صحيحة أو ضمنية تلميحية يستنتجها المستمع.

ب- **المقدمات:** تمثل معطيات الحجاج، وهي مجموعة المسلمات والبديهيات التي يؤسس المتكلم على منوالها حجاجه، وترتبط بنتيجة الحجاج ارتباطاً منطقياً.

ج- **التبرير:** يمثل بيان البرهنة على مدى تطابق وصلاحيّة المقدمات للنتيجة المقصودة.

د- **الدعامة:** تمثل مجموع التغييرات اللغوية التي تظهر مدى قابلية النتيجة للتطبيق.

ن- **التحفظات والاحتياطات:** والتي يضعها المحاجج مسبقاً لردود أفعال المستمع اتجاه النتيجة.

هـ- **الربط المنطقي :**

و تكون العلاقة بين أجزاء النص الحجاجي علاقة منطقية استنباطية تعتمد على القياس

المنطقي في الحكم على المقدمات والدعامات بمدى صلاحيتها للمحاجة، أكثر من الحكم على

النتيجة بالصحة أو الخطأ، فهي علاقة نطقية أكثر من كونها تصويرية كما هو في النص الغير

الحجاجي، إذ جوهر الحجاج إنشاء رابطة مقنعة بين عبارتين.

## و-القيمة الحجاجية:

كل خطاب يحمل في ذاته قيمة معينة، والنص الحجاجي تقويمي، تتحدد قيمته من الأقوال أو الأفعال أثناء المحاجة التي تهدف إلى التأثير وتغيير السلوك أو المعتقد، فالقيمة تكمن في هذا الهدف.

## ي-قوانين الخطاب :

تؤدي قوانين الخطاب دورا أساسيا وفعالا في دلالة الأقوال المستعملة في الحجاج وبخاصة قوانين الإفادة والشمولية والإخبارية، ومادام الأمر متعلقا بالتأثير في المستمع، فإن المحاجج يسعى قدر الإمكان إلى أن يلتزم في خطابه بكل ما يعرف حول موضوع الحجاج، وما يوجهه من حجة وأدلة إلى المستمع، في حدود اهتماماته وقدرته على الفهم و الاستنتاج والفائدة التي يريجوها من الخطاب .

إن مبدأ التعاون المشترك بين المتخاطبين لاستمرارية الخطاب يقضي من المحاجج شد الانتباه إلى كل ما يطرحه، سواء على مستوى المقدمات أو التبريرات أو الأدلة والحجج ليصل هذا المستمع إلى النتيجة المرجوة تصريحا أو تلميحا، م خلال التعاون القائم بينهما أثناء الحوار، بعيدا عن لغة الفرض والإجبار والزامية التقبل ضمن المحادثة المفيدة. و لقد توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطابا حجاجيا، وما جعل الحجاج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه، مثل الكلمات والتراكيب والصور، وهي تتكرر فيه تكرارا جعل منها خصائص أسلوبه المميزة. " (صولة ،

(2007، صفحة 40)

إضافة لذلك فإننا "ننطلق من فكرة بديهية جدا وهي أن القرآن خطاب، و كونه خطاب يقتضي أنه إقناع وتأثير، و مما يثبت أنه خطاب كثرة مخاطباته حتى جعلت هذه المخاطبات في القرآن علما من علومه." (الزركشي ب..، 2008، الصفحات 217-253)

و المخاطبون فيه -حسب الزركشي- نوعان على الأقل: نوع يذكر داخل النص القرآني و هذا بدوره قسمان، قسم مذكور معين باسمه أو لقبه، أو بضمير الخطاب الذي يعينه شأن خطاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- و خطاب الكافرين نحو: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" (سورة الكافرون، الآية 1)؛ و خطاب بني إسرائيل أو أهل الكتاب، و خطاب الذين آمنوا وهو كثير فيه، فهؤلاء هم المتلقون الأولون أو السامعون الأولون، و يمثلون ما يمكن أن يسمى في اصطلاح الحجاج الجمهور الخاص أو الضيق.

و قسم مذكور في القرآن لكنه غير معين ولا محدد، فالمخاطبون هنا ليسوا بأعيانهم، و الصورة النحوية التي جعلت لهم ضمير المخاطب المفرد عادة. (صولة ، 2007، صفحة 41) من نحو: " وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ " (الأنعام، الآية 93) "فانظر كيف كان عاقبة المفسدين" (النمل، الآية 14)

أما النوع الآخر من المتلقين فواقع خارج نص القرآن الكريم و غير مذكور فيه، ولكنه مع ذلك معني بالخطاب القرآني، وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكناتهم، إنه بعبارة الحجاجيين "الجمهور الكوني". (صولة ، 2007، صفحة 42)

والقرآن إضافة لكونه خطاب موجه إلى متلق فعلي أو محتمل، فهو مسرح تتحاور في إطاره أطراف الخطاب وتتجادل و يحاجج بعضها بعضا، و تكثر فيه بشكل لافت خطاب الكافرين والرد عليهم (صيغة يقولون /قل وغيرها) كما تكثر فيه حكاية أقوال المتخاصمين والمتخاطبين على

اختلاف أنواعهم، وعموما تمثل مادة (ق.و.ل) سواء أكانت في حكاية القول أم في حكاية القول والرد عليه أعلى نسبة توتر في القرآن (حوالي 1730 مرة) بعد نسبة التوتر الخاصة بلفظ الجلالة. (بن عاشور ، تونس، صفحة 233)

## 1-6-2- أشكال الحجاج في الخطاب القرآني:

جاء القرآن الكريم على سنن العرب في الكلام، وكان الحجاج أحد وجوه الإعجاز فيه، إذ أنزل ليقع به الاهتداء: "ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة." (محمد الباقلاني، 1990، صفحة 28) لكنه تفوق عليهم في النظم وقوة الحجاج "فقد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة" فكانوا لا يقدرّون على معارضته ولا على توهين حجته. (الزركشي ب.، 2008، صفحة 30) و بهذا يكون القرآن الكريم قد اشتمل جميع أنواع البراهين والأدلة: "فما من برهان و دلالة وتقسيم و تحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق بها." (محمد الباقلاني، 1990، صفحة 44)

و هنا تذكر هنا بعض الأمثلة من القرآن الكريم حسبما جاء في إحدى الدراسات حول

الحجاج القرآني: (دحمان ، 2013، الصفحات 100-103)

### أ- القياس المضمّر:

في قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ" (سورة المائدة، الآيتان 65-66)

المقدمة الكبرى الأولى (مذكورة): "لو أن أهل الكتاب...سيئاتهم "

المقدمة الكبرى الثانية (مذكورة): "ولو أنهم أقاموا... لأكلوا من فوقهم"

المقدمة الصغرى (مضمرة): لكنهم لم يؤمنوا (الأولى)؛ لكنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل (الثانية)

النتيجة: لن نكفر عنهم سيئاتهم ولن ندخلهم الجنة... (1) (مضمرة)؛ لن يأكلوا من فوقهم... (2)

(مضمرة)

## ب- قياس الخلف:

في قوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (سورة

النساء، الآية 82)

المقدمة الكبرى (مذكورة): لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .

المقدمة الصغرى (مضمرة): لكن ليس فيه اختلاف.

النتيجة (مضمرة): إذن هو من عند الله.

## ج- قياس التمثيل:

في قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ

لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا" (سورة الإسراء، الآية 99) فإله عز و جل خلق

السموات والأرض ولم يعي بخلقهن، أثبت قدرته من خلال خلقه لهذا الكون البديع، فالذي قدر

على هذا يقدر على ما دونه وما هو أكثر منه.

## د-القياس على المحال :

في قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ " (سورة الأعراف، الآية 40)

المقدمة الكبرى (مذكورة): يدخل المكذبون بآيات الله الجنة عندما يلج الجمل في سم الخياط.

المقدمة الصغرى (مضمرة): لكن يستحيل أن يلج الجمل في سم الخياط.

النتيجة (مضمرة): لن يدخل المكذبون الجنة أبداً.

وفي القرآن الكريم أيضاً دحض لحجج الكافرين من أهل الكتاب، فالله تعالى حين يرد على اليهود إذ قالوا إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة: " وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۗ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " . (البقرة، الآية 80)

فالله جل و علا يبين كذبهم من خلال استقصاء كل الاحتمالات تدريجياً واحداً تلو الآخر فهم :

-إما صادقون، أي عندهم عهد من الله وبرهان على ما ادعوا، ما يعني أنه يلزمهم إظهاره، وإذا أظهره فإن الله لن يخلف عهده، لكن لم يظهروا أي برهان .

-وإما أنهم كاذبون مفترين على الله، وبما أن الاحتمال الأول لم يحقق فالثاني هو الصحيح. وفي مواضع أخرى يلزمهم الله تعالى بإظهار دعواهم وإثباتها "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (سورة البقرة، الآية 110)

وبهذا فإن: "القرآن نزل بالشريعة الأبدية التي جاءت للكافة، ولذلك يجب أن يكون للقرآن - وهو حجته الكبرى- فيه من الأدلة والمناهج العقلية ما يقنع الناس جميعاً على اختلاف أصنافهم

وتفاوت مداركهم، وفي الحق إن أسلوب القرآن أسمى من الخطابة وأسمى من المنطق، بينما نراه قد اعتمد في مسالكه على الأمر المحسوس، أو الأمور البديهية التي لا يماري فيها عاقل، ولا يشك فيها إنسان، تراه قد تحلل من بعض قيود المنطق التي تتعلق بالأقيسة وأنماطها، والقضايا وأشكالها، من غير أن يخل ذلك بدقة التصوير وإحكام التحقيق، وصدق ما اشتمل عليه من مقدمات ونتائج في إحكام العقل و ثمرات المنطق، ولهذا لا نعد أسلوب القرآن الكريم منطقاً، وإن كان فيه صدقه وتحقيقه، وهو إلى الأسلوب الخطابي أقرب." (الكتابي، 1992، الصفحات 446-447)

### 1-7- الخطاب القرآني المضاد:

تكشف الملاحظات حول الخطاب المضاد والحجاج في النص القرآني عن ثلاث حقائق رئيسية: أولاً، يوجد خطاب قرآني بدون خطاب مضاد وبدون حجاج، أو بعبارة أخرى العديد من السور القرآنية خالية من أي آيات تتكون من خطاب مضاد أو من آيات الأمر والزجر؛ ومن جهة أخرى فإن الخطابات المضادة تشغل حيزاً معتبراً في الخطاب القرآني؛ أخيراً، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عامل التسلسل الزمني فإن الخطاب الجدلي يشهد فترات تكون فيها شدته أكثر وضوحاً من غيرها.

و يوجد حسب الدكتور مهدي عزايض هناك سبعة وثلاثين سورة قرآنية بدون خطاب مضاد وبدون آيات أمر وزجر ووعيد، وهذا ما قد يدل على أن غياب الخطاب المضاد هو الإشارة المحتملة إلى أن القرآن الكريم لم يشهد بعد آنذاك أي شكل من أشكال المعارضة من قبل مستمعين معادين له ولرسالته. و تنقسم الخطابات المضادة الموجودة في المصحف القرآني إلى خمسة محاور رئيسية: الخطاب ضد الله عز وجل (المرسل للخطاب القرآني) 29٪، الخطاب ضد النبي صلى الله عليه وسلم (المخاطب القرآني) 27٪، الخطاب ضد القرآن 20٪، الخطاب ضد علم

الآخرة 19٪، وأخيراً الخطاب ضد المؤمنين 6٪. بعبارة أخرى، فإن الخطابات المضادة تشمل جل الطيف اللفظي للظاهرة القرآنية. (AZZAEIZ, 2015, pp. 104-105)

فلا المرسل (الله)، ولا الوسيط (حامل القرآن الكريم جبريل عليه السلام)، ولا الرسالة (القرآن الكريم)، ولا حامل هذه الرسالة ومبلغها (الرسول صلى الله عليه وسلم)، ولا المؤمنون المستلمون سلموا من الجدل والمحااجة. وبالتالي، فإن الخطاب المضاد في النص القرآني هو لسان حال معارضة متطرفة و شاملة.

و من هنا يمكن تحديد وعرض هذه الموضوعات الخمس الرئيسية للحجاج القرآني وفقاً للفترات الزمنية الموافقة لنزول الوحي والمحددة على أنها مكية أو مدنية. وتجدر الإشارة إلى أن النوع الحجاجي الذي يتضمن الخطاب المضاد وآيات الأمر والزجر والإنذار والوعيد سدس يمثل تحديدا المدونة القرآنية الإجمالية. ويتوزع الخطاب المضاد بمواضيعه الخمس على ثلاث أوقات زمنية مختلفة (الماضي والحاضر والمستقبل): حوالي ثلث هذه الخطابات 38٪ ورد بصيغة الزمن الماضي ((contre-discours passé) وما يقارب النصف 46٪ جاء بصيغة الزمن الحاضر (contre-discours présent)، وما يكاد يعادل السدس 16٪ للزمن الآتي أو المتوقع (contre-discours futur)، ويمثل ثلاثتهم 9,12٪ من المدونة القرآنية الإجمالية. (AZAEIZ, 2015، صفحة 105)

### 1-7-1 - الخطاب ضد الله :

يمثل الخطاب ضد الله القضية الجدلية القرآنية الأولى، ويضم الخطاب ضد الله مجموع الآيات التي تستحضر فيها بشكل مباشر خطابات لخصوم حقيقيين أو وهميين، وحيث يذكر

مصطلح "الله" في حد ذاته أو ما يرتبط به صراحة أو بموضوعه العام ويتعلق بالله. مثلما جاء في قوله تعالى: " وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا " (سورة الكهف، الآية 4 )

وفقًا للترتيب الزمني للنزول، لا يوجد خطاب ضد الله خلال الفترة المكية الأولى، في حين يختلف الأمر بالنسبة للفترات التالية التي يشترك كل منها في عدد متماثل من الخطابات المضادة. إذ أحصى الدكتور مهدي عزايذ أربعة وعشرين خطابًا مضادًا ضمن اثنتي عشرة سورة خلال الفترة المكية الثانية؛ تسعة وعشرين خطابًا مضادًا خلال الفترة المكية الثالثة ضمن ستة عشر سورة؛ وأخيرًا، هناك تسعة وعشرين خطابًا مضادًا في عشر سور خلال الفترة المدنية .

وهكذا، فإن إجمالي الخطابات ضد الله الموجودة ضمن أربعين سورة تضم ثمانين آية و تمثل 1.28% من مجموع المصحف القرآني. حيث تمثل هذه المجموعة تحديدًا 29.62% من الخطابات القرآنية المضادة، وبالتالي تبرز باعتبارها الموضوع الأكثر ورودًا و أهمية.

### 1-7-2- الخطاب ضد النبي ﷺ :

يمثل الخطاب ضد النبي ﷺ القضية الجدلية القرآنية الثانية، ويتشكل الخطاب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم من مجموع الآيات التي نقلت فيها خطابات مباشرة لخصوم فعليين أو وهميين يتمحور موضوعها العام حول المخاطب القرآني. "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۗ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (سورة الشورى، الآية 24) وإذا ما اعتمدنا على الترتيب الزمني للنزول، فإن الفترة المكية الأولى تشتمل حسب المصدر نفسه على أربع آيات موزعة على ثلاث سور؛ والفترة المكية الثانية على سبعة وعشرين آية موزعة على عشر سور والفترة المكية الثالثة والأخيرة على واحد وثلاثين آية على مدى ثلاثة عشر سورة؛ أما الفترة المدنية فاشتملت على اثنتي عشرة آية موزعة على ثمانية سور .

يوجد ضمن أربع وثلاثين سورة، ويتجلى الخطاب ضد النبي على مدى أربعة وسبعين آية أو 1.18 % من مجموع المصحف القرآني. وهو يمثل 27.40 % من الخطاب القرآني المضاد عموماً بنسبة تتقارب ونسبة الخطاب ضد الله. و من ثم فهي تبرز كثاني أكثر المواضيع تكراراً وأهمية من بين مجمل الخطابات المضادة التي يمكن إحصاؤها. (AZZAEIZ, 2015, p. 115)

### 1-7-3- الخطاب ضد القرآن الكريم :

يمثل الخطاب ضد القرآن الكريم القضية الجدلية القرآنية الثالثة، هذا ويتشكل الخطاب ضد القرآن من مجموع الآيات التي نقلت فيها خطابات مباشرة من قبل خصوم حقيقيين أو وهميين وأين تم ذكر مصطلح "القرآن" بشكل صريح أو مضمّر بحيث يكون موضوعاً متعلقاً بالقرآن. "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" (سورة الفرقان، الآية 4)

من منظور زمني واستناداً إلى ترتيب النزول، يتوزع الخطاب المضاد المباشر المنقول في القرآن الكريم والذي يتمحور موضوعه حول القرآن على النحو التالي: تضم الفترة المكية الأولى ست آيات موزعة على أربع سور، والفترة المكية الثانية آيتين في سورة واحدة؛ في حين تضم الفترة المكية الثالثة أكبر عدد من الآيات بمجموع أربعة وثلاثين آية موزعة على خمسة عشر سورة؛ أما الفترة المدنية فتضم ثلاثة عشر آية موزعة على ست سور.

حاضر في ست وعشرين سورة، يضم مجموع "الخطابات ضد القرآن" خمسة وخمسين آية أو ما يعادل 0.8% من مجمل الخطابات المضادة عموماً بنسبة تكاد تكون مطابقة لنسبة الخطابات ضد علم الآخرة. إذ يحتل المرتبة الثالثة من حيث الأهمية العددية والموضوعية من بين جميع الخطابات المضادة المنقولة الواردة في الخطاب القرآني. (AZAEIZ, 2015, p. 112)

#### 1-7-4-الخطاب ضد علم الآخرة:

يمثل الخطاب ضد علم الآخرة القضية الجدلية القرآنية الرابعة، ويتشكل الخطاب ضد علم الآخرة من مجموع الآيات التي احتوت على خطابات مباشرة -استحضرت في الخطاب القرآني- لخصوم حقيقيين أو وهميين حيث يتمحور موضوعها العام حول علم الآخرة نحو قوله تعالى: "وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لَنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا" (سورة الإسراء، الآية 49)

هذا وبالاعتماد على القراءة الزمنية الموافقة لترتيب النزول، فإنه يمكننا أن نلاحظ أن الخطاب ضد علم الآخرة يتوزع على النحو التالي إذ استوعبت الفترة المكية الأولى سبع آيات موزعة أربع سور؛ وشهدت الفترة المكية الثانية نزول واحد وعشرين آية من آيات الخطاب ضد علم الآخرة موزعة على عشر سور والفترة المكية الثالثة نزول تسعة عشر آية موزعة على إحدى عشرة سورة. أما الفترة المدنية فاشتملت على أربع آيات موزعة على سورتين.

ويضم مجموع الخطابات ضد علم الآخرة اثني وخمسين آية موزعة على ست وعشرين سورة بنسبة تمثل 0.83% من المدونة القرآنية الإجمالية على وجه العموم، و19.25% من إجمالي الخطابات المضادة على وجه الخصوص بحيث تكاد تكون مطابقة لنسبة الخطابات التي تتمحور حول القرآن الكريم. و من ثم فهي تبرز-أي الخطابات ضد علم الآخرة- كثالث أكثر الموضوعات الخطابية شيوعًا وأهمية من بين جميع الخطابات المضادة المنقولة في الخطاب القرآني. (AZAEIZ, 2015, p. 114)

#### 1-7-5- الخطاب ضد المؤمنين :

يمثل الخطاب ضد المؤمنين القضية الجدلية القرآنية الخامسة، ويتشكل الخطاب ضد المؤمنين من مجموع الخطابات التي تدرج فيها خطابات معادية منقولة -لخصوم حقيقيين أو

وهميين - ترتبط موضوعاتها الرئيسية بالمؤمنين. مثلما ورد في قوله جل وعلا: "إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هُوَلاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (سورة الأنفال، الآية 49)

هذا ولم يشهد أي خطاب ضد المؤمنين خلال الفترة المكية الأولى، بينما شهدت الفترة المكية الثانية آيتين في سورتين مختلفتين؛ والفترة المكية الثالثة ثلاث آيات في سورتين، والفترة المدنية عشر آيات موزعة على سبع سور .

بإجمالي خمسة عشر آية موزعة على إحدى عشر سورة، تمثل نسبة الخطابات ضد المؤمنين 0.8% من مجموع الخطاب القرآني عموما و5.5% من إجمالي الخطابات القرآنية المضادة خصوصا. و من ثم فهي تبرز باعتبارها الموضوع الجدلي الأخير من حيث الأهمية العديدة من بين مجمل الخطابات المعادية التي استحضرها القرآن الكريم في آياته وسور.

(AZAEIZ, 2015, p. 122)

جدير بالذكر أيضا، أنه وعلى الرغم من أن كل قضية جدلية من القضايا الخمس تشكل موضوعًا خطابيا في حد ذاتها (الله؛ والنبي؛ والقرآن؛ وعلم الآخرة؛ والمؤمنون)، فإن كل منها ينقسم إلى موضوعات فرعية تستحضر وتحدد في مجملها صورا لمواقف وخطابات المشركين المعادية بهدف دحض حججهم و نقضها و بيان فساد معتقداتهم وخبث سريرتهم وسوء عاقبتهم.

## 8-1- موضوعات الخطاب القرآني المضاد:

### 1-8-1- موضوعات الخطاب ضد الله:

تضم الملفوظات المشككة للخطاب ضد الله ما يقارب ثلث المجموع الإجمالي للخطابات القرآنية المضادة. وتتطوي هذه النسبة المهمة للخطابات ضد الله على ثلاثة مواضيع: الذات

الإلهية، مواقف المرسل (الله) ضد الخصوم، ومواقف الخصوم ضد المرسل (الله). تتقاطع هذه الموضوعات مع نوعين من المعتقدات على حد سواء، معتقدات (تتعلق بما يتقبله المعارضون ويأخذون به) وأخرى (تضم ما يدحضه الخصم ويرفضه وينكره). (AZAEIZ، 2015، صفحة 122)

### أ-الذات الإلهية:

تعتبر من أبرز الموضوعات الفرعية تناولا والمقصود هنا تحديدا هو مجموع الجمل الخبرية التي تعود على الله عز وجل وصفاته في الخطاب القرآني المضاد، والتي يمكن حصرها في مجموع الملفوظات التي تجيب على العبارات التالية: (الله هو...) و(الله ليس...) و(الله عنده...) والله (ليس عنده...) . "وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ۗ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۗ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" (سورة الأنعام، الآية 136)

### ب-أفعال المرسل (الله) حسب المشركين:

إن الملفوظات التي تصف أفعال الله حسب الخصوم يذكر فيها "ما يفعله الله" و "ما لا يفعله". و هنا نحصي عشر ملفوظات ، أربعة منها تعارض صفات الله-عز وجل- بحيث وفقاً لخطاب مضاد أول، يدعي الخصم أنه قادر على إنزال وحي مثل القرآن.

و يبرز في الجمل الخبرية الثلاث الأخرى عداً واضح ضد الحقائق المتعلقة بعلم الآخرة وذلك عن طريق التشكيك في مقدرة الله على إقامة الساعة، والبعث والحساب. "وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ"

أَيْمَانِهِمْ ۖ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (سورة النحل، الآية 38) ويرد في الجملة الخبرية الأخيرة تأكيد للخصوم -يتعارض مع ما ورد في القرآن- يفضي بأنهم سيجزون على أعمالهم الجزاء الحسن وذلك على الرغم من إنكارهم للبعث وقيام الساعة. إلى جانب هذه الجملة الخبرية الأربع، هناك ست جمل خبرية أخرى تتمثل الغاية المشتركة بينها في إرساء تعاليم وعقيدة يدافع عنها القرآن مثل حقيقة أن الله قد أرسل رسلاً؛ الله قادر على إحداث المعجزات والآيات؛ أن الله يمتحن الناس وأن الله يأمر وأن الله يرضي وأن الله يمكنه أن يظهر نفسه على الملأ .

### ج- أفعال المشركين اتجاه المرسل (الله) :

يتضمن موضوع أفعال الخصوم تجاه الله خمسة جمل خبرية؛ من بينها: القول بأن الله محل عبادة. وبالتالي، يمكن تجيل الله. ولكن يمكن الافتراء عليه أيضاً؛ يمكن أن يكون محل شفاعاة. أخيراً، يمكن أن يقسم بالله. " وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۗ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (سورة يونس، الآية 18)

### 1-8-2- مواضع الخطاب ضد الرسول ﷺ:

من وجهة نظر الخصم، فإن المرسل إليه "الرسول صلى الله عليه وسلم" هو فعليا موضع إنكار تام وكلي. ويمكن التحقق من طبيعة هذه المعارضة من خلال خمسة وستين خطاباً مضاداً يمكن تصنيفهم وفقاً لثلاثة محاور موضوعاتية: بداية بما يتعلق بالذات المحمدية وطبيعة الرسالة المحمدية؛ وصولاً إلى أفعال النبي صلى الله عليه. (AZAEIZ, 2015, p. 127)

## أ- طبيعة الذات المحمدية:

من خلال الخطابات المضادة، يمكن تحديد سبع جمل خبرية بمثابة جمل توكيدية تصف المخاطب القرآني بازدراء. بالترتيب التنازلي للأحداث يكون النبي صلى الله عليه وسلم حسبهم: مزورًا؛ وهو بشر مثل غيره من البشر؛ أصابه مس؛ وكاذب؛ ومعلم؛ وشاعر؛ وساحر "بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ" (سورة الأنبياء، الآية 5)

الجمل الخبرية السابقة هي جمل توكيدية وتصريحية. بمعنى آخر، تحدد من هو المخاطب القرآني في نظر المعارضين، ومن "ليس هو" بالنسبة لهم. وفي هذه الجمل الخبرية الثلاث: النبي صلى الله عليه وسلم -حسب هؤلاء المعارضين- ليس منذرًا ولا بشيرًا؛ وليس على صورة موسى عليه السلام؛ وهناك أنبياء مزيفون (مثل المخاطب القرآني) ورسول حقيقيون .

لكن إلى جانب هذه الخطابات التي تدل على النبي صلى الله عليه وسلم حسب المعارضين لنبوته ورسالته، يضيف الخصوم ضمن أقوالهم وتصريحاتهم ما كان يجب أن يكون عليه المخاطب القرآني أي الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وأن الرسول الحقيقي -حسبهم- هو الذي يأتي بالدليل الملموس .

## ب- أفعال الرسول ﷺ " حسب المشركين:

ولكن الخطابات ضد النبي صلى الله عليه وسلم هي أيضا ذريعة لانتقاد أفعاله ودحضها من طرف المعارضين، وذلك بأربع طرق مختلفة: أولاً، بانتقاد عداؤه لآلهتهم؛ ثانياً: باعتبار المخاطب القرآني مسؤولاً عن مصائبهم وما يصيبهم من بأس؛ ثالثاً، بالتدديد بانتباه النبي الشديد لما يقولونه؛ أخيراً، بحصر أفعال النبي في دوره في تبليغ الوحي القرآني " وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ" (سورة الحجر، الآية 6)

## ج-أفعال المشركين ضد الرسول ﷺ :

ترتكز أفعال الخصوم ضد الرسول "ص" على موقفين اثنين: عدااء ضمني يتجلى من خلال التقليل من قيمة وشأن الوحي القرآني، إذ يدعي المنكرون للنبوّة المحمدية والوحي القرآني أنه بإمكان أشخاص آخرين أن يأتوا بمثل القرآن الكريم. أما من جهة أخرى، فهم تارة يتظاهرون بالطاعة، وتارة يعصون ويجدون مبررات لعصيانهم . "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا" (سورة الفرقان، الآية 6 )

### 1-8-3- موضوعات الخطاب ضد القرآن الكريم:

شكل القرآن نفسه موضوع انتقاد ومعارضة، وذلك بإثارة الشكوك حول الوحي القرآني وإنكار المصدر الإلهي له والتصرف ضده. (AZAEIZ, 2015, p. 131)

### أ- ظاهرة الوحي القرآني :

يسلط القرآن الكريم بواسطة الخطابات المضادة الضوء على الكيفية التي ينظر بها المعارضون إلى القرآن الكريم. حيث تصف هذه الخطابات في خمس جمل خبرية ما يقوله القرآن الكريم عن نفسه. كما يذكر فيها بشكل متكرر أن القرآن الكريم "منزل" وهذا ما لا ينكره المعارضون. أما الجملة الخبرية الثانية المرتبطة بالقرآن الكريم فهي تدور حول مفهوم "الكتاب" الذي يفهم على أنه وحي شفهي ومكتوب. زيادة على ذلك فإن الوحي الذي يرفضه ويعارضه هؤلاء هو مجرد خطاب ودعوة وأساطير الأولين " وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" (سورة الفرقان، الآية 5)

## ب- مصدر الوحي القرآني:

يتبع تلقي الوحي القرآني في الوقت نفسه دحضه، ويتضمن جانبين اثنين: إما بتحديد "ما يمثله" القرآن الكريم أو "ما لا يمثله". والمستهدف الفعلي عموماً هو "حامله" أي الرسول "ص" ومرسله أي الله "عز وجل" وحتى الخطاب نفسه أي القرآن الكريم. فالقرآن الكريم بالنسبة لهؤلاء المعارضين كلام "افتراه بشر". هذا ويُنظر إلى أصله بشكل مختلف: إذ يدعون أيضاً أنه قد يكون نتيجة "تأثير خارجي" على المخاطب القرآني "خطاب" جاء به رجل ممسوس؛ و"كذب" أعانه عليه قوم آخرون. ومن هذه الخطابات ما يستهدف القرآن الكريم بشكل مباشر دون التوسط بالمرسل أو المرسل إليه الأول. "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (سورة الشورى، الآية 24)

وبشكل مماثل، ترد في الخطاب المنقول المباشر ضد القرآن الكريم الموجه مباشرة ضد القرآن ست ملفوظات تحدده وفقاً لما ليس عليه: بداية باعتبار أن القرآن الكريم خطاب غير جلي وغير واضح؛ وأنه ليس جديراً بأن يؤمن به الناس؛ وأنه ليس منهاج هداية؛ وأنه ليس خطاباً معجزاً ولا وحي.

## ج- أفعال المشركين ضد القرآن الكريم:

إن عداً هؤلاء المعارضين للقرآن الكريم لا يقتصر فقط على الحط من قيمته ببيان كذبه وبطلانه، فالمعارضة فاعلة إلى حد ما، إذ تتمحور حول أربعة مواقف يمكن تصنيفها حسب درجة هذا العدا: أولاً التحدي؛ ثم التشويه، ثم الدحض والتنفيذ، ثم الرفض التام والقاطع. إن هذا الدحض القرآني - وإن كان وارداً بشكل متكرر - لا يعبر عن رفض قاطع، وإنما هو ضرب من الجدل الذي يدعو المعارضون - من خلاله - الرسول "ص" كحامل له للرد تعجيزاً له واستهزاء بما جاء به

من الحق " ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ" (سورة محمد، الآية 26)

#### 1-8-4- موضوعات الخطاب ضد علم الآخرة:

يمثل الخطاب ضد علم الآخرة أحد الموضوعات القرآنية الرئيسية ورابع قضية جدلية، ويتوزع على اثنان وخمسين آية من القرآن الكريم، وينطوي على ثلاثة مواضيع فرعية: البعث؛ وقيام الساعة؛ والحساب. (AZAEIZ, 2015, pp. 134-135)

##### أ- البعث:

يعتبر "البعث" من أكثر الموضوعات تواترا في مجمل الخطابات ضد علم الآخرة في القرآن الكريم، ويرد في ثلاثة وثلاثين آية قرآنية. يبين فيها الخطاب القرآني كيف ينظر المعارضون للبعث وكيف يتصرفون إزاءها " قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ " (سورة المؤمنون، الآية 82)

##### ب- الساعة الآخرة:

يعتبر موضوع "الساعة" أقل تواتر من موضوع البعث في الخطابات ضد علم الآخرة، ويرد في خمسة عشر آية قرآنية، تستحضر فيها خطابات المعارضين ضد القرآن الكريم وتوصيفاتهم وتسمياتهم له لدحضها وبيان بطلانها "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " (سورة الملك، الآية 25)

ويمكن تلخيص الموضوع الرئيسي في السؤال التالي: "ما الساعة؟"، بمعنى: "متى يكون

البعث؟" وهنا ينكر البعث وتدحض الخطابات المرتبطة بعلم الآخرة بواسطة عبارات قرآنية

استفهامية، بينما تدحض أيضا في آيات أخرى بشكل مباشر أي دون اللجوء إلى أسلوب الاستفهام .

## ج- الحساب:

يشمل موضوع "الحساب" خمس آيات قرآنية، ويتمحور النقاش -في مقام أول- حول زمن "الحساب" الذي يتوقعه المعارضون الذين عصوا الله وحل عليهم غضبه. ومن ناحية أخرى، حول هوية الأشخاص الذين يدخلون الجنة. ويمثل تطرقهم لموضوع "الحساب" تعبيراً عن العداء الذي يكونه اتجاه النبي "ص" فيتحدونه بواسطة خطاباتهم ليعجل الله بقيام الساعة لإثبات صدق نبوته "وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۗ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (سورة البقرة، الآية 80)

### 1-8-5- مواضع الخطاب ضد المؤمنين:

تشمل موضوعات الخطاب ضد المؤمنين خمسة عشر آية، وتتمحور حول المؤمنين من منظور المعارضين وكيف ينوون أن يتصرفوا اتجاههم. (AZAEIZ, 2015, pp. 137-138)

#### أ-المؤمنون في نظر المشركين:

وصف هؤلاء المعارضون للمؤمنين بالصفات الأكثر قبجا وسلبية. و استحضر الخطاب القرآني نفسه هذه الصفات وأعاد استخدامها صفة بصفة لبيان موقفهم ودفع إساءتهم. فبالنسبة لهم: المؤمنون أقل تفضيلاً منهم عند الله، وبلهاء تم خداعهم "إِذَا تَنُتَّلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا" (سورة مريم، الآية 73)

#### ب- أفعال المشركين ضد المؤمنين:

تتجلى أفعال المعارضين ضد المؤمنين من خلال الخطاب القرآني في صورتين: إما أن يحاولوا إقناع المؤمنين باتباع ملتهم والاعتقاد بعقيدتهم؛ أو أن يدعوا الإيمان ويتظاهروا باتباع

عقيدة المؤمنين تمويها ونفاقا. "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ؕ أُولَئِكَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ" (سورة العنكبوت، الآية 10)

### 1-9-1- موضوعات الرد القرآني:

لا تختلف موضوعات الرد القرآني عن موضوعات خطابات المعارضين التي يستحضرها الخطاب القرآني بشكل متناسق في نفس الآية. ففي مقابل الخطابات ضد الله، ترد في الرد القرآني موضوعات تدل على وحدانية الله - عز وجل - وعظمة خلقه؛ وفي مقابل الخطابات ضد النبي "ص"، ترد في الرد القرآني المواضيع التي تدعم سلطة "المرسل إليه" وتنصره و تؤيد مواقفه وتثبت نفسه ؛ وردا على الخطابات المعادية للقرآن الكريم، يورد الخطاب القرآني في موضوعاته ما يؤكد صدق الوحي ومصدره الإلهي؛ أما فيما يتعلق بالخطابات ضد علم الآخرة، فإن الخطاب القرآني يورد موضوعات تثبت حقيقة الساعة والبعث والحساب؛ و في مقابل الخطابات ضد المؤمنين، فإن القرآن الكريم يرد بتجريم "كفر" خصومه ودحض باطل قولهم كما ينكر عليهم أفعالهم وصددهم عن السبيل. (AZAEIZ, 2015, p. 139)

### 1-9-1- الرد القرآني على الخطابات ضد الله :

إذا ما تأملنا مليا الردود القرآنية على الخطابات ضد الله، تبرز أمامنا حقيقة واحدة؛ وهي: أنها تركز أساسا على تعزيز الثناء على الله - عز وجل - وحمده وذكر نعمه وفضله على خلقه؛ وذكر الله لنفسه وأسمائه وصفاته الجوهرية و وحدانيته وعظمة خلقه وسعة رحمته ومغفرته ولا محدودية قدرته؛ وعلمه بما يقترف الكفار وما ينتظروهم من عقاب وسوء جزاء " وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۗ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ " (سورة البقرة، الآية 116)



### 1-9-4- الرد القرآني على الخطابات ضد علم الآخرة:

تكاد موضوعات الرد القرآني -فيما يتعلق بالخطابات ضد علم الآخرة- تتماثل مع موضوعات الرد المتعلقة بالقضايا الجدلية السابقة: إذ في مقام أول موضوع الكفر وإدانتته؛ ومن ثم موضوع البعث والحساب؛ وقدرة الله المطلقة ولا محدودية علمه؛ وكون الله هو الخالق؛ وأن قيام الساعة وعد حق؛ وأخيرا تحدي هؤلاء بالإتيان ببرهان على أقوالهم "وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ" (سورة السجدة، الآية 10)

### 1-9-5- الرد القرآني على الخطابات ضد المؤمنين :

شمل الرد القرآني على خطابات الكفار ضد المؤمنين موضوعين رئيسيين، يتمثلان في كفر هؤلاء وإنكارهم لما أنزل إليهم من الحق. هذا ويتخذ الخطاب القرآني من الرد على هذه الخطابات وسيلة للتذكير بقدرة الله وعلمه " قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۚ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا" (سورة الأحزاب، الآية 18)

و إذا كان الخطاب القرآني المضاد عبارة عن "صوت" لخطاب الخصم، فلا بد من معرفة كيف يبني هذا الخطاب "المنقول" هوية الخصم، وما هي الاستراتيجيات المفعلة في سبيل ذلك وماهي الآثار المترتبة على المستمعين أو القراء؟

### 1-10- طبيعة المشركين:

تختلف طبيعة المعارضين باختلاف السياقات القرآنية والاستراتيجيات الخطابية، والتي يمكن التعرف عليها من خلال العودة إلى الأجزاء الثلاثة التي تشكل الخطاب القرآني المضاد. إذ تشارك كل منها في بلورة هذا الوصف الدقيق والمعقد. فالخطاب المضاد يتكون من: خطاب تمهيدي يتعلق عموما بموضوعه العام، ثم خطاب منقول عن الكفار سواء ضد الله "عز وجل"، أو

النبي "ص"، أو القرآن الكريم، أو علم الآخرة، أو المؤمنين؛ يليه الرد القرآني عليه. وانطلاقاً من أشكال هذه الأجزاء المشكلة للخطاب المضاد ومحتوياتها والاستراتيجيات الخطابية التي تفعلها تتبلور وتتحدد هوية المعارضين وطبيعتهم: حيث ينكرهم الخطاب التمهيدي ويذكرهم بصيغة المبني للمجهول، وفي الثاني تعرض وتثقل أقوالهم، والثالث يرد عليهم ويظهر حقيقتهم حسب مشيئة المرسل "الله". (AZAEIZ, 2015, p. 144)

### 1-10-1- الخطابات التمهيدية واستراتيجيات بناء هوية المشركين:

الحقيقة المشتركة التي تتجلى في جميع الخطابات التمهيدية للخطاب القرآني المضاد هي عدم وجود تسميات صريحة للخصوم. في حين تفسر الآثار الاستراتيجية الناتجة عن هذه الحقيقة أسباب هذا الغياب. هناك ما لا يقل عن ثلاثة أسباب، والتي نذكر منها استراتيجيات: عدم التمييز والديمومة والتباين.

يقصد بـ "عدم التمييز" أن الخطاب القرآني يخفي و"يغرق" هوية خصومه في المجهول بصورة مقصودة. و تلعب عدم التسمية هنا دوراً في التقليل من قيمة الخصم وشأنه، وفي الوقت نفسه في توسيع أفق الاستقبال بحيث يمكن توجيه الخطاب القرآني لجماهير مختلفة على مدى الزمان والمكان. كما تمثل نوعاً من التواطؤ الخفي يخلق أيضاً بين المرسل "الله" والمستمعين المؤمنين الذين يظهرون نوعاً تضامناً على حساب الخصم الذي تم استحضاره والتعارف عليه ضمناً. يعتبر التقليل من قيمة الكفار، وتوسيع أفق الاستقبال، والتواطؤ الخفي بين المرسل والمؤمنين -بما فيهم "الرسول ص"- بمثابة آثار خطابية تعززها استراتيجية ثانية تتجسد من خلال لا محدودية الأحداث المثيرة للجدل القرآني. إن عدم تسمية الخصم يؤدي في الواقع إلى إمكانية تجدد أحداث الخلاف مع كل قراءة (أو استماع) للخطاب القرآني. (AZAEIZ, 2015, p. 156)

فكون هوية الخصوم غير محددة بإطار تاريخي معين و هذا ما يظهر من خلال غياب تسمية الأشخاص مع استثناءات قليلة يجعل شخصياتهم تبدو وكأنها حولت وأعيد تمثيلها من جديد بواسطة النص نفسه مع كل قراءة أو استماع. أما الاستراتيجية الثالثة المطبقة فهي الاستراتيجية المتعلقة بـ "تأثير التباين"، والتي تتمثل في إعادة تمثيل الهوية المحتملة للخصم بواسطة الأجزاء النمطية للنص القرآني. وبالتالي، فإن عدم تسمية الخصم بشكل مباشر يعني منحه هوية يحدد معالمها الوصف القرآني .

وبهذا، يُفهم في سياق النص القرآني أن هذه الهوية تتبلور حول تعابير وألفاظ متنوعة و انتقاصية ولكن أيضًا حول عناصر استعراضية (غالبًا ما تكون موجزة جدًا) لما يقبل عليه الخصوم الكافرون من أفعال. ولكن إذا ما وردت هذه التوصيفات في الجزء الذي يتبع خطاب المعارضين، فإن الخطاب القرآني يستعمل وبشكل متكرر خطابات تمهيدية قلما تكون بريئة دلاليًا ومجردة من أي معنى ضمني. ذلك لأنها تتميز بإيراد عناصر عرض موجزة توجه بشكل استراتيجي معنى الخطاب المضاد وتشارك بشكل كامل في تحديد معالم هوية الخصوم من خلال عرض أفعالهم .

### 1-10-2- خطابات المشركين واستراتيجيات بناء هويتهم:

يتميز الخطاب القرآني المضاد بخاصية استحضار خطابات المعارضين، وهذا ما يتطلب ترك مسافة معينة بين هذه الخطابات والمتحدث القرآني الذي يذكرها دون أي تعليق أو إضافة في المقام الثاني من الخطاب القرآني المضاد. وبهذا يكون قد فصل نفسه عن هذه الخطابات التي ينقلها لتبني الموضوعية، وعرض الأحداث والأقوال كما هي، تحريًا للصدق، وإبقاء على الواقعية في السرد والعرض كتقنية مسبقة تدخل فيما بعد في إطار الاستراتيجية العامة للحجاج المتضمن في الخطاب القرآني المضاد. (AZAEIZ, 2015, p. 158)

وتتجلى القوة الحجاجية الناتجة عن هذه التقنية في كون الخطاب القرآني يفرض نفسه كخطاب حقيقي وفعلي لدرجة أنه لا يخشى أن يحيل الكلمة إلى معارضيته وخصومه من الذين كفروا به وبمن أنزله وبمن تلقاه وبلغه وحاولوا فتنة من اتبعه. فكلما كانت الخطابات المنقولة عن الخصم أكثر عنفاً وتطرفاً كلما اكتسبت مزيداً من الصدق والواقعية، لذا نجد أنها ترد بشكل نمطي ومتكرر في الخطاب القرآني.

ويلعب هذا التكرار دوراً استراتيجياً هاماً، على حد تعبير غواسمي العروسي: "لا توجد حقيقة زائدة في الخطاب. وهذه حقيقة وجبت الإشارة إليها (...). فهي تشير إلى العنصر الأساسي في المحتوى المرسل، وتتزامن مع ما يريد المتحدث الحفاظ عليه من أي ضياع وهلاك حتى لا يضر بوضوح رسالته." (LAROUSSE, 1977, p. 139)

### 1-10-3- خطاب الرد القرآني واستراتيجيات بناء هوية المشركين:

يلعب خطاب الرد القرآني دوراً حاسماً في بناء وتشكيل هوية الخصم. وكما رأينا سابقاً، وفي إطار ما يسمى باستراتيجية "التباين"، فإن الهوية التي لم يتم الإفصاح عنها في الخطابات التمهيدية "مستبعدة" في الوصف المتضمن في خطاب الرد القرآني الذي يعتبر أهم جزء يسلط فيه الضوء على هوية الخصوم وطبيعة أقوالهم وأفعالهم؛ إذ نجد الخطاب القرآني في مقام الرد يصف ويحكم ويدين الخصوم. و إذا ما حاولنا الاستشهاد بأمثلة من المدونة القرآنية المتعلقة بالخطاب ضد الله: يوصف الخصوم على أنهم: فاسقون، مفسدون، ظلمة، كفار، كاذبون، جاحدون... ويوعدون بأشد العذاب (AZAEIZ, 2015, p. 159)

ومن خلال هذه السياقات المساهمة في البلورة الاستراتيجية لهوية الخصوم، من الممكن إذن أن نستنتج أن هناك ثلاثة أشكال لهوية الخصوم في الخطاب القرآني: هوية تستنتج من خلال

التسميات القرآنية المخصصة لندائهم والتوجه إليهم؛ وهوية تستنتج من خلال وصف القرآن الكريم لمواقفهم وأفعالهم؛ وهوية تستنتج من خلال عرضه لمعتقداتهم وبيان فسادها .

ويمكننا من ناحية أخرى تحديد ثلاثة أنماط من الخطاب داخل الخطاب القرآني المضاد، حيث يغلب على النمط الأول الطابع الوصفي؛ وعلى الثاني الطابع الحواري؛ في حين يتميز النمط الثالث بهيمنة النمط الميتا نصي أين يتزايد تدخل المتحدث بخصوص الخطابات المنقولة ومرسلها. ويوظف كل نمط من هذه الأنماط -ما يتوافق مع طبيعته ووظيفته واستراتيجياته الخطابية- من عناصر معجمية ودلالية وسياقية...

كما يسود النمط الوصفي في الخطاب القرآني المضاد، فنجده يركز بشكل خاص على تصوير مشاهد عذاب الجحيم في مقابل ملذات الجنة، حيث تكررت هذه المقابلة في مواضع شتى منه. ولكن خلف هذا الوصف المتكرر تخفي غاية جدلية واضحة، كما يشير الدكتور "مصطفى بن طيبي": "يسعى الخطاب الوصفي إلى قول شيء حقيقي، وفي الوقت نفسه، يعمل كاستراتيجية لإقناع أي قارئ أو مستمع بصدقه، ومنه نجد التهديد بالجحيم كعقاب والوعد بالجنة كجزاء. (Ben Taibi, 2009, p. 140)

ويشير قاسمي العروسي من جهته إلى أن "التمهيد للحوار هو الاعتماد على كلام ما كمرجع واقعي، أو بالأحرى، وبطريقة أكثر دقة، هو السعي لإضفاء نوع من الواقعية على الشخصيات و حواراتهم. مما يمنح كلام المتلفظ مقبولية تزيد من مصداقيته". حيث يبني المرسل القرآني تفاعلات لفظية تتيح مساحة لمقابلة الأفكار فيكون بذلك فاعلا رئيسا لا يتردد في التدخل، بعبور حدود التواصل، وإزالة سياق النقاش وإعادة توجيهه. (LAROUSSI, 1977, p. 126)

## 11-1- الترجمة و الحجاج:

بالجمع بين نظرية أنسكومبر و ديكر و والاتجاهات المعاصرة لنظرية الخطاب والترجمة، نجد أن اللغة ليست مجرد نظام بسيط من العلامات التي تسمح بنقل أفكارنا بالمعنى السوسيري للمصطلح، ولكن أيضًا أداة للإنجاز والتواصل والإبداع. وفي هذا السياق، تبرز التداولية اللغوية حقيقة أن أي ملفوظ يمتلك إضافة إلى طابعه الإعلامي عددا من العلامات تكسبه طابعًا حجاجيا يوجه المتحدث نحو نتائج ملموسة.

كما يمثل أي نص نتيجة تفاعل المؤلف والقارئ، بما في ذلك فئة المترجمين أيضًا، و تسمح لنا هذه الحقيقة برؤيتها أيضًا كعملية اتصال لأغراض محددة. من أجل التمكن من تحقيق فهم جيد للنص وتفسيره في اللغة الهدف، من المفترض أن يتمتع المترجم بمهارات دلالية تمكنه من توضيح المعلومات التي تحتويها العناصر المعجمية. ويُفترض أيضًا أن يمتلك مهارات جدلية تداولية و حجاجية مرتبطة بالوحدة النصية المصدر. إن الإمساك بالمقاصد الحجاجية المعقدة للألفاظ التي تشكل الأصل يستوجب من ناحية، الرجوع إلى الإطار الثقافي والتاريخي والاجتماعي العام لمجتمع لغوي معين؛ ومن ناحية أخرى، إلى العناصر المرجعية التي يتم تحديثها بالكامل على المستويين الخارجي والداخلي للوحدات النصية المعنية بالترجمة. (PETRESCU, 2012, p. 156)

أظهرت نظريات علم اللغة والخطاب التي طورها أنسكومبر و ديكر، أن بعض الظواهر ذات الطبيعة التداولية والقصدية ظلت على هامش الدراسات الدلالية. فيقول ديكر: "لا أستطيع أن أتصور أن هناك معنى لا يلبي مقصد حجاجيا" (DUCROT O. , 1983, p. 157) و نتيجة لذلك، فإن تفسير أي مقطع لفظي بغرض الترجمة يعتمد أساسا على العلاقات الحجاجية

القائمة مع الملفوظ ككل أو مع النص الهدف. في الواقع، تتضمن هذه الرؤية المفاهيمية للحجاج سلسلة من التفسيرات المحتملة المستمدة من عملية الفهم نفسها والتي تكشف عن جوانب نصية جديدة لم يتم استغلالها بعد كما يجب. فالحجاج متجذر بعمق في المستوى الدلالي للملفوظات، وللوصول إلى المتغيرات التفسيرية المحتملة التي تحدد المعنى الحقيقي، من الضروري أخذ هذا البعد بعين الاعتبار. ذلك لأن العوامل الإخبارية (الإعلامية) ترتبط بشكل وثيق بالعوامل الحجاجية للملفوظات .

و يمكن تعريف الحجاج على أنه "نوع خاص من العلاقات الخطابية يتمثل في تقديم ملفوظ ما كنقطة بداية لسلسلة من العلاقات المجاورة التي تخدم نتيجة معينة" (PETRESCU, 2012, p. 157) سواء أكان الحجاج شفهيًا أم كتابيًا، فإنه يفترض نشاطًا خطابيًا شديد التعقيد، تتدخل خلاله ظواهر لغوية وعمليات فكرية. فالهدف المنشود من استخدام الاستراتيجيات الحجاجية هو إنتاج خطاب من المفترض أن يضم متلقي الخطاب إلى صف مرسله بأرائه ومواقفه وتصرفاته.

كما يهدف الحجاج المصمم على هذا النحو إلى الحد من النزاعات الناجمة عن اختلاف منظومات القيم الخاصة بالمتحاورين وخلق مواجهة بين خطاب أولي ورد فعل محتمل من جانب المتلقي سواء أكان سلبيًا أم إيجابيًا. وبالتالي، نلاحظ أنه لا يمكن ترجمة وتفسير أي وحدة نصية دون تحليل مسبق للجهاز الحجاجي المفعّل فيها، بواسطة مناقشة الحجج المستخدمة والتعرف على دور أدوات الربط والعوامل الحجاجية وتوقع الأشكال التي يمكن أن تأخذها في الترجمة بحيث تؤدي نفس الوظائف التي تؤديها في الأصل.

و سعى دوليل في هذا الإطار إلى الجمع بين نظرية الحجاج ونظرية الترجمة، ويعتبر أن الترجمة "عملية فكرية تتمثل في التعبير عن ترجمة الفكر في خطاب معين" (DELISLE, 1980,

(p. 44) ويركز على أهمية الآليات التي تربط الأفكار في عمليات النقل اللغوي نحو: مهارة الكشف، من بين أفكار النص، على تلك التي تمثل دعائم التطوير والبراعة الكبيرة في التلاعب بالمفاهيم من خلال توحيدها بواسطة روابط منطقية هي الصفات الأساسية للمترجمين الجيدين. كما يعتبر الترابط الذي ذكره كل من دوليل و ديكر و بين النصوص والأنظمة الحجاجية أحد الخصائص الأساسية للنصوص والتي يفضلها يصبح تفسيرها ممكنًا. فالعملية الترجمة التي لا تأخذ في الاعتبار البنية الحجاجية يرجح أن تحيد عن المسار بحيث تعجز عن حل غموض النصوص التي تتبنى استراتيجيات حجاجية تخرج عن المؤلف. (PETRESCU, 2012, p. 159)

وتتحدد احتمالات الترجمة أيضًا بواسطة النظام الحجاجي، لأنه طالما أن النتائج التي يصل إليها المترجم لا تتوافق مع النتائج التي يسعى المتحدث إلى بلوغها، فستتعدد التفسيرات المحتملة والتي غالبًا ما تكون مضللة. إضافة إلى أنه لكل لغة جهازها الحجاجي الخاص بها، فحتى ولو كانت الكثير من الجوانب مشتركة بين اللغات. فهي بشكل عام متميزة حسب ديكر و؛ على غرار الصيغ النحوية مثل أدوات الربط، الظروف، إلخ. التي تضمن التسلسل المنطقي والتماسك الدلالي داخل الجمل وال فقرات والتي تضم في نفس الوقت العناصر التداولية مثل التلميحات والافتراضات والمعتقدات والعادات الثقافية الضمنية وأصوات المؤلفين ووجهات النظر المتعددة.

## خلاصة

يسعى مرسل الخطاب أثناء العملية التواصلية إلى إرسال خطابه و إيصاله للمتلقي باستخدام تراكيب و مفاهيم مشتركة و استراتيجيات و تقنيات معينة تمكنه من تبليغ رسالته إليه لضمان التأثير فيه و تحقيق التفاعل بينهما، أي أنه يحرص على تبليغ الخطاب إلى المتلقي المستهدف بالطريقة التي تضمن فهم هذا الأخير لمعانيه و تعزز من قدرته على كشف الحجاب عن مقاصده و أغراضه .

فمرسل الخطاب لا يمكن يرسل خطابه في غياب سياق معين، كما لا يتجلى الخطاب دون استعمال الآليات و الأدوات الخطابية المناسبة و من هنا يتجسد مفهوم الاستراتيجيات الخطابية في كونه "طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة و التحكم بها.

و يتضح مما سبق طرحه أن الاستراتيجية الخطابية هي بمثابة طرائق ينتهجها المخاطب للوصول إلى أغراضه المنشودة من خطابه، و الخطاب القرآني هو خطاب عام موجه لكل الناس على اختلاف الأزمنة و الأماكن، قد اتخذ استراتيجيات عدة لإيصال مقاصده إلى المخاطبين كافة على اختلاف طبقاتهم، فخاطب كل صنف منهم وذلك بما يتماشى مع طبائعهم و طبقاتهم و قد تنوعت هذه الاستراتيجيات في الخطاب القرآني المضاد، فأحيانا ترد بصيغة تصريحية و أحيانا تكون ضمنية و تلميحية حسبما تقتضيه مواضيعه و مقاصده و سياقات إنتاجه و تلقيه.

## الفصل الثاني:

ترجمة الخطاب القرآني المضاد في ضوء التداولية

## تمهيد

ارتبطت العملية الترجمية باللغة لكونها من أهم الأدوات التي تعين المترجم على تحقيق التواصل بين مستعملي اللغات المختلفة، و لأجل نجاح العملية الترجمية عمد المترجمون إلى جانب اللسانيين إلى التدقيق في تراكيبها و دلالاتها و ابتكار آليات يعتمدونها لاستنباط مقاصدها و تحديد أهم الركائز التي تساعد على النقل السليم من لغة إلى أخرى. و من هنا ارتأيت أن أقف في هذا الفصل على بعض نظريات الترجمة التي اقترنت بالدراسات اللسانية التداولية، لأصل إلى توضيح دور نظرية الحجاج التداولي في إنجاح عملية ترجمة الحجاج.

## 2-1- تحليل الخطاب؛ من اللسانيات الوصفية إلى اللسانيات النصية:

و إذا كانت العلوم المختلفة تعنى بوصف النصوص فإن ذلك يتم طبقاً لمناهجها ووسائلها وأهدافها المختلفة، فقد تولت البلاغة قديماً وعلم الشعر دراسة الأبنية الخاصة والوظائف الجمالية والبرهانية و الإقناعية للنصوص الأدبية، واهتم البلاغيون بدراسة بعض المظاهر الخطابية قصد إبراز وعيهم بتماسك الخطاب وارتباط أجزائه ببعضها البعض، لأن البلاغة تسعى إلى الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيرى قادر على شد انتباه المتلقي و التأثير فيه، و قد انطلقت مباحث متعددة في علم البلاغة من منطلق المعالجة النصية لظواهر الإيجاز و الفصل و الوصل و غيرهما. (بوقرة، 2017، صفحة 50)

هذا و أكدت نظرية النظم نفسها النظام والاتساق بين الكلمات والعبارات والدلالات الكلية و الخاصة. كما أسهم المفسرون العرب بنصيب وافر في كشف التماسك الدلالي للنص القرآني في ضوء اعتبارات سياقية كمفهوم المناسبة بين الآيات والسور. وفي النظر اللغوي الحديث، تحملت اللسانيات على عاتقها مهمة وصف وتحليل الأبنية النحوية التي يقوم عليها النص ممثلة في الجمل

بالإضافة إلى الاهتمام بالشروط والخواص التي تتصل بالسياقات المختلفة التي تستعمل فيها التراكيب اللغوية، كذلك كان اهتمام كل من علم النفس وعلم التربية متوجها نحو الطرق المختلفة لفهم النصوص وكيفية استيعابها وإعادة صياغتها. و يقوم علم النفس الاجتماعي وعلوم الاتصال الحديثة أيضا بالبحث عن التأثيرات التي تحدثها الأبنية اللغوية (النصوص) في آراء وسلوك المتلقين. وإذا كانت هذه العلوم المختلفة تتفق في فكرة المادة الأساسية التي يبنى عليها البحث والتحليل ألا وهي «النصوص»، إلا أنها تختلف في تحليلها وكيفية توظيفها. (بوقرة، 2017، صفحة 50)

و عرفت اللسانيات الغربية تطورا ملحوظا في دراسة اللغة، وأوجه استعمالها بالانتقال من موضوع الجملة إلى موضوع النص الذي بات بؤرة التفكير اللساني الحديث، وفي ضوء العناية المتزايدة بوظائف النص التواصلية والتأثيرية والجمالية شرعت في دراسة كيفية انتظامه وتماسكه والأسس التي يحقق من خلالها أغراضه في التخاطب، مما حفز إلى ظهور لسانيات النص وتحليل الخطاب أو تحليل الخطاب اللساني وهدفه البحث في كيفية اتساق النصوص وانسجامها، وأغراضها في التواصل، وكان لهذا العلم تأثيره في الدراسات العربية المعاصرة للنص. مما يوجب إعطاء نظرة شاملة للتطور الذي عاينته نظرية تحليل الخطاب من خلال تطور آرائها النظرية في مقاربة الخطاب والنص مع بيان حدودهما في اللسانيات المعاصرة.

كان لنشأة اللسانيات على يد اللغوي "فردينان دي سوسير" أثرا كبيرا في تطور مناهج لغوية ونقدية تعنى ببنية النص ذاته وبمعايير بنائه، وكانت رؤيته منطلقا لأعمال واتجاهات لغوية ونقدية متعددة لعل أبرزها في أوروبا حلقة كوبنهاجن بزعامة برونالد وهيلمسليف، وحلقة براغ بريادة رومان ياكبسون. (فضل، 1996، صفحة 34) و بتطور العناية بالنص نشأ ما عرف بنحو النص

من رحم البنيوية الوصفية القائمة على نحو الجملة في أمريكا، إذ نشر "ز. هاريس" بحثا اكتسب أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة فيما بعد يحمل عنوان "تحليل الخطاب" و الذي نشر لأول مرة سنة 1952 في مجلة « Languages »، في عددها الثالث عشر من سنة 1969. (الشاوش ، 2001 ، صفحة 38)

و لقد كان هاريس أول لساني يعد الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني، كما قدم منهجا لتحليل الخطاب المترابط واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي (الفاقي، 2000، صفحة 17) مستخدما إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النص، ولكي يتحقق هذا الهدف فإنه لا بد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية والسلوكية وهما في نظره (عبد المجيد، 1998):

أولا: قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة إذ لا بد من تجاوز ذلك إلى ما هو خارج الجملة؛ ثانيا: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي مما يحول دون الفهم الصحيح، ومن ثم اعتمد منهجه في تحليل الخطاب ركيزتين هما :

#### 1-العلاقة التوزيعية بين الجمل.

2-الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، ويؤكد هاريس أنه بالإمكان تصور تحليل الخطاب انطلاقا من ضربين م المسائل هما في الحقيقة أمران مترابطان: أما الأول فيتمثل في مواصلة الدراسة اللسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة في نفس الوقت، وأما الثاني فيتعلق بالعلاقة بين الثقافة واللغة. (الشاوش ، 2001 ، الصفحات 38-39)

في حين أن هذه الإشرافة لم تدم طويلا حينما حان وقت الممارسة والتطبيق ف "على الرغم من عنوان مقال (هاريس) الواعد (تحليل الخطاب)، إلا أنها كانت مخيبة للآمال؛ لأن العمل وفقا للتقاليد البلومفيديّة أنتج "طرقا شكلية لتحليل الحديث أو الكتابة" (Coulthard, 1985, p. 3) وبذلك "بقي تحليلا جمليا" (بن عروس، 2006، صفحة 164) كسابقه رغم إشارته لإمكانية توسيع التحليل.

ومع ذلك، لا أحد يستطيع أن يقلل من شأن ما قام به هاريس، فقد كان الرائد في هذه الوجهة المنهجية، على الأقل على مستوى التنظير، الذي يشهد له بأنه "من أوائل اللغويين من حيث تحديده للنص بأنه الموضوع الحقيقي لأوجه الوصف اللغوي" وبذلك ظل مرتكزا أساسيا، له مكانته في الدراسات النصية إلى اليوم. (بوزغادة ، 2017، صفحة 132)

وفي هذا يقول جمعان عبد الكريم "أما المؤسس الحقيقي لعلم اللغة النصي فهو الهولندي فان دايك (بن عبد الكريم، 2009، صفحة 20) الذي صرح بإمكانية التعميد لهذا الاتجاه الجديد آنذاك فقال: "لقد توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالبا عند حدود وصف الجمل...وأما في علم النص، فإننا نقوم بخطوة إلى الأمام، ونستعمل وصف الجملة بوصفه أداة لوصف النصوص، وما دما سنتبع هنا المكونات المعتادة للقواعد، ونستعمل النصوص المستخدمة بغية وصف الجمل، فإننا نستطيع أن نتكلم عن قواعد النص." (دايك، 2004، صفحة 147)

تعد هذه الالتفاتة المؤسسة البداية الفعلية لدراسة النصية كعلم مستقل على يد فان دايك الذي كان "يسعى لإقامة لسانيات نصية تدرس البنية النصية، ومظاهر التماسك في النص، ويأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنوية والسياقية والثقافية." (يقطين، 1989، صفحة 15) كما كان يهدف إلى "إقامة تصور متكامل حول النص منذ 1972م؛ حيث ظهر كتابه: بعض مظاهر نحو

النص (Some aspects of text grammar) ، وظل كذلك حتى 1977 مع كتابه: النص والسياق (Text and context) ، حيث بدأ ينطلق من تحليل سيكولساني للخطاب والنص رابطا بين الدلالة والتداولية. " (يقطين، 1989، صفحة 14)

و هكذا تزايد الاهتمام بهذا العلم وكثرت حوله الدراسات والتأليفات، وظهر له رواد مقتدرون، أمثال روبرت دي بوجراند (Robert De Beaugrand) ، و ديسلر (Deisler) ، وهاليداي (Halliday) ، ج.م. آدم (J.M. Adam) ، جليسون (Gleason)، هارفيج (Harweig)، برينكر (Brinker)، وفاينريش (Weinrich) ؛ ورغم ما أحدثه (فاندايك) ومن عاصره من المتخصصين من تطورات في هذا العلم "غير أن الدراسات النصية لم تبلغ أوجها إلا مع اللغوي الأمريكي (روبرت دي بوجراند في الثمانينات من القرن العشرين. و مما ألفه في هذا المجال، كتاب "مدخل إلى لسانيات النص (1981) (Introduction à la linguistique textuelle) "، وقد جاءت فيه إشادة بجهود فان دايك في هذا الميدان. وكان قد ألف قبل ذلك كتابا على جانب كبير من الأهمية يحمل عنوان "النص والخطاب والإجراء (Text, discourse and Process) " (الصبيحي، 2008، صفحة 63)

و تبرز أهمية دراسة فان دايك للخطاب في إبرازه للبعدين المكونين لمفهوم الخطاب، فهناك البعد الدلالي للخطاب بما يقتضيه من ترابط وانسجام وهناك البعد التداولي، ما يقتضيه من سياقات وأفعال كلامية و تداوليات الخطاب.

هذا و تبقى المحاولات في هذا الشأن أكثر من أن تحصر في الوقت الحالي، فقد طغت الدراسات النصية على كل التخصصات، ذلك أنها اعتمدت في نشأتها و تطورها على جل التخصصات، حتى صارت علما متداخل الاختصاصات، متعدد الاتجاهات، فأنتج ذلك تمايزا و

تنوعاً من حيث المنطقات و الكيفيات التي تتناول من خلالها النصوص و الخطابات و إن تقاربت الأهداف و الغايات، و التي يحملها التحليل الوافي و الشامل بغية الوقوف على كيفيات تحقق النتاج النصي و الخطابي من حيث الاتساق و الصياغة، و من حيث الفهم و التأويل، دون إغفال الجماليات الفنية و القيم البلاغية، لتحقيق تواصل أفضل يجمع بين متانة النسيج و ووضوح المرام.

(بوزغادة ، 2017، الصفحات 133-134)

## 2-2- الترجمة و تحليل الخطاب :

استمر التمييز بين ترجمة كلمة بكلمة و ترجمة معنى بمعنى -الذي تأسس خلال امبراطورية الرومان- موضع نقاش بطريقة أو بأخرى، فظل يعاود الظهور مرة تلو الأخرى حتى في وقتنا الحاضر، مع درجات مختلفة في التأكيد تبعا لاختلاف مفاهيم اللغة و التواصل. (باسنت، 2012، الصفحات 67-70) كما ظلت الاتجاهات المتنوعة تتنازع طرق الترجمة، وإن العديد من أصحاب الاتجاه التقليدي في الترجمة كانوا يميلون إلى استبعاد دور الحدث التواصلية داخل الترجمات، صارفين همتهم إلى تحري التوزيع المنتظم للعناصر اللغوية والقواعدية، فيميلون ميلاً واحدة على الأشكال اللغوية ويعزلونها عن غلافها التواصلية، فيعدونها محط الأنظار وما عداها لا تجب دراسته ما دام ذلك الغلاف سريع الزوال وغير قابل للتأطير. (عبد العزيز ، صفحة 4127)

و في الحقيقة، إن تلك الأغلفة تكون أحيانا المفتاح السحري لفك شيفرة رموز اتصالية مستغلة. فإذا ما حملتنا الترجمة على مواجهة نص تتداخل فيه العناصر اللغوية مع أخرى سياقية وثقافية واجتماعية ومجمل الأنساق الحافة بالفعل اللغوي فنحن لا محالة أمام خطاب، بالمفهوم الشامل للكلمة.

" و انطلاقا من اعتبار الترجمة عملا خطابيا، ارتفعت الأصوات الداعية إلى استخدام التحليل في عملية الترجمة. فقد أكدت سيليسكوفيتش على ضرورة ترجمة المعنى الذي ينقله الخطاب، وركزت ك. هيس على أولوية الوظائف النصية قبل الشروع في الترجمة، وأشار كوسيريو في مواضع عدة إلى أن الترجمة لا تدخل في إطار اللغات بل النصوص. (عبد العزيز ، صفحة 4127)

و في هذا السياق يقول بول ريكور في كتابه "عن الترجمة": "المترجمون يعرفون ذلك جيدا، إن النصوص وليست الجمل ولا الكلمات هي التي تريد ترجمة. والنصوص بدورها هي جزء من مجموعات ثقافية، من خلالها نعبر عن رؤى مختلفة للعالم... هذه الاعتبارات تدفعني إلى القول بأن مهمة المترجم لا تتوجه من الكلمة إلى الجملة فالى النص ثم المجموعة الثقافية، ولكن العكس. فبتمثله لقراءات واسعة لروح الثقافة ينزل المترجم من النص إلى الجملة فالى الكلمة." (ريكور، 2008، الصفحات 60-61)

و في الحقيقة "إن الترجمة عملية معقدة ومتعددة الجوانب، جوهرها النقل، وأساسها التطابق على مستويات مختلفة، وفقا لمكونات النص الشكلية والمضمونية والأسلوبية والتأثيرية أو الانفعالية." (محمد عطية، 1986، صفحة 22) حتى أن بلانشو لم يجد شكلا توضيحيا لفعل الترجمة ومحاولة التقريب بين لغتين أقرب من صورة هرقل وهو يحاول ضم ضفتي بحر إلى بعضهما، وكأنه يشير إلى أن فعل الترجمة المثالي أمر مستبعد. (بن عبد العالي، 2001، صفحة 61) وتكمن إشكالية الترجمة الأبدية الفعل نفسه أي "الربط بين مفاهيم اللغة المصدر ومفاهيم اللغة الهدف في مستوى أعلى من التطابق...ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الفرق بين لغتين لا يتحدد في مستوى الأصوات والدلالة والصرف والتركييب فحسب، وإنما أيضا في كون أعضاء المجموعتين

اللسانيّتين لا يفصّحون عن أفكارهم ولا يعرفون عن أحاسيسهم بالزاد اللغوي الواحد. فكل مجموعة طورت عادات لغوية انطبعت بفعل الزمن في اللغة وخصت بعض الخصائص. فما يميز الترجمة حق الميز، سياق العلاقات بين ثقافتين، بين عالمين للفكر والإحساس." (عبد العزيز ، الصفحات 4130-4131)

أضف إلى ذلك ما تعج به مؤلفات المنظرين من تكبيل وتقييد لمهمة المترجم: "دور المترجم هو إعادة صياغة رسالة ليس هو صاحبها، وتوجيهها إلى جمهور ليس هو المقصود أصلاً في توجيه الرسالة." (عوض، 1988، صفحة 109) و تأكيد آخر: "أما المترجم فهو محروم من الحرية الإبداعية والفكرية؛ لأنه مقيد بنص تتمتع فيه صاحبه بهذا الحق من قبل، وهو مكلف الآن بنقل هذا السجل الحي للفكر من لغة لها أعرافها وتقاليدها وحضارتها إلى لغة ربما اختلفت في كل ذلك." (عناي، فن الترجمة، 2000، صفحة 7)

هذا و يجب الإشارة إلى أنه ليس مفروضاً على الباحثين في علم الترجمة إمداد المترجمين بوسائل حرية بأن تسعف غاياتهم بحلول موجزة وإجابات ناجزة لما قد يعترضهم من عقبات، فذلك متروك إلى كفاءة المترجم وخبرته. فالهدف هو" أن يحذق المترجم عناصر اللغتين الأصل والمستهدفة وأن يمهر التجول بينهما، وأن يستثمر الإجراءات التداولية -مثل الافتراضات المسبقة والاستلزام الحوارية والقصدية واعتماد مبدأ إفادة المخاطب" حتى يستنهض مكونات النص الأصلي ويقارب سياقاته المتنوعة الفكرية والمعرفية والثقافية." (عبد العزيز ، صفحة 4129)

و إذا ما نحن حاولنا ربط المعطى التداولي بالفعل الترجمي، كان لزاماً علينا توضيح أن مجال دراسة المعنى هاهنا "لم يقتصر على معنى الكلمة ومعنى الجملة بل شمل قصد المتكلم، فكان ولا بد أن يؤخذ السياق في الحسبان مع هذا التوسع في ميدان دراسة المعنى. فراح اللغويون

يدرسون قصد المتكلم وعلاقة ذلك بالسياق اللغوي والخارجي وبالمتلقي. وتجاوزوا الجملة إلى وحدات أكبر هي الجمل و الملفوظ و غيرها ومع هذا التوسع في ميدان دراسة المعنى توضحت معالم علم جديد يدعى التداولية يتميز عن علم الدلالة في كونه يهتم بقصد المتكلم وباختلاف المعنى باختلاف السياق... وهذه التغييرات في الآراء كان لها ما يماثلها في الترجمة (...). فأصبحت عملية النقل تعتمد على معنى الكلمات وترتيبها في الجمل، في السياق." (يوئيل، 1997، صفحة 322)

و إذا كان مفهوم السياق أكثر المفاهيم تأسيسا للنظرية التداولية، فإنه يشكل في اعتقادنا الحجر الأساس في ترجمة الخطاب. ولقد عبر يوجين نيدا عن ذلك قائلا: "لقد زاد اهتمامي بفهم دور السياق في فهم النصوص وترجمتها على مر السنين، لأن تجاهل سياق النص غالبا ما يكون مسؤولا بشكل أساسي عن أسوأ الأخطاء في فهم معنى نص وإعادة إنتاجه؛ وعلاوة على ذلك ينبغي فهم السياق على أنه يؤثر كل مستويات النص: البنيوية والفونولوجية والمعجمية والقواعدية والتاريخية بما في ذلك الأحداث التي أدت إلى إصدار النص، والطرق التي تم من خلالها تفسير النص في الماضي، والاهتمامات الواضحة لأولئك المهتمين بالترجمة." (نايدا، 2009، صفحة 9)

إن تأثير السياق الحاسم والواضح على بنية النص والخطاب أثناء عملية الترجمة يتجلى عبر ثلاثة أبعاد أساسية: البعد التواصلية، على اعتبار أن الترجمة هي حدث اتصالي، شأنها شأن أي نشاط يتعلق بالتفاعل اللغوي، وبالتالي لا يمكن أن يتم تناولها بشكل منعزل، بل كجزء لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية؛ ثم هنالك البعد التداولي، وهو عنصر مكمل للبعد التواصلية. والتداولية هي علم يدرس العلاقة بين اللغة وسياقها وهي بذلك تقوم بتحديد الهدف والقصد من الخطاب؛ وهناك أخيرا البعد السيميوطيقي: حيث تتناول السيميوطيقا النصوص على أنها رموز في إطار منظومة

من القيم التابعة لثقافة معينة. وهكذا يبدو النص أو الخطاب عبارة عن وحدة أساسية للتحليل السيميوطيقي، وحدة لها مجموعة من الوظائف التواصلية، ذات بنية نصية هدفها بلوغ غاية خطابية معينة؛ الأمر الذي يجعل من الترجمة عملية تحويل يراعى فيها القواعد الداخلية الخاصة بكل نص أو خطاب يكون حتما مشروطا بشروط سياقية متعددة ومتنوعة.

كما أن البعد السيميوطيقي لا يقتصر على تحليل أنواع التواصل والدلالة والمعنى من خلال أنظمة العلامات بل هو مطالب بفك شفرة النص والخطاب من خلال تحليل الأنظمة المختلفة للرموز التي تؤدي وظائفها في إطار ثقافة معينة. وهكذا يمكن النظر إلى الترجمة على أنها انتقال من وحدة سيميوطيقية إلى وحدة أخرى في إطار ظروف من التساوي ترتبط بالرموز السيميوطيقية والحدث التداولي والمتطلبات التواصلية العامة . والمتأمل في هذه الأبعاد الثلاث يجد أن هناك تداخلا بينها كونها تتشارك في تأثيرها على الفعل الترجمي عبر معالجة الخطاب، والتفاعل بين النص والسياق .

و إذا ما نحن فتحنا باب التكيف التداولي للترجمات، يؤكد لنا المخضرم الروسي كوميساروف أنه: ينبغي التأكيد على أن النسبة بين تداولية الأصل والترجمة قد تكون مختلفة، وأنه ليس لزاما أن تتمثل الكفاية التداولية للترجمة في الحفاظ على تداولية النص المصدر...نذكر أن الحديث هنا ليس عن جودة الترجمة ولا يعد تحقيق مثل هذا التماثل هدفا إلزاميا لأية ترجمة، بل هو في بعض الحالات بعيد المنال؛ بسبب خصائص متلقي الترجمة، واستحالة تحديد ردة فعل متلقي الأصل." (كوميساروف، 2010، الصفحات 134-135)

و هنا يمكن أن نرخي الحبل قليلا ونمنح المترجم قدرا من الخيارات فيصبح: "إما ملزما بالحفاظ على الإمكانيات التداولية للأصل أو يحاول جعل النص يتمتع بإمكانات تداولية أخرى، أقل

أو أكثر تداولية من المصدر. وفي هذا السياق يختار المترجم لنفسه دورا في الاتصال بين اللغات  
ففي الحالة الأولى يؤدي دور الوسيط الذي يقوم عمله وفقا لأمانة الترجمة. وفي حالة أخرى يتدخل  
بشكل فعال في عملية التواصل. وفي كل حالة بعينها يختار المترجم لنشاطه هذا النهج التداولي أو  
ذاك. " (كوميساروف، 2010، الصفحات 145-146)

لنصف إلى ذلك أن همة المترجم -حال انصرافه إلى فعل الترجمة- تتوزع بين أربعة  
أهداف، أولا: ضمان الفهم الكافي للمتلقي للمعلومات المرسله. ثانيا: بلوغ تأثير تواصلية معين،  
وخلق الموقف العاطفي المرجو عند المتلقي، واستدعاء استجابة عملية عنده، وأخيرا: تحقيق نتيجة  
خارج الترجمة أو لحل مهام إيديولوجية أو سياسية أو معيشية لا علاقة لها بالاستتساخ الكافي  
للأصل. و في كل ترجمة يمكن أن يتبع المترجم هدفا واحدا. أو عددا من الأهداف السابقة، وقد  
يتطلب كل منها تكييفا تداوليا خاصا لنص الترجمة. " (كوميساروف، 2010، الصفحات 112-  
113)

و لكي يكون العبور الترجمي آمنا مستقرا، ويتمكن المتلقي من فهم نص وفد إليه بلغة لا  
يعرفها، ينبغي مراعاة أننا "عندما نقوم بالترجمة فعلينا أن نضع في اعتبارنا أن الترجمة ليست مجرد  
نقل لنص لغوي جاء من لغة أخرى أو ثقافة أخرى فحسب لنص جاء من لغة أخرى وثقافة أخرى  
بل يجب أيضا مراعاة المقصد الاتصالي الذي يكمن وراء النص؛ وذلك أن كل لغة تعبر عن ذلك  
المقصد الاتصالي بشكل مختلف. " (أورتادو ألبير، 2007، صفحة 49)

و أقول هنا مستحضرة كلام ألبرت نيوبرت و غريغوري شريف: "لا يمثل الخطاب والنص  
أوعية محايدة يملؤها المتكلمون والكتاب بالمحتوى اللغوي. فهناك علاقة معقدة بين المحتوى العقلي  
والحدث التواصلية، أي بين المعرفة والعملية. و هناك هدف تواصلية دائما خلف النصوص وأنواع

الخطاب، بينما يعكس شكلها اللغوي ذلك الغرض لذا وجب على المترجمين أن يعرفوا عن المحتوى الفكري للتواصل ويستخدموا اللغة المناسبة لتحقيق ذلك الغرض." (نيوبرت و شريف، 2008، الصفحات 50-51)

## 2-3-الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة:

إن موضوع الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة قد غدا علما قائما بذاته، و مؤطرا بجملة من النظريات المعرفية التي تضبط أوجه استعماله في المجالات المختلفة، وقد قادت اجتهادات الغربيين في مجال الحجاج المفكرين العرب إلى بناء موقف حول هذا الدرس الجديد بالنسبة إليهم والضارب في أعماق تراثهم في الوقت نفسه. (بن خراف، 2010، صفحة 170)

و قد تبلورت هذه الجهود العربية في أعمال مجموعة من الباحثين في المغرب العربي الكبير، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: د. طه عبد الرحمان، د. أبو بكر العزاوي، د. محمد العمري...

## 2-3-1-الحجاج الفلسفي (طه عبد الرحمان):

لقد حدد مفهومه لطبيعة الحجاج وآلياته، وقدمها في مصنفين: " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" و "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"؛ حيث حاول من خلالها إيجاد رابط منطق لغوي، طوعه في سبك نظرية حجاجية تأخذ بقوة المنطق وسلامة اللغة، لذلك تميزت نظريته للحجاج بطابع فلسفي .

و يعرف الحجاج بقوله: " حد الحجاج على أنه فعالية تداولية لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي، قائم بلوغه على التزام صور استدلالية." (عبد الرحمان، 2007، صفحة 65)

و يختلف هذا المنهج الاستدلالي "الحجاج" باختلاف مراتب السلوك التخاطبي للإنسان، حيث جعل طه عبد الرحمان مراتبا ثلاثة هي: "الحوار، والمحاورة، والتحاور" و هي مراتب تناسب تضييقا ثلاثيا للنظريات المتداولة في مجال التحليل الخطابى، والتي سماها على التوالي: "النظرية العرضية" و"النظرية الاعتراضية" و"النظرية التعارضية". فأما مرتبة الحوار "النظرية العرضية للحوارية" فإن العارض ينتهج في عرضه مناهج الاستدلال البرهاني، ويتميز هذا الأخير بخصائص صورية من تجديد وتدقيق وترتيب، ومن بسط للقواعد وتمايز للمستويات واستيفاء الشروط واستقصاء العناصر. (عبد الرحمان، 2007، صفحة 41)

أما مرتبة المحاور والنظرية الاعتراضية للحوارية، فإن المحاور يستند إلى المنهج الاستدلالي "الحجاج" وهو نموذج ينتمي إلى المجال التداولي، كأن يطوي المحاور الكثير من المقدمات والنتائج، ويفهم من قوله أمورا غير تلك التي نطق بها، وكأن يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التليل به. و يرى أن هذا المنهج هو سبيل احتجاجي لا برهاني يقيد فيه المقام التراكيب، ويرجح فيه العمل على النظر. (عبد الرحمان، 2007، صفحة 46)

و أما مرتبة التحاور و النظرية التعارضية للحوارية، فإن المتحاور يعتمد منهاجا استدلاليا هو "التحاج" وتتمثل طرقة في أن يثبت المتحاور قولاً من أقاويله بدليل ثم يعود ليثبتته بدليل أقوى، وأن يثبت قولاً بدليل ويثبت نقيضه بعين الدليل. (عبد الرحمان، 2007، صفحة 51)

و لقد عقد بابا في كتابه "اللسان والميزان" سماه الخطاب والحجاج؛ إذ يرى أن "الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية والحجاجية والمجازية، بناء على أنه لا كلام بغير خطاب، ولا خطاب بغير حجاج، ولا حجاج بغير مجاز." (طه، 1998، صفحة 213) ويرى أن الحجاج عبارة عن فعل تكلمي لغوي مركب أو مؤلف من أفعال تكلمية فرعية، وموجهة إلى إثبات أو إبطال

دعوى معينة. (طه، 1998، صفحة 262) و أن كل حجة خطابية ترد في سياق حوارى معين ينبغي على المتلقي استحضارها للتعرف على بنيتها والتمكن من تقويمها. (طه، 1998، صفحة 270)

كما أعطى تعريفا للحجاج انطلاقا من مبدأين أساسيين هما: "قصد الادعاء" و "قصد الاعتراض"، يقول: "إذا حد الحجاج على أنه كل منطوق موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها." (طه، 1998، صفحة 226) هذا وتحدث في كتابه عن "نماذج التواصل وأنواع الحجاج" ومراتب الحجاج وركز على دراسة السلم الحجاجي، ودراسة الاستعارة باعتبارها من أقدر الأساليب التعبيرية على إمداد المخاطب بقوة التفرع و التكوثر.

## 2-3-2- الحجاج في البلاغة العربية (محمد العمري) :

يعد محمد العمري أبرز بلاغي عربي يظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة والحجاجية خاصة، سواء من خلال دراسته المبكرة حول بعض مظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة، أو من خلال ترجماته المتعددة لبعض رواد هذا التيار، أو اهتماماته الطموحة لإعادة رسم خارطة عامة للبلاغة العربية القديمة، روافدها اتجاهاتها امتداداتها وخصائصها الصوتية والنحوية والمنطقية. (محمد الأمين الطلبة، 2008، صفحة 287)

يهدف العمري في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي" إلى التنبيه إلى البعد الإقناعي للبلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضرا عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثم نسي مع هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربية. ولقد طبق فيه الباحث التصور البلاغي لبييرلمان و أولبريخت - لعمقه وبساطته وارتباطه مباشرة بأرسطو، مما يسمح باستيعاب الجاحظ ببسر كما يقول - على

الخطابة العربية في القرن الأول الهجري، مجتهدا في كشف آلياتها الإقناعية التي تميزها على الشعر. (بن خراف، 2010، صفحة 180)

و قد ركز على المقام خصوصا في الخطابة السياسية وهي -حسبه- محاورة بين الأنداد، ويكثر فيها النصح والمشاورات والخطابة الاجتماعية وتكون فيها موضوعات اجتماعية تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع، وخطب ذات وجدانية...وتعتمد على الحجج المقنعة و الأسلوب الجميل المؤثر. (العمرى، 2002، صفحة 59)

و في كتابه: "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول" ، يعرف العمرى البلاغة بقوله: "البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير والإقناع أو هما معا، إيهاما وتصديقا. (العمرى، 2005، صفحة 6) فهي حسبه علم عتيق يهتم بالخطاب في كليته، في بعديه التخيلي الأدبي، والحجاجي المنطقي.

### 2-3-3- الحجاج اللغوي عند أبي بكر العزاوي:

يرتبط الدرس الحجاجي اللساني في العالم العربي ارتباطا وثيقا باللغوي المغربي أبو بكر العزاوي، الذي يؤكد في مؤلفاته وحواراته المختلفة أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهية وظيفة حجاجية بقصد التأثير والإقناع، وهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام هو: لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل.

يؤكد العزاوي في مقدمة كتابه "اللغة والحجاج" (وهو دراسة وصفية للحجاج في اللغة العربية) فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية، كما يروم م خلالها اكتشاف منطق اللغة، ثم قدم تعريفا لمعنى الحجاج؛ إذ يعتبره إنجاز المتكلم لخطاب يعتمد على آليات التقديم والتسلسل والترتيب والاستنتاج هدف التأثير والإقناع. (بن خراف، 2010، صفحة 180)

لقد حاول الباحث في كتابه الإحاطة بنظرية الحجاج اللغوية، التي هي امتداد وتطوير لنظرية الأفعال اللغوية المتبلورة في أعمال أوستن وسييرل أولاً، ثم تطورت في أعمال ديكر، والتي ساهمت في الكشف عن وظيفة أساسية من وظائف اللغة، إن لم تكن أهم وظيفة وهي الوظيفة الحجاجية المنطقية الإقناعية للغة. كما درس العزاوي الروابط الحجاجية في اللغة العربية مثل (بل، لكن، حتى) وركز على الاستعمال الحجاجي لها ودرس ظاهرة الاستعارة والمظهر الحجاجي لبعض أنواعها، مركزاً على مفاهيم السلم الحجاجي والإبطال والقوة الحجاجية، ودافع عن تصور مفاده أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية مقارنة بالأقوال اللغوية العادية.

و يقر العزاوي في مؤلفه (الخطاب والحجاج) أن مجال الحجاج هو القول أو الجملة، وإنما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار، حيث تظهر وجوه استعماله وتتجلى طرائق اشتغاله، ويؤكد هذه الفكرة من خلال تحليله -وفق منهجية النظرية الحجاجية المعاصرة- لمجموعة من الخطابات، الخطاب القرآني على رأسها، حيث درس البنية الحجاجية للخطاب القرآني ساعياً إلى إبراز الجوانب الحجاجية الاستدلالية المتجلية فيه. " (العزاوي، 2007)

و من الجهود العربية المعاصرة التي سلطت الضوء على دراسة الحجاج في القرآن الكريم نجد جهود الدكتور "عبد الله صولة" في دراسة وتحليل الخطاب القرآني، معتمداً على تطويع النظريات الحجاجية الغربية، من خلال مؤلفه "الحجاج في القرآن الكريم" وقد وصل فيه إلى نتيجة مقتضاها: (المعجم القرآني: خصائص كلماته وحركتها الحجاجية، التركيب في القرآن الكريم: خصائص ووجوه الحجاج فيه، الصورة في القرآن: خصائصها ووجوه الحجاج فيها) تقود إلى نتيجة واحدة ووحيدة هي أن الحجاج في القرآن الكريم هو حوار دائر بينه وبين متلقيه، أو هو بالأحرى

حوارية معتبر فيها حضور الطرف المتلقي حضورا فاعلا، و ليس هو عنفا مسلط على العقول في شكل استدلالات جامدة. (صولة ، 2007، صفحة 610)

## 2-4- الحجاج في الفكر الغربي الحديث :

يعد الحجاج نظرية غربية حديثة تم تناولها من جانبين اثنين؛ جانب تداولي وقد ظهر ذلك من خلال أعمال "ديكرو" وجانب بلاغي مع "بيرلمان". لقد وضع هذان العالمان أساس النظرية الحجاجية رغم اختلاف توجههما، علما أن البحث الحجاجي له جذوره القديمة التي تمتد إلى اليونان وإلى أرسطو تحديدا (...). ولذلك استفاد الدرس الحجاجي الحديث من التراث اليوناني القديم، فحاول بعثه من جديد وفي ثوب جديد ألا وهو النظرية الحجاجية. (بيوزناتشة، 2010، صفحة 1)

و لقد شكل الحجاج في الوقت المعاصر حلقة وصل بين علوم شتى تتجاوزه منها البلاغة والتداولية اللتين اهتمتا هذا المبحث من زاويتين مختلفتين، ووفق طرائق وآليات خاصة. نذكر من بين أهم الباحثين الغربيين الذين أسهموا في إثراء الدرس الحجاجي: بيرلمان وزميله تيتيكا في مصنفهما عن "البلاغة الجديدة"، ديكرو وأنسكومبر في "التداولية المدمجة"، مايير في "نظرية المسألة" وتولمين ومشروعه الحجاجي. ووفقا لمقتضيات بحثنا وطبيعته سنكتفي بعرض واستثمار نظرية الحجاج في التداولية ونظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو .

## 2-4-1- الحجاج التداولي (نظرية الأفعال الكلامية):

انطلقت المدرسة التحليلية الإنجليزية (أوستن وسيرل) من خلال نظرية أفعال الكلام من معارضة وتفنيذ النظرية السويسرية والتي أقرت بأن اللغة هي مجرد نقل للكلام، ويرى أوستن أن الكلام العادي يتضمن متكلما وملتقيا وملفوظا، كما توجد هناك عدة أفعال يمكن ربطها بالمتكلم لأن هذا الأخير لا يصدر أصواتا فقط من خلال كلامه، ولكنه ينجز بعض الأفعال التي قد

تتضمن بعض الحجج التي من شأنها أن تقنع المتلقي. فمن شروط الخطاب: المتكلم والمستمع والملفوظ، وقد ينجز الخطاب بعض الأفعال التي تكون حججا في بعض الأحيان.

هذا وقسم "أوستن" في بداياته الأولى الجمل إلى وصفية خبرية وجمل إنشائية، فيقول: "الجمل الخبرية هي التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والجمل الإنشائية هي التي يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق و من ثم لاحظ أن المقابلة بينهما ليست بالبساطة التي كان يظنها، وقد قادته هذه الملاحظة إلى الإقرار بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجازا لغويا على الأقل." (روبول و موشلار، 2003، صفحة 31)

غير أن أوستن رفض بعد ذلك هذه الثنائيات التي وضعها في البداية بين الفعل الإنشائي والفعل التقريري، و توصل إلى أن كل قول عمل، ولا يوجد -إن أمعنا النظر- جمل وصفية ويرى أنه لما كانت الأقوال أعمالا فإنه يتعذر الحكم عليها بالصدق أو الكذب. (دلاش ، صفحة 24)

وعليه فإن كل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين: (Austin, 1970, pp. 114-115) إنجازية صريحة/مباشرة: فعلها ظاهر (أمر، دعاء، نهي...) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم .

إنجازية ضمنية/ غير مباشرة: فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد، أي أمرك أن تجتهد.

وميز بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية: (بوجادي، 2009، صفحة 96)

**1- الفعل القولِي:** يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي) والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيب) واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي).

2- **الفعل الإنجازي**: يحصل بالتعبير على قصد المتكلم من أدائه: (يعد، يخبر، يعجب، يندر...) ويشمل الجانب التبليغي والجانب التطبيقي.

3- **الفعل التأثري (الاستلزامي)**: يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه.

و يتميز كل فعل من هذه الأفعال الثلاثة بتضمنه لقوة إنجازية.

و استنادا لما سبق، قسم "أوستن" الأفعال الكلامية إلى مجموعات وظيفية وهي حسب: (بلخير، 2003، صفحة 159)

**الأفعال الدالة على الحكم**: وهي الأفعال التي تثبت في بعض القضايا، وتشمل على سبيل المثال: (أفعال التبرئة، الحكم...)

**أفعال الممارسة**: وهي الأفعال التي لها قوة في فرض واقع جديد مثل: (الانتخاب، التعيين، الاستشارة...)

**أفعال الوعد**: وهي التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب مثل: (القسم، الرهان، التعهد...)

**أفعال السلوك**: وهي مجموعة متباينة مرتبطة بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، والتي تحمله على اتخاذ موقف معين إزاء المخاطب مثل: (الاعتذار، التهئة، الشكر...)

**أفعال العرض**: وهي علاقة المتكلم بما يقوله عن طريق المحادثة أو المحاجة مثل: (الإثبات، التأكيد، النفي، التفنيد...)

و مما قدمه سيرل أنه أعاد اقتراح وتقسيم الأفعال الكلامية، وميز بين أربعة أقسام: (Searle, 1996, p. 60)

فعل التلفظ: (الصوتي والتركيبى).

الفعل القضوي: (الإحالي و الجملي)

الفعل الإنجازي: (على نحو ما فعل أوستن) الفعل القصدى لمنطوق ما.

الفعل التأثيري: (على نحو ما فعل أوستن)

و سرعان ما أعاد اقتراح خمسة أفعال لها: (بوجادي، 2009، صفحة 99)

أفعال الإثبات: غايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤولاً عن وجود وضع للأشياء، ويشمل: (التأكيد، الوصف...)

أفعال التوجيه: و غايتها حمل الشخص على القيام بفعل معين، وتشمل الأمر والنهي وغيرهما.

أفعال الوعد: و غايتها التزام المتكلم بالقيام بشيء معين (وهي لا تختلف عن تعريف أوستن لها.

الأفعال التعبيرية: وتتمثل في التعبير عن حالة نفسية معينة مثل: (الاعتذار والسرور...)

الإعلانات: غايتها إحداث تغيير عن طريق الإعلان وتشمل الأفعال الدالة على ذلك مثل: (الإعلام، الإعلان، الإخبار...)

انطلاقاً من تحديد معاني أفعال الكلام وتقسيماتها، يرى "فان دايك" أن أفعال الكلام هي

الغرض الرئيسي للتداولية، فيقول: "وغني عن القول أن تحليلاً سليماً لأفعال الكلام هو الغرض

الرئيسي للتداولية لأنه لا يمكن أن يتم بغير فهم مسبق لمعنى الفعل أو التصرف. " (دايك، 2000،  
صفحة 227)

بينما كيف يمكن أن يمثل الحجاج جزءا لا يتجزأ من الأفعال اللغوية خاصة والتداولية  
عامة؟ لئن كان البعض يعتقد أن دراسة الحجاج في الخطاب اللغوي هو شأن التداولية؛ فإن لهذا  
الاعتقاد ما يبرره، إذ نجد الخطاب الحجاجي: " يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط القول  
والتلقي، وبعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجي تركز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي  
قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة. " (أعراب، 2010، صفحة 101) و هذا ما يجعله يدخل في  
صميم التداولية، بذلك يعد نصا تداوليا بسبب خضوعه لمبدأ القصدية والتأثير والفعالية، ولأنه أيضا  
خطاب موجه من طرف المتكلم يتفاعل به مع المتلقي، ويهدف من وراءه إلى إقناعه والتأثير فيه.

ويظهر البعد التداولي للحجاج في عدة مستويات منها: (أعراب، 2010، صفحة 102)

أفعال اللغة المتداولة في الحجاج: مثل أكد، أنكر، أجب، اعترض، مثل، فسر، نقل أقوالا...

على مستوى السياق: وهنا السياق التداولي هو الذي يحكم الخطاب أو النص مثل: (استعمالات  
السياقات: أجب، أستنبط، اعترض...)

و هذان المستويان على أهمية كبيرة، ولكن يبقى المستوى الحواري أو التحواري هو أهم  
مستوى في العملية الحجاجية والتداولية، فحضور الطرفين (المتكلم والمستمع) في الخطاب والدور  
الذي يلعبه كل منهما في إحداث التفاعل والحوار من شأنه أن يحقق نجاعة النص الحجاجي،  
ويجعله يصل إلى هدفه وهو بطبيعة الحال إقناع بفعوى الخطاب وهذا هو هدف التداولية من حيث  
أنها تريد إحداث عملية تواصلية تحاورية تفاعلية بين طرفي الخطاب.

## 2-4-2- الحجاج اللغوي عند ديكر و :

إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي "أوزفالد ديكر و (O. Ducrot) منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطاب وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من فكرة مفادها: "إننا نتكلم عادة بقصد التأثير." (Ducrot & Anscombe, 1983, p. 7) هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية. وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها. (العزاوي، 2006، صفحة 14)

يرى ديكر و أن "التسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما ترتبط بالبنية اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها." (Ducrot & Anscombe, 1983, p. 7) كما تطرق ديكر و لمفهوم الحجاج في مؤلفه المشترك مع أنسكومبر (L'argumentation dans La langue)، ليقرا بأن هذا الأخير متجذر في بنية اللغة، أي أنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج و لا اللغة عن الحجاج.

و انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من صلب نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها "أوستن وسيرل"، وقد قام ديكر و بتطوير أفكار وآراء "أوستن" بهذا الخصوص واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج. (العزاوي، 2006، صفحة 16) مما يعني أن الحجاج في رأيه لغوي لساني ومنه قام ديكر و بإعادة تعريف مفهوم التلفظ أو (الإنجاز) بأنه: "فعل موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة من الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معيناً من النتائج (...)، والقيمة الحجاجية لقول ما هي النوع

من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميته واستمراره. " (العزاوي، 2006، صفحة 16)

و الخطاب -كما يذهب إلى ذلك ديكر و أنسكومبر-: "ليس فقط وسيلة بل هو غاية أيضا، فهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير، وهذه العملية التأثيرية هي التي تدعى بالحجاج بالنسبة لنا، نقول عن المتكلم إنه يقوم بحجاج حينما يقدم القول ق1 و غايته في ذلك حمله على الاعتراف بقول آخر ق2 (أو مجموعة من الأقوال) و غايته في ذلك حمله على الاعتراف بقول آخر ق2 (أو مجموعة من الأقوال) (Ducrot & Anscombe, 1983, p. 8) و لكن هذه العملية و باعتراف الباحثين، لا تتم بهذه البساطة؛ إذ أنه ليس بمجرد أن نتلفظ بقول معين ق1 نكون قد حملنا المخاطب على استنتاج ق2، إن هذه العملية أعقد مما نتصور بسبب تدخل عوامل أخرى لغوية و غير لغوية في التحديد الدقيق للدلالات." (بلخير، 2003، صفحة 121)

و يفرق ديكر و بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي، والحجاج موضوع النظر في التداولية المدمجة هو بالمعنى الثاني: (الحباشة، 2008، صفحة 15)

أ- **الحجاج بالمعنى العادي**: ويعنى به طريقة عرض الحجج وتقديمها ويستهدف التأثير في السامع، فيكون الخطاب بذلك ناجعا فعالا، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا، إذ لا يجب أن تهمل طبيعة السامع المستهدف، فنجاح الخطاب حسبه يكمن في مدى مناسبه للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلا عن استثمار الناحية النفسية في السامع من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه. (الحباشة، 2008، صفحة 21)

ب- **الحجاج بالمعنى الفني**: يدل على صنف خاص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصله بين سلالم. (الحباشة، 2008، الصفحات 21-22)

كما قدم ديكرو مفاهيم "الحجة" التي تمثل بناء استدلاليا أو عنصرا دلاليا أو سلوكا غير لفظي، كما تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق. والشيء نفسه بالنسبة لـ "النتيجة" و"الرابط الحجاجي" الذي يربط بينهما.

ويمكن أن نبين هذا على الشكل الآتي: (العزاوي، 2006، صفحة 18)

أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة.

أنا متعب.

أنا بحاجة إلى الراحة.

فإذا ما قارنا بين هذه الأقوال، فنسجد أنه تم التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في المثال الأول، وتم التصريح بالحجة والنتيجة وأضمر الرابط في المثال الثاني، أما المثال الثالث فلم يصرح فيه إلا بالحجة، والنتيجة مضمرة يتم استنتاجها من السياق، ونجد عكس ذلك في المثال الرابع، حيث ذكرت النتيجة وأضمرت الحجة.

و تتميز هذه الحجج بجملة من الخصائص منها: (العزاوي، 2006، صفحة 19)

أنها سياقية: إن الحجة التي يقدمها المتكلم قد تؤدي إلى حجة أخرى، بحيث يمنحها السياق صبغة حجاجية، وبهذا تكون العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة حجة أو نتيجة، وذلك بحسب السياق. نسبية: إذ تحمل كل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما يدافع بها عن قضية معينة، لكن في المقابل يستدل الخصم بحجة قوية مناقضة ومضادة لها تكون أقوى منها، أي أن هناك حججا قوية وحججا ضعيفة تترتب بحسب درجتها.

قابلة للإبطال: يمكن للحجة أن تنقض بواسطة حجة أخرى أقوى منها.

و بهذا، فإن الحجة "تتصف بالنسبية والمرونة، كما أن لها طابعا تدرجيا وسياقيا، بالإضافة إلى قابليتها للإبطال، وبالتالي يمكن أن تترتب حسب القوة والضعف في سلم يسمى "السلم الحجاجي".

و لقد حصر الباحثان درس الحجاج في نطاق دراسة اللغة، لا في البحث عما هو واقع خارجها، ذلك لأن إمكانيات التابع الحجاجي تحدد عندهما من خلال عمل لغوي (Acte de langage) مخصص هو عمل الحجاج (Acte d'argumenter). (Ducrot & Anscombre, 1983, . p. 9) أما وظيفة الحجاج عندهما فتكمن في التوجيه، حتى أنهما حصرا دلالة الملفوظ في التوجيه الناتج عنه، ويحصل هذا التوجيه في مستويين: مستوى السامع ومستوى الخطاب؛ خاصة مع ما بين المستويين من تداخل، والغاية في توجيه السامع أننا حين نتكلم إنما نروم في العادة إلى التأثير في هذا السامع." (صولة ، 2007 ، صفحة 36)

غير إن أهم مأخذ قد يعيب هذه النظرية هو حصر صاحبها دلالة الملفوظ في التوجيه. وفي هذا يرى "صولة" أن دلالة الكلام وحتى (الكلمة) ليست الدرجة فحسب، وإنما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها، فقد يكون لهذا الكلام بحسب المواقف التأويلية التي نفقها منه دلالات تتجاوز الحجاج والتوجيه، وتفيض عنهما، ونسمي ذلك الجزء من دلالة الكلام "الدلالة الحجاجية" أو "المعنى الحجاجي" أو "الطاقة الحجاجية" أو "العمل الحجاجي" أو "الوظيفة الحجاجية" وإن اختلفت ربما معاني هذه التسميات. (صولة ، 2007، صفحة 36)

## 2-4-2-1- السلم الحجاجي :

يمثل السلم الحجاجي علاقة ترتيبية للحجج، يمكن أن نرمز لها كما يلي :

ن: النتيجة

ب، ج، د: الحجج وأدلة تخدم النتيجة "ن."

فعندما نقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى السلم الحجاجي نفسه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة. (العزاوي، 2006، الصفحات 20-21)

تتعلق نظرية السلالم الحجاجية عند ديكرو من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين الحجة والنتيجة، ومعنى التلازم هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة، مع الإشارة أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية، ويتضح ذلك من خلال المثال الآتي:

س: ماذا تريد أن تفعل اليوم؟

ج: ألا ترى أن الطقس جميل؟

فالاستهام في القول (ج) يمثل حجة لفائدة ضمنية هي الخروج للنزهة، وإن لم يقع التصريح بالنتيجة. (المبخوت، 1998، صفحة 363)

ويتسم السلم الحجاجي بالميزتين التاليتين: (العزاوي، 2006، الصفحات 20-21)

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة .

ب- إذا كانت الحجة "ب" تؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" التي تعلوها درجة تؤدي إليها والعكس صحيح، فإذا أخذنا الأقوال التالية:

1- حصل زيد على الشهادة الثانوية.

2- حصل زيد على شهادة الإجازة.

3- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

سنجد أن هذه الحجج تتضمن حججاً تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وإلى حكم حجاجي

واحد، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل كفاءة زيد أو مكانته العلمية، ولكن الحجة الأخيرة

هي التي سترد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل

على مقدرة زيد ومكانته العلمية.

2-4-2-2-قوانين السلم الحجاجي: (العزاوي، 2006، صفحة 22)

وأهم هذه القوانين ثلاثة:

### 1-قانون النفي:

إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه أي "أ~" سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، وبعبارة أخرى فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "ن" فإن "أ~" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا-ن". ويمكن أن نمثل لهذا بالمثالين التاليين :

1-زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

2-زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني .

### 2-قانون القلب:

يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تنميما للقانون السابق، ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية. إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة، ويمكن أن نوضح هذا المثالين التاليين :

1-حصل زيد على الماجستير وحتى الدكتوراه.

2- لم يحصل زيد على الدكتوراه بل لم يحصل حتى على الماجستير.

فحصل زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من حصوله على شهادة الدكتوراه.

### 3- قانون الخفض:

يوضح الفكرة التي تفيد أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة (Moins que) ، فعندما نستعمل جملا من قبيل:

-الجو ليس باردا.

-لم يحضر كثيرا من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد، أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل، وسيؤول القول الثاني كما يلي: لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل. تتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، إذ لا تندرج الأقوال الإثباتية من نمط (الجو بارد) والأقوال المنفية من نمط (الجو ليس باردا) في الفئة الحجاجية نفسها ولا في السلم الحجاجي نفسه.

### 2-4-2-3-القرائن الحجاجية :

لما كانت اللغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر التي يتم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية

خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة إلى قيمتها الحجاجية. نذكر من هذه الأدوات: (لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ لأن بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما...إلا...). (العزاوي، 2006، صفحة 24)

و لقد اقترح ديكر ووصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات، باعتباره بديلا للوصف التقليدي، فبالنسبة ل "حتى (même) "ليس دورها منحصر في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى زيد جاء) معلومة أخرى (مجيء زيد غير متوقع) بل إن دور الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبلها، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية. (العزاوي، 2006، صفحة 26)

غير أن هناك اختلافا بين مدلول "العامل" و"الرابط" فالعامل هو الذي يقوم بالربط بين وحدتين دلالتين داخل الفعل اللغوي نفسه، فهو على هذا موصل قضوي يحمل المكونات داخل الفعل اللغوي فيبقى هذا الفعل ملتحما، أما الرابط فهو الذي يربط بين فعلين لغويين، فهو موصل تداولي معناه أنه يكفل هذه المكونات ليجعل منها أفعالا لغوية. (الراضي، 2010، صفحة 234)

#### 2-4-2-4-العامل الحجاجي:

إن العامل الحجاجي هو "صريفة (morphème) "إذا استعمل في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ (الراضي، 2010، صفحة 235)، ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أفضل استعان بالمثالين الآتيين:

1- الساعة تشير إلى الثامنة.

2- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا أداة القصر (لا...إلا) وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانيات الحجاجية التي تتيحها، فإذا ما أخذنا القولين التاليين:

-الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.

-لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع.

فإننا سنلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تماما، أما القول الثاني فيبدو غريبا ويتطلب سياقًا خاصًا حتى نستطيع تأويله. وإذا عدنا إلى المثال السابق (الساعة تشير إلى الثامنة) فنجد له إمكانيات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل: (الدعوة إلى الإسراع، التأخر، الاستبطاء...)، أي يخدم نتيجة من قبيل "أسرع" كما يخدم النتيجة المضادة لها "لا تسرع"، لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي "لا...إلا" فإن إمكانياته الحجاجية تقلصت وأصبح الاستنتاج الوحيد الممكن هو: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع .

## 2-4-2-5-الرابط الحجاجي:

"الرابط الحجاجي هو الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار استراتيجية واحدة" وقد ميز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط منها (العزاوي، 2006، صفحة 30):

أ-الروابط المدرجة للحجج: حتى بل-لكن-مع ذلك- لأن...

والروابط المدرجة للنتائج: إذن-لهذا-وبالتالي...

ب-الروابط التي تدرج حججا قوية: حتى بل-لكن-لاسيما...

ج-روابط التعارض الحجاجي: بل-لكن-مع ذلك...

وروابط التساوق الحجاجي: حتى-لاسيما...

## 2-5-الاستلزام التخاطبي :

يعد الاستلزام من أهم الأسس التي يقوم عليها البحث التداولي، وكان الفيلسوف الأمريكي "غرايس" أول من وضع الأسس لهذا المفهوم الذي ورد ضمن محاضراته التي ألقاها بجامعة هارفرد عام 1967 في إطار بحث له بعنوان "المنطق والحوار"، حيث قام باشتقاق كلمة "implicature" وهو مصطلح جديد من الفعل "implicate"، وخص به العملية الاستدلالية في التداوليات مميزاً إياها عن مصطلح "implication" المعروف سلفاً (Grice, 1975, p. 45)، معتبراً أن المتكلمين يقصدون أكثر مما يتلفظون وقد تكون مقاصدهم معاكسة تماماً لألفاظهم؛ لذا قام أيضاً بالتمييز بين ما يقوله المتلفظ وما يقصده و ميز بين نوعين منه: الحواري والعرفي.

ورد في مقالة غرايس "المنطق والحوار"، السابق ذكرها، المثال التالي (Grice, 1975, p. 43) :

لنفترض أن الشخص "أ" يسأل الشخص "ب" عن صديقهم الشخص "ج"؛ قائلاً: "كيف يبلي "ج" في عمله؟"، فيرد: "أنه يبلي بلاء حسناً، إذ أنه لم يرسل إلى السجن بعد" ولا يمكن تحديد قصد المتلفظ في قوله "لم يرسل إلى السجن بعد" إلا في إطار سياق الكلام وبمعرفتنا أي نوع من الأشخاص هو "ج"، وما هو متضمن في الجملة هو ركيذة موضوع البحث الذي قام به غرايس (الاستلزام الحواري) أو كما ترجم البعض "implicature" ب "التضمين التحادثي"

ويعد الاستلزام الحواري من أبرز مميزات اللغة، ففي معظم الأحيان واثناء التخاطب نلاحظ ان معنى الجمل إن حللناها وفق السياق المرافق لها، يتعدى معناها الشكلي وصيغتها الصورية؛ فأتناء

التلفظ يفترض المتلقي سلفاً أن المرسل يريد أن يوصل شيئاً ولا بد أن يكون هذا الشيء أكثر مما تعنيه الكلمات، ويتعذر تأويل الجمل إن اقتصر الأمر فقط على ما هو ظاهر، وبالتالي يتوجب إدراج تأويل آخر والكشف عن معنى آخر غير مصرح به أي "مستلزم حوارياً".

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا؛ كيف يمكن للمتلقي أن يدرك أن الكلام يحمل أكثر مما يبدو عليه؟ وإجابة على هذا السؤال وتوضيحاً لهذا اللبس أسس غرايس ما يسمى بـ "مبدأ التعاون":

« Implicature are primary examples of more being communicated than is said, but in order for them to be interpreted, some basic cooperative principle must be assumed to be in operation. » (Yule, 1996, p. 36)

فالاستلزمات "تمثل الأكثر الذي يتم إيصاله دون قوله، ولكن لكي يتم تأويله لابد من افتراض مبدأ التعاون وإدراجه في العملية التأويلية".

## 2-6- مبدأ التعاون:

ذكر غرايس في مقاله الموسوم بـ "المنطق والحوار"؛ أن تحصيل القصد في الاستلزام الحوارية مرهون بمبدأ مسلم به مفاده أن المتخاطبين لهم القدرة على فهم بعضهم البعض؛ فأوجد بذلك ما سماه بـ "مبدأ التعاون"، ويقول في هذا الشأن:

« Make your conversational contribution such as is required, at the stage at which it occurs, by the accepted purpose or direction of the talk exchange in which you are engaged. One might label this cooperative principle. » (Grice, 1975, p. 45)

"لتكن مساهمتك في الحوار كما يتطلبه الأمر وفي مرحلة ورودها بما يتوافق مع الغرض المراد أو التوجه الذي سيسلكه الحوار الذي تخوضه، ويقوم هذا الأمر على أساس واحد هو "مبدأ التعاون"؛

فلا يمكن للحوار أن يقوم إلا على هذا الأساس؛ أي وجود مبدأ يرتكز عليه المرسل للتعبير عن مقاصده، وأن يملك المتلقي تلك الكفاءة والقدرة على استيعاب تلك المقاصد.

وحسب غرايس؛ فإن هذا المبدأ يقوم على أربع مسلمات او قواعد ثانوية (Grice, 1975, p. 47):

### 1- قاعدة الكم: (Quantité)

1- لتكن إفادتك في الحوار على حسب الحاجة.

- لا تجعل إفادتك أكثر مما يجب.

### 2 - قاعدة النوع: (Qualité)

- لا تقل ما تعتقده كذب.

- لا تقل ما يفتقر إلى دليل.

### 3- قاعدة العلاقة: (Principe/ Relation)

- كن وثيق الصلة بالموضوع.

### 4- قاعدة الكيف: (Manière)

- كن واضحاً.

- تجنب الالتباس.

-تجنب الإجمال.

-تحدث بإيجاز.

-رتب كلامك.

وفي نظر غرايس فإن احترام هذه القواعد كفيل بالتحكم في المحادثة و توجيهها نحو القصد المرجو أساسا من هذا الكلام، ويتحمل المتخاطبون مسؤولية أخذ هذه القواعد بعين الاعتبار، واختراق هذه القواعد لا يؤثر في نجاح العملية التواصلية؛ بل ينقلها الى مستوى الإضرار.

## 2-7- الاستلزام العرفي:

الاستلزام العرفي هو استلزام اصطلاحي يختلف عن التحادتي بعدم تقيده بمبادئ ثابتة، فالاستلزمات العرفية لا تعتمد على مبدأ التعاون وهي ليست سياقية، أي لا تستند في تفسيرها على سياق خاص، ولكنها:

« Conventional implicature are associated with specific words and results in additional conveyed meaning when those words are used. » (Yule, 1996, p. 45)

"يرتبط الاستلزام الحوارى بكلمات معنية تؤدي الى تكوين معان إضافية يتم إيصالها عند استخدام تلك الكلمات ؛" وهي معان غير معاني الجمل التي يتم التلفظ بها، فمثلا من بين الكلمات التي تتضمن استلزمات عرفية: حتى، بعد ذلك، لكن، وغيرها، وعلى سبيل التوضيح: يستند تفسير أي ملفوظ يحتوي على كلمة "لكن" على إنشاء علاقة رابطة بين أكثر من عنصرين إضافة الى استلزام التناقض بين هاته العناصر.

## 2-8-المضمر و الترجمة:

إن المضمر أو متضمنات القول هي ما يراد من البنية الصورية للأقوال والجمل غير معناها السطحي الذي تدل عليه، أو بعبارة أخرى هي مقاصد متضمنة في تراكيب قد تكون عكس أو غير ما يوحي به معناها، وتعد الصور البيانية نوعا من أنواع الإضمار "وقد أشار إليه "كانتيليان" أولا، بقوله: "إن طريقة الإلماح قوامها (...). أن نوحى بغير ما نقول صراحة ليس بالضرورة عكس ما نقول على غرار التهكم ، بل معنى آخر مستتر و على المستمع أن يكشف النقاب إذا جاز التعبير" (أوركيني ، 2008 ، صفحة 171)؛ كما وضح "سيرل" ذلك المفهوم بقوله: "قد يقصد المتكلم معنى مغايرا عن معنى الجملة التي يتلفظها كما هو الحال مع الاستعارة ، أو قد يود قول عكس ما تنطوي عليه الجملة من معنى على غرار التهكم أو قد يود أن يفيد بمعنى الجملة مضافا إليه معنى آخر كما في العلاقات التضمينية التصادفية و أفعال الكلام غير المباشرة." (أوركيني ، 2008 ، صفحة 171)

ينقسم محتوى الكلام إلى نمطين: الأول "مباشر" يتم ترسيخه بمكونات معجمية ونحوية وتكفي الكفاءة اللغوية وحدها لفهمه؛ والثاني "غير مباشر" لا يمكن للبنى التركيبية لوحدها ان توحى به فيستلزم الامر توفر كفاءات أخرى إلى جانب الكفاءة اللغوية. كما أن التركيبية اللغوية هي الأساس و المنطلق لكل ملفوظ، وتسهم كفاءة المتلقي بشكل حاسم في تحديد المقاصد و لا يمكن لأي محتوى كلامي أن ينسلخ عن ركيخته اللغوية، لذلك، تعتبر "أوركيني" أن: " أي وحدة من وحدات المحتوى التي يمكن فك ترميزها تملك بالضرورة ركيزة لغوية أيا تكن، ولا تشذ المحتويات المضمره عن هذه القاعدة؛ إذ قد تكون هذه المحتويات بأفضل الأحوال، وهي بذلك، حصيلة حساب تركيبى ما من شأنه أن يطبق بعض المعطيات الخارجية القولية على بعض المعلومات

(المضمرة). " (أوركويوني ، 2008 ، صفحة 29) أي أن المضمرة يستدل عليه بناءا على المعطيات اللغوية والغير اللغوية، وقولها إن المضمرة حصيلة حساب تركيبى يفرضي إلى نتيجة واحدة وهي أن الاستدلال على ما هو موارئ يتم انطلاقا من التركيبة التي أمامنا وإسنادها إلى معطيات سياقية خارجية؛ كما يوضحه المثال الآتي (أوركويوني ، 2008 ، الصفحات 21-22):

1-Pierre a cessé de fumer.

2-Pierre actuellement ne fume pas.

3-Pierre fumait auparavant.

4-Ce n'est pas comme toi qui continues à fumer, tu vois bien qu'on peut y arriver, prends-en de la graine .

1-أقلع بيار عن التدخين.

2-بيار لا يدخن حاليا.

3-كان بيار يدخن سابقا.

4-فهو ليس مثلك الذي ما زلت تدخن، مع ان الإقلاع عنه؛ كما ترى أمر ممكن فاتخذ من الأمر مثلا ودرسا.

إن المحتوى المضمرة المعبر عنه في الملفوظ (4) هو أحد الافتراضات التي يمكن أن يستدل عليها عند سماع أو قراءة الملفوظ (1)؛ إذ تم الانطلاق من ركيزة لغوية دالة تشتمل على مجمل اللوازم المعجمية والنحوية، وتشكل هذه الركيزة محتوى بيانا، ليتم فك تشفير المضمرة

استنادا على الكفاءة التداولية للمتلقى؛ التي تأخذ بالاعتبار في مقام أول ظروف وملابسات إنشاء الملفوظ.

لا يتم فك الترميز المحتويات المضمرة دون تدخل الكفاءة اللغوية؛ فالبنية اللغوية هي ركيزتها ولا يمكن الولوج إلى الأولى دون تحديد ثانية، فهذه الكفاءة تعني "بالعناصر الدالة النصية والسياقية الحالية النصية" (أوركويوني ، 2008 ، صفحة 283)؛ أي العناصر المتعلقة بالسياق النصي وهي تسمح باستخراج معلومات ضمنية انطلاقا من البنية التركيبية.

يندرج ضمن قسم المحتويات المضمرة "الافتراض المسبق" و"الاستلزام بنوعيه"؛ الحوارية والعرفية وغيرهما ناهيك عن ضرورة الحفاظ على تأثير اللفظ:

« Preserving what is implied will increase the effectiveness of the TLT. If a maxi mis flouted in the SLT (...) The most important is the equivalence of effect, wich is achieved preserving the intention of the writer and the function of the utterance, not the form of the utterance. » (Abulhassan Hassa, 2011, p. 19)

"يزيد الحفاظ على ما هو مضمّر من فعالية النص في اللغة الهدف (...). و ما يهم هو التكافؤ في تأثير اللفظ والذي يمكن تحقيقه بالحفاظ على قصد الكاتب ووظيفة اللفظ، لا شكله." وهنا يستوجب على المترجم اكتساب تلك المهارة والكفاءة التداولية التي تسمح بالتحكم في كيفية رصد المقاصد واختيار التقنية الملائمة لتجاوز الفرق التداولي بين اللغتين، والذي يسمح بتحقيق التكافؤ بين الأصل والهدف.

## 2-9- الافتراضات المسبقة و الترجمة:

تتشكل الافتراضات في الذهن بشكل تلقائي لأنها متعلقة أكثر بالعقل والمنطق وتستنجد بمجرد التلطف بالجملة أو قراءتها، وترى أوركيني أن: "الافتراضات من حيث المبدأ منعدمة السياق بخلاف المضمنات (أي الاستلزمات) التي تندرج في إطار حسي إلا أن هذا المبدأ يبنى على ما يبدو بالفشل في بعض الحالات " (أوركيني ، 2008، صفحة 49) ومن وجهة نظر تداولية يرى "ديكرو" و"أوسولد" أن:

« Le choix d'un énoncé comportant tel ou tel présupposé introduit une certaine modification dans les rapports entre les interlocuteurs. Présupposer serait alors un acte de parole ayant une valeur illocutoire au même titre que promettre, ordonner, interroger.» (DUCROT & TODOROV, 1972, pp. 347-348)

"إن اختيار لفظ يتضمن هذا الافتراض المسبق أو ذلك، يغير العلاقات بين المتخاطبين، وعليه يكون للافتراض قيمة إنجازية؛ مثل الوعد والأمر والاستفهام"، فللافتراضات المسبقة أهمية في الفعل الكلامي، ورغم أنها محتويات مضمرة إلا أنها تتجزز بمجرد استنتاجها. ويبدو جليا أن لهذه الافتراضات دور فاعل أساسي في عملية التواصل "فأساس كل تواصل مسلمات أو لوازم افتراضات موجهة لا يمكن إن انعدمت أن يتطور نظام للرموز ولا علم ولا منطق." (كي أوغدن و أرمسترونغ ريتشاردز، صفحة 175)

إن للافتراضات المسبقة خاصية مميزة وفاصلة لها عن الاستلزمات وهي أنها تبقى ثابتة حتى عند  
النفى:

« The presupposition of a statement will remain constant even when that statement is negated. » (Yule, 1996, p. 26)

"إن الافتراض المسبق لمقولة ما يبقى ثابتا (أي صحيحا) حتى عند نفيها" ؛ بمعنى أن الافتراضات المسبقة المتضمنة في الجملة المثبتة تبقى مترسخة فيها حتى وإن نفيت، نحو:

1- يعلم الجميع أن هذا الرجل انتهازي.

2- لا يعلم الجمي أن هذا الرجل انتهازي.

إن نفي الجملة الأولى لم يغير الافتراض؛ بل بقي نفسه؛ إذ يمكن في كلا الحالتين أن يستنتج القارئ أو السامع تلقائيا ودون جهد أن "هذا الرجل انتهازي"، لكن ما يهمنا فعلا هو: هل تغير البنية عند الترجمة يغير من الافتراضات؟ لا سيما وأن لكل مضمير مهما كان نوعه تركيبية لغوية خاصة به.

يمكن استنتاج الافتراضات المسبقة إن تواجدت بعض الكلمات الدالة عليها نحو: "محمد غائب أيضا"؛ فكلمة "أيضا" هي التي أوجدت بشكل آلي الافتراض الذي يفيد أن شخصا آخر غائب:

« L’adverbe « aussi » avec sa version à polarité négative « non plus » en constitue l’élément le plus utilisé et le plus représentatif (...) Il est relativement facile de faire apparaitre la dimension presuppositionnelle de « aussi ». » (Asmili & Winterstein, 2012, p. 85)

و تعد كلمة "أيضا" إضافة إلى عكسها "non plus" من مسببات الافتراضات المسبقة الإضافية وأكثرها استعمالا وتمثيلا [...] ومن السهل بشكل نسبي إظهار البعد الافتراضي المسبق

له" كما أن استنتاج هذه الافتراضات في الترجمة يعني أنه تم نقل الكلمات الدالة عليها بشكل سليم في اللغة الهدف.

إن لما يتشاركه الكاتب والقارئ من خلفية معرفية دور كبير في استنتاج الافتراضات المسبقة التي من المفترض أن تكون تلقائية وتتشكل في ذهن المتلقي بمجرد تلفظه:

»Prepositions depend on shared knowledge between the writer and the reader. In translation it almost happens that the writer and the TL reader does not share this sort of knowledge. « (Abulhassan Hassa, 2011, p. 18)

"تعتمد الافتراضات المسبقة على المعرفة المشتركة بين الكاتب والقارئ، وفي الترجمة يحدث ألا يتشارك كاتب النص الأصلي مع القارئ في اللغة الهدف هذا النوع من المعرفة." ومن شأن هذا الأمر أن يحول دون قيام تواصل سليم بين كاتب النص الأصلي وقارئ النص الهدف، ولأجل التقليل من حجم الهوة بين النص الأصلي وقارئ النص الهدف والتقريب بينهما يقوم المترجم بتكييف الترجمة بما يلائم المتلقي دون المساس بمحتوى النص الأصلي.

## 2-10- الاستلزام و الفعل الترجمي:

يشترط التواصل بين مؤلف النص والقارئ توفر بعض المبادئ؛ لتمكن المؤلف من بلوغ مسعاه وإيصال رسالته التي كتب النص من أجلها أساساً، وبعد فإن "التواصل الغير العادي أو التفاعل النشط والفعال (...). بين المؤلف ومجموعة من القراء المحتملين؛ هو نتيجة لوجود رسالة شخصية من المؤلف إليه، ومن أجل أن يكون ذلك التواصل ناجحاً: ينبغي أن يتبع قواعد أو مبادئ معينة أهمها مبدأ التعاون ومبدأ الاستلزام." (البستاني، 2012، صفحة 149)

الاستلزام هو ما يفهم ضمنا ولا يصرح به والكثير من المعلومات تنتقل بين المتخاطبين ضمنا؛ فإن قلنا مثلا إن "هذا الشخص يقاسم جاره الفقير قوت يومه"؛ فمن الواضح أنه لم يتم التصريح بأن هذا الشخص عطوف وكريم إلا أن هذا القصد يفهم ضمنا. و بما أن الاستلزمات تتطوي على مقاصد لم يصرح بها المرسل؛ فإن من بين التساؤلات التي يطرحها المترجمين حسب بول وبراون، التساؤل التالي:

« For the translator, the question remains : are TL recievers as able to infer unexpressed context as SL recievers would be ? » (Hatim & Mason, 1990, p. 63)

"هل يمكن لمتلقي اللغة الهدف استنتاج المحتوى الغير المصرح به مثلما فعل متلقي اللغة المصدر؟" وماذا إن تم اختراق قاعدة أو أكثر من قواعد التخاطب في اللغة الأصل فهل يؤثر هذا على الحفاظ على المقاصد المتضمنة عند نقلها إلى اللغة الهدف؟

يقول "جاك موشلار":

« Les implicatures ne sont pas des contenus explicites, elles sont le résultat d'une inférence, mais sont non vériconditionnelles, n'impliquent pas l'engagement du locuteur (elles sont annulables) et sont contextuelles donc pragmatiques. » (Moeschler , 2016, p. 19)

"إن" الاستلزمات هي محتويات غير ظاهرة ناتجة عن الاستدلال وهي غير مشروطة بشروط الحقيقة لا توجب إقحام المتلفظ (يمكن إلغاؤها لكنها سياقية وبالتالي تداولية"، ويمكن الاستدلال على الاستلزمات الحوارية بناء على قواعد التخاطب كما يلي:

أ-هل تشرب القهوة؟

ب-أريد النوم باكرا.

أ-حسنا.

لقد فهم المتحدث (أ) أن المخاطب (ب) رفض عرضه رغم أنه لم يصرح بذلك علنا، وما يمكنه استنتاجه من المثال هو أن خرق قاعدة من قواعد الاستلزام الحواري "الملائمة" لم يخل بالعملية التواصلية، ولكن السياق كان محددًا رئيسيًا للقصد وكان المعنى المقصود مستلزما أي متضمنا.

## 2-11- مبدأ التعاون و الترجمة:

لقد أسس غرايس مبدأ التعاون من أجل ضبط ظاهرة الاستلزام ورصد المقاصد الغير المصرح بها، فالإجراءات المتخذة بهذا الشأن في الترجمة لا تقتصر على الجانب التركيبي فحسب بل تأخذ بعين الاعتبار القارئ في اللغة الهدف بالإضافة إلى تكيف السياق (ليفهم المتضمن) لكي يتحقق التعاون ويفهم المتضمن:

« For example, punctuation and other orthographic measures can be adjusted by editors/ translators to suit a given readership, distanced either temporally or culturally or both from the writer ; and such adjustment can be understood as a compensatory strategy explicable in terms of the principle of cooperation. » (Malmkjaer, 1998, p. 37)

فعلى سبيل المثال، يمكن لعلامات الوقف ومقاييس معجمية أخرى يمكن أن تعدل من طرف المحرر/المترجم لتلائم القارئ المحتمل وتبعد زمانيا أو ثقافيا أو كلاهما عن الكاتب؛ ويمكن لمثل هذا التعديل أن يعتبر استراتيجية تعويضية تبرر ضمن مبدأ التعاون" ويمكن لمثل هذه التعديلات

التي يقوم بها المترجم أن توفر للقارئ في اللغة الهدف مجموع الإشارات اللازمة لتقصي المقاصد الضمنية.

لرصد المقاصد في النصوص والكشف عما هو مكنون من منطلق تداولي؛ يقوم المترجم أثناء تحليله للنص قبل عملية الترجمة بالاستدلال بالمبدأ والقواعد التخاطبية فمن جهة يرى البعض أن التحليل باستعمال بعضها "كمبدأ الكمية ومبدأ النوعية أو الصدق، ومبدأ الترابط؛ تبقى غامضة وخاصة باللغة العادية." (البستاني، 2012، صفحة 151) لأن البيان والبديع والوصف يغزو الخطاب القرآني فتغدو هذه المبادئ غير مجدية في التحليل، ذلك لأن عدم احترام هذه المبادئ قد يكون متعمدا من طرف الكاتب ولغايات مقصودة كالحجاج والسخرية والهزل وغيرها:

-Le policier lui dit : une amende?

-Je préfère les noisettes.

يمكن للمتحدثين باللغة الفرنسية أن يستوعبوا السخرية والتهكم الموجود في المثال الذي تكمن طرفته في التركيب الصوتي المتشابه بين: "amande" اللوز، و amende غرامة مالية ، و الذي نتج عن انتهاك قاعدة "الملائمة" لكن القصد لن يصل إلى قارئ العربي إن ترجم ترجمة حرفية؛ فالترجمة لن تكون موفقة ولن تحقق نفس القيمة التداولية ، أو بعبارة أخرى لن يكون هذا الملفوظ بنفس درجة الملاءمة بالنسبة لقارئ اللغة الهدف.

و بالتالي فإن انتهاك القواعد المنقرعة عن مبدأ التعاون أحيانا لا يخل بالعملية التواصلية؛ لاسيما إن وجدت لدى المتواصلين تلك الكفاءة التداولية ، بل ينقل المقاصد من المستوى الظاهر إلى المستوى الخفي : وبالتالي تصبح متضمنات سياقية ؛فعلى سبيل المثال إن سئل أستاذ عن مستوى طالبه في اللغة الأجنبية التي يدرسها فيجب : "إن هذا التلميذ نشيط كما أنه ممتاز في مادة

اللغة العربية" وفي هذه الحالة يكون قد أخل بقاعدة الكم لأنه أجاب بأكثر مما يلزم ولم يعط إجابة مباشرة إنما جاء قصده متضمنا ومن المفترض أن تكون إجابته: "مستواه متدن في تلك اللغة".

فالكاتب أو المتكلم قد يتعمد انتهاك القواعد لتحقيق قصد ما: وعدم احترام معايير مبدأ التعاون قد يكون متعمدا من أجل الوصول إلى تأثير معين، وفي مجال الترجمة يمكن للمترجم أن يستعمل مفاهيم لها علاقة بهذا المبدأ لتفسير ووصف بعض الظواهر:

»Many translational phenomena can be described fairly systematically using concepts and descriptive terms borrowed from it –cooperative principle-. « (Malmkjaer, 1998, p. 39)

"يمكن استعمال مفاهيم ومعايير وصفية مستمدة من مبدأ التعاون لوصف عدة ظواهر ترجمية بشكل منهجي دقيق".

و تعد قاعدة الملاءمة من أهم قوانين الخطاب، وتفيد بأن المتخاطبين لديهم تلك القدرة التي تمكنهم من معرفة ما هو ملائم وما هو ليس كذلك:

« we assume .that people have intuitions of relevance :that they can consistently distinguish relevant from irrelevant information » (Sperber & Wilson , 1995, p. 119)

"نفترض أن الناس لديهم حدس الملاءمة، إذ يمكنهم دائما التمييز بين المعلومة الملائمة و المعلومة غير الملائمة"، وهي عامل من عوامل نجاح العملية التواصلية و تبليغ المقاصد؛ فالكاتب النص يقدم للقارئ ما هو ملائم له ولفكره ولمستوى إدراكه.

## 2-12- نظرية الملاءمة:

لقد انتقد ويلسون و سبربر قواعد مبدأ التعاون التي وضعها غرابيس واختزلاها في "مبدأ

الملاءمة" ويمكن له أن يكون كاشفا عن المعاني المضمره للمفوضات، ويقول "سبربر" و"ويلسون":

»that makes it possible to identify such premises as implicatures is that they lead to an interpretation consistent with the principle of relevance and that they are manifestly the most easily accessible premises to do so. Implicated conclusions are from the explicatures of the utterance and the context . « (Sperber & Wilson , 1995, p. 195)

"فما يمكن أن يجعل تحديد مثل هذه المسائل الافتراضية كالاستلزامات؛ أنها تؤدي إلى التؤول بالتوافق مع مبدأ الملاءمة، و هي من أسهل المسائل الافتراضية القابلة للتحليل فالاستدلال على المضمر يتم انطلاقا من المعطيات الظاهرة للمفوض إضافة إلى السياق ". ويساهم السياق؛ وبالأخص المعرفة المشتركة؛ بشكل كبير في فهم القصد المتضمن في الكلام؛ فالسياق كما عرفه ويلسون وسبربر:

« A context is a psychological construct ,a subset of the hearer's assumptions about the world. » (Sperber & Wilson , 1995, p. 195)

"هو تركيب نفسي و جزء من افتراضات المتلقي حول العالم"، وعلى أساس هذا الاعتبار جعل ويلسون و سبربر السياق أهم مكون ل"نظرية الملاءمة" باعتباره جزءا من وسطه الإدراكي؛ وهذا ما يجعل القصد مفهوما والتواصل ممكنا، ومن خلال هذا المبدأ يتم الاستدلال على المعنى المقصود من خلال "الوسط الإدراكي" الخاص بالكاتب والمتحدث، أي قدرته على إدراك وفهم حقائق الأمور والذي يتعلق بالمعلومات المخزنة في ذهنه.

و لكن هل يتحقق التكافؤ على المستوى التداولي وتتحقق نفس درجة الملاءمة تلك في النصين الأصلي والمترجم؟ ففي النص الأصلي يتقاسم الكاتب والقارئ نفس لافتراضات ونفس الوقائع، ويتشاركان نفس الخلفية الاجتماعية والثقافية، ولإيصال مقاصده يهيئ الكاتب ما يتوفق مع القارئ من معلومات قابلة للفهم والاستيعاب؛ لذا فمفهوم الملاءمة يتعلق أكثر بالمتلقي، وحسب سيربر و ويلسون فإن هذا المفهوم مرتبط بالمتلقي وتتأثر به:

« what counts as relevant enough also with the degree of intellectual alertness of addressee. » (Sperber & Wilson , 1995, p. 161)

ما يمكن اعتباره ملائماً يتغير أيضاً حسب درجة التأهب الفكري للمخاطب " فعلى سبيل المثال لن يكون المتلقي بعد يوم عمل شاق متأهباً لاستقبال المعلومة أو المشاركة في حدث تواصلية كمن يكون في اجتماع عمل هام في بداية اليوم.

و من وجهة نظر ترجمية؛ فإن "مبدأ الملاءمة" يعد عنصراً من العناصر الفاعلة في تحقيق التكافؤ على المستوى التداولي:

« what is relevant in on (ST) environment maybe less or more so in another TT environment. Assessing relevance to intended receivers is then another of the translator's tasks. » (Hatim & Mason, 1990, p. 95)

"ما هو ملائم في محيط لغة (النص الأصلي) قد لا يكون كذلك في محيط لغة أخرى (النص الهدف): فتقييم الملاءمة لمتلقين مقصودين هي إذن مهمة أخرى من مهام المترجم"، ولإدراك عدم التوافق في مسألة "الملاءمة" بين اللغة الأصل ومنتليها، واللغة الهدف ومنتليها؛ فعلى المترجم أن يعمل على تحقيق نفس درجة الملاءمة، وقد يقوم حتى ببعض التعديلات والإجراءات المختلفة عن

اختيارات الكاتب الأصلي ولكن بشرط أن تعبر عن نفس قصدية هذا الأخير؛ فإن لم تكن المعلومات المنقولة ملاءمة للقارئ في اللغة الأصل؛ ويتم تحريف مقاصد النص الأصلي وهذا هو المعيار الأساسي للتكافؤ بين نصين على المستوى التداولي.

إن الإشكال المطروح من وجهة نظر ترجمة يتمثل فيما إذا تم الإخلال بمبدأ الملاءمة الذي يعتبره "ويلسون" و"سبربر" محوريا في عملية التواصل؛ وبالتالي في تحقيق قصدية الكلام، وإن العمل بمبدأ الملاءمة يحتم على المترجم أن ينتج نصا ملائما لقارئ اللغة الهدف بنفس درجة الملاءمة بين كاتب النص الأصلي وقارئه، وهذا تكييف للنص بما يلائم ثقافة وفكر وتوقع القارئ في اللغة الهدف.

## 2-13- ترجمة الأفعال الكلامية:

احتلت الأفعال الكلامية مكانة مميزة في الدرس التداولي: فكل خطاب هو أداة لممارسة فعلية على المتلقي، وأي لغة تحمل تعبيراً ذات قوى إنجازية مختلفة تنطوي على مقاصد مختلفة: وهذا يعتمد عليه المترجم أثناء قيامه بالعملية الترجمة.

## 2-13-1- ترجمة القوى الإنجازية للأفعال الكلامية:

لا يخلو أي خطاب من أفعال الكلام سواء أكان أدبيا أو غير ذلك؛ فهي أفعال تتعلق بالسلوك وتحدث تأثيراً في الواقع وتثير ردود أفعال مختلفة، ولكل فعل كلام قوته الإنجازية؛ ومن مهام المترجم أن يحافظ على هذه القوة المتضمنة في الفعل أثناء النقل إلى اللغة الهدف لكي يتم تحقيق التكافؤ بين النصين الأصل والهدف لكي يتم تحقيق التكافؤ بين النصين الأصل و الهدف:

« Equivalence is to be achieved not only of proposition content but also of illocutionary force. At discourse level ,communicative failure of translation

maybe attributed to failure to represent speechacts adequately. » (Hatim & Mason, 1990, p. 76)

"فلا يجب أن يشمل التكافؤ محتوى الجملة فحسب؛ بل أيضا القوة المتضمنة في الفعل، مرد فشل الترجمة على مستوى الخطاب إلى فشل تقديم أفعال الكلام بشكل ملائم؛ وبذلك لا تكون القوة الإنجازية واضحة دائما ويمكن الكشف عنها بالاستناد على عدة عناصر من بينها نبرة الكلام وغيرها كما أشار إليها جورج يول:

« Other IFID (Illocutionary Force Indicating Device) which can be identified are word order, stress and intonation. » (Yule, 1996, p. 50)

"ومن وسائل التدليل عليها ترتيب الكلمات، والنبر أو التنغيم."

يبني كل كلام نغشه أو نتلفظ به على وحدات ذات معنى ولها وظيفة معينة وخلفها غرض وقصد معين والمترجم ملزم أن ينقله إلى اللغة الهدف؛ فالجملة "هل قرأت في حياتك عن فن الطبخ؟" تعبر عن فعل كلامي غير مباشر قوته الإنجازية لا تكمن في الاستفهام الظاهر، وبالرجوع إلى الجمل التي وردت قبل هذه الجملة، وإن توفرت معلومات عن طرفي الخطاب وعن ظروف المحادثة (أي عناصر السياق)؛ قد يستدل على قصد المرسل بأن المتلقي يفترق إلى المهارة في طبخه، وفي هذه الحالة فإن القصد والقوة الإنجازية غير تلك الظاهرة ويمكن الاستدلال عليها باستحضار عدة عناصر، ومن البدهة التساؤل عن حدود النقل السليم للقوة الإنجازية إلى اللغة الهدف.

إن الإشكالية التي تطرحها الترجمة في هذا الصدد تكمن في مدى تأثير المترجم على القوة الإنجازية والتأثيرية لأفعال الكلام، ومدى تأثير القصد إن تم تمثيل الأفعال على نحو خاطئ في

اللغة الهدف؛ ولقد أشار بهاء أبو الحسن عند ذكره للصعوبات التداولية في الترجمة الأدبية إلى ضرورة تركيز الانتباه على القوة الإنجازية للنص بأكمله وهذا باعتبار أن تقييم القوة الإنجازية للنص يبنى على تسلسل كل الأفعال المكونة له. (32)؛ فالمقصد الإجمالي للنص يتكون من مجموع القوى الإنجازية لأفعال الكلام التي تشكله.

## 2-14- الإشارات و الترجمة:

يقصد بالتعبير التأشير كل صيغة تستعمل للقيام بالإشارة، ويعرفها "جورج يول" كالتالي:

« Deixis is a technical term for one of the most basic things we do with utterances. It means pointing via language. » (Yule, 1996, p. 9)

الإشارات مصطلح تقني يستعمل لوصف أهم الأشياء التي نقوم بها أثناء التلفظ، ويعني التأشير "خلال الكلام". وتستعمل للإشارة إلى الأشخاص أو المكان أو الزمان، ولا تتضح دلالتها إلا في سياقاتها الخطابية التي يشترك فيها المتخاطبين والتي ينبغي على المترجم أن ينتبه إليها أثناء العملية الترجمة لتفادي الالتباس وتحقيق ترجمة دقيقة وتنقسم هذه الإشارات إلى ثلاثة أنواع؛ أولها: الإشارات الشخصية، ويقصد بها الضمائر، ولتحديد الإشارات دور مهم في فهم العملية التواصلية:

« To learn this deictic expressions, we have to discover that each person in a conversation shifts from being « I » to being you constantly. » (Yule, 1996, p. 10)

"المعرفة هذه التعابير التأشيرية علينا أن نعلم أن كل شخص ينتقل باستمرار من "أنا" إلى "أنت" أثناء المحادثة." ويمكن أن تكشف لنا عن التباين الاجتماعي والمكانة الاجتماعية للمتخاطبين

والعلاقة بينهما فمثلا تدل المبجلات على رفعة مكانة من تحال إليه؛ فالضمير "أنتم" قد يدل على مجموعة من المخاطبين كما قد يعود على شخص أعلى مرتبة.

أما الإشارات المكانية فهي جزء فاعل في الخطاب إذ يستحيل الفصل بين المتلفظ ومكان التلفظ؛ بمعنى "لا ينفك المتلفظ عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشارات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 84) و هي عبارة عن صيغ لغوية يقوم المتلفظ من خلالها بتحديد مواقع الأشخاص والأشياء بشكل نسبي؛ فهي تشتمل على كل العناصر التي تدل على الأماكن، وبتحليلها يمكن معرفة الإطار المكاني للمخاطبين؛ نحو: أسماء الإشارة وظروف المكان والزمان وغيرهم.

ثالثا، الإشارات الزمانية، لا يكاد يخلو أي خطاب من الإشارات الزمانية وهي عبارة عن صيغ لغوية و "كلمات تدل على زمان يحدده السياق إلى زمان المتكلم فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام." (36)، ولا بد للقارئ أو السامع أن يعرف زمان التلفظ وإلا انتقصت حلقة من حلقات الخطاب؛ زمن التلفظ هو المنطلق الذي يحدد الصيغ التعبيرية للتأشير الزماني في بقية الخطاب.

## خلاصة

حاولت في حدود الإمكان التطرق في هذا الفصل إلى أهمية بعض النظريات اللسانية في تحليل الخطاب الحجاجي و ترجمته و توضيح العلاقة بينهم، و ذلك من خلال ربط معطيات النظرية التداولية بالعملية الترجمة. كما وقفت على أهم مفاهيم التداولية و الحجاج التداولي الذي يكمن في بنية اللغة و يرمي إلى ربطها بمستعملها بهدف كشف المقاصد، حيث تنشأ الترجمة في إطاره الحصول على نص يحافظ على الجوهر مع الأسلوب عن طريق التأويل السليم و النقل الأمين لمقاصد الحجاج مع مراعاة سياقي الإنتاج و التلقي.

## الفصل الثالث:

الخطاب القرآني المضاد في ضوء جمالية التلقي

## تمهيد

إن المخاطب حين يرسل خطابه إنما يرسله لمتلق معين، يتصوره في ذهنه، فينبعث بينهما سياق للتواصل و التفاعل، يظل كامنا في الخطاب "في شكل طاقة جمالية تبحث باستمرار على أن تتبثق وتتفجر خلال تداول النص." (بلمليح ، 2000، صفحة 5)

و قد شغل محور القارئ والقراءة اهتمام الكثير من الدراسات و النظريات التي جعلت من فعل التلقي محورا لمفاهيمها النظرية و الإجرائية التي جاءت بعد البنيوية، و سميت ب "نظرية التلقي"، ففسحت المجال أمام الذات المتلقية للدخول في فضاء التحليل فكانت إعادة الاعتبار للقارئ أحد أبرز عناصر التخاطب.

فإذا كانت نظرية "الاستقبال" أو "التلقي" أو جمالية التلقي" قد ظهرت لتقدم اعتراضا على الفهم أو التصورات البنيوية للخطاب الأدبي، كما هو الحال مع اتجاهات ما بعد البنيوية، إلا أنها اختلفت عنها و عن كل النظريات التي اهتمت بالقراءة والقارئ، لكونها نظرية تعنى بالفهم لا بالقراءة فحسب، ذلك لأن الفهم عملية وظيفية لكونه يسهم إسهاما فاعلا في بناء معنى النص. و ما يهم أكثر في هذا السياق هو ذلك القارئ القادر على أن يندمج داخل موقع التفاعل النصي "يتواصل مع المبدع وينتج إنتاجا مواز للنص" (بلمليح ، 2000، صفحة 5) فيعمل على بلورة الطاقة الفنية الكامنة في النص والمشملة على إمكانيات انبثاقها في مراحل زمنية مختلفة وفق ما يلائمها من أجهزة و حسب ما تتضمنه من فعاليات متنوعة، ذلك أن "كل نص سواء كان نصا مقدسا أم نصا دنيويا يكون محمولا برغبة خلق القارئ الذي يتجه نحوه، وهنا يكمن حلم أبديته." (الحدادي، 1999، صفحة 11)

### 3-1- الخطاب القرآني و التلقي:

إن النص الخطابي يختلف عن النص الشعري في جملة من المعايير، من بينها ما اتصل بطبيعة العلاقة بين النص و قارئه: " ولعل أبرز ما يميز النص الخطابي هو ضرورة ارتباطه بجمهور يتوجه إليه، وربما كانت صورة الجمهور المتلقي أسبق إلى ذهن الخطيب من موضوع النص." (عبد الواحد، 1996، صفحة 120) لأن هذه الصورة على اختلاف أشكالها وتعدد واقعها، تعد من مصادر الإلهام والإيحاء بالموضوع وكيفية تناوله.

و القرآن الكريم بوصفه خطابا إلهيا من حيث المصدر، لا يعني عدم قابليته للتحليل بما أنه خطاب إلهي تجسد في اللغة الإنسانية في سياقاتها المختلفة؛ الاجتماعية والثقافية والتاريخية، لذلك كان من الضروري بيان الكيفية التي يتعامل بها النص القرآني مع المتلق وأيضاً كيف يتعامل المتلقي مع النص القرآني، إضافة إلى أن الخطاب موجه للناس كافة ومن هنا قام بدور استثنائي و هو هداية الناس في كل زمان ومكان، " في حين كانت الأديان الأخرى تعنى بمنطقة معينة وزمن معين." فكانت معجزة الأديان السابقة خوارق يراها الناس فيؤمنوا بها بحكم هذه الخوارق فيتوارثها الأبناء عن الآباء حتى يأتي دين جديد بخوارق أخرى ليؤمنوا به." (البناء، 2004، صفحة 105)

و لكن الخطاب القرآني لم يكن يعتمد على الخوارق لأنه موجه للبشر أجمع على اختلاف الزمان و المكان، و من ثم كانت معجزته كتابا دائما لمعالجة النفس الإنسانية، فنقل معجزته من مجال الخوارق الطبيعية إلى معالجة الطبيعة البشرية الدائمة، فكان عليه أن يخاطبها بشتى الوسائل و الطرق ليحدث فيها أثرا وليهيئها للإيمان، ومن هنا وجد عنصران في القرآن الكريم: عنصر يتعلق بالنص وعنصر يتعلق بالخطاب.

و النص هنا ليس بمعنى ما فيه من أحكام وما فيه من حدود وخصائص، إنما هو نفسه مصاغ بطريقة تحقق الأثر في النفوس لتهيئتها للإيمان، ثم ينتقل القرآن من النص إلى الخطاب، فيدعو إلى الفكر والعقل والحرية والمساواة والمعرفة والتدبر. ولذلك كان التفاعل في الخطاب القرآني "عملية واصلية بين نص قادر على ان يستوعب قارئه، وقارئ قادر على أن يستوعب نصه." (بلمليح ، 2000 ، صفحة 6) و تلك مسألة متحققة في النص القرآني مادام موجها إلى العام والخاص وصالحا لكل زمان ومكان. و بما أن القرآن الكريم قد وصلنا عن طريق خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فهو بذلك أول المتلقين فيه، ومن ثم يتوجه إلى متلقين آخرين من فئات وطبقات مختلفة.

### 3-1-1-1- جبريل - عليه السلام - متلقيا و مبلغا للقرآن الكريم:

من المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلقى القرآن الكريم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وبما أن جبريل عليه السلام هو حامل هذا القرآن من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فتتمثل مهمته في تبليغ كلام الله وإيحاءه. وقد وصفه الله بأنه: "أمين على الوحي يبلغه كما سمعه عن الله تعالى" (الصابوني، صفحة 36) لقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (سورة التكويد، الآيات 19-21) و قوله أيضا: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (سورة الشعراء، الآيتان 193-194)

وردت كلمة "وحي" مرات عديدة لوصف ماهية الخطاب القرآني وعلاقة الله بالنبي صلى الله عليه وسلم و الإلهامات الموجهة إلى الأنبياء، والرسل من قبله حيث كان الوحي الإلهي إليهم "يجري بصفة داخلية وبدون وعي كامل، أي كتأثير نفسي" (جعيط، 1999، صفحة 17) و فيما

يتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم، يتضح جليا أن ما يتلوه و يبشر به العالمين ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم، الآية 4)

فالقرآن هو نتيجة الوحي و مضمونه، و معانيه و ألفاظه مندرجة في الفضاء و الزمان، فالوحي: "هو العملية التي تم بها التبليغ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والتجربة الفريدة التي عاشها." (جعيط، 1999، صفحة 18)

و نجد أنه كثيرا ما عمد القرآن الكريم إلى أسلوب المحاجة والإقناع مهتما بصفة بالغة بإثبات مصداقيته، و مصداقية العلاقة الإلهية-النبوية التي تتجسد من خلال الوحي المتضمن لصيغ التبليغ و صيغ الأمر والنهي و التعليم من الله عز و جل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم إلى سائر الخلق.

فالوحي هو ثمرة التجلي الناتج عن الإدراك والانكشاف، و أصله الإشارة السريعة، و جاء في القاموس المحيط "الوحي: الإشارة، و الكتابة، و المكتوب، والرسالة، و الإلهام، و الكلام الخفي، و كل ما ألقيته إلى غيرك، و الصوت يكون في الناس و غيرهم." (الفيروز آبادي، 2005، صفحة 1207)

و قد روي في وحي الله تعالى إلى أنبيائه المعنيان الأصليين لهذه المادة، و هما الخفاء و السرعة، و لهذا فإن الوحي شرعا لا يتضمن أكثر من تكليم الله لأحد عباده بطريقة من طرق الوحي، و قد قيل في تعريفه: "عرفان يجده الشخص من نفسه بأنه من قبل الله، بواسطة أو بغير واسطة، و الأول بصوت يسمعه أو بدون صوت." (زرزور، 1980، صفحة 48)

و يمكن التعرض لكيفيات نزول الوحي، مع الإشارة إلى الصورة التي نزل بها القرآن الكريم: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة الشورى، الآية 51) و كان تكليم النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام و ذلك على شكلين، الأول أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس، و الثاني أن يتمثل له الملك رجلا فيكلمه، فيعي عنه ما يقول، فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي، فقال: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، و هو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، و أحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي عنه ما يقول." (البخاري، 2003، صفحة 17) حتى إن الصحابة في هذه الحالة كانوا يرونه أحيانا، و هذه الصورة من صور الوحي هي أهون ما يكون من مراتب الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم.

و مهما كان الشكل الذي جاء به الوحي، أو الكيفية التي نزل بها القرآن، فالمهم أن جبريل عليه السلام قد أخذ القرآن الكريم عن الله تعالى وبلغه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بلغه إلى كافة الناس فقد روي في الحديث الشريف: "إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع أهل السماء صعقوا و خروا سجدا، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله بوحيه بما أرادن فينتهي به إلى الملائكة، فكلما مر بسماء سأله أهلها: ماذا قال ربنا؟ قال: الحق؛ فينتهي حيث أمر." (الصابوني، صفحة 37)

### 3-1-2- ظاهرة الوحي كعملية تواصلية:

تمثل ظاهرة الوحي مبدأ اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة، و مصدر المعرفة الإنسانية عن عالم الغيب ثم يأتي دور الوحي الذي يعرف الإنسان بحقيقة العالم فيرسم له طريق الحياة الأمثل و

تتجسد النبوة في كونها وسيلة الاتصال بين عالم الغيب و عالم الشهادة عن طريق الوحي. و لقد هيا المرسل "الله" لاستقبال الرسالة فكانت الآيات التي نزلت في عملية الاتصال الأولى هي آيات من سورة العلق، تكشف عن طبيعة الأسئلة التي كانت تحير محمدا صلى الله عليه وسلم وتدفعه إلى الخلوة في غار حراء، فكان الموقف الاتصالي موقفا معقدا، عندما فاجأه الملك أمرا بالقراءة (اقرأ)، وكانت الاستجابة الأولى هي "ما أنا بقارئ."

إن الأمر بالقراءة معناه "ردد"، على خلاف المفهوم الشائع الآن فقول النبي صلى الله عليه وسلم "ما أنا بقارئ"، لا يعني الإقرار بالعجز عن القراءة، وإنما معناه لن "أقرأ"، فالبعبارة تجسد حالة الخوف التي انتابت النبي محمدا صلى الله عليه وسلم حين فاجأه الملك، فراح يكرر "ما أنا بقارئ"، و هذا ما يؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد تحقيق فعل القراءة، استجابة لإلحاح الملك، سيطر عليه الخوف والفرع.

ففهم قول النبي صلى الله عليه وسلم "ما أنا بقارئ" على أساس أنه إقرار بالعجز عن القراءة نتيجة الأمية، فكان جبريل عليه السلام المبعوث من عند الله لا يعلم هذه الحقيقة، حيث استطاع النبي الأمي أن يقرأ بفضل معجزة من الله.

إن الخطاب الأول متوجه في الأساس إلى محمد صلى الله عليه وسلم، يبدأ هذا الخطاب بتعريف المرسل و تحديد علاقته بالمتلقي الأول من جهة وعلاقته بالناس من جهة أخرى، ثم يضيف ل "ربك" "الذي خلق"، فكان إحساس محمد الذي تتوجه إليه هذه الرسالة بأن ربه هو الذي خلق الإنسان "يتساعد بذاته وبقيمه وأهميته، و يداوي إحساس اليتيم و الفقر المستقر في أعماقه" (أبو زيد، 1993، صفحة 76) و لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يعزل نفسه عن الواقع وعن الإنسان، فإن النص يكرر الفعل "خلق" كاشفا له عن تساؤلاته عن الإنسان، فيقول له: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَلْقَاهُ فِي سَفْحٍ لَدِيمٍ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ (سورة العلق، الآيات 1-6)

و في ظل هذا الخوف و الرعدة و التدثر، أفصح له الوحي عن حقيقة الدور الذي أسند إليه، وعظم المهم التي كلم بها -أي مهمة الإنذار- ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتِرُّ \* فَمَ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (سورة المدثر، الآيات 1-5)، و قد لاحظ المفسرون القدماء أن مفعولي "أنذر" محذوفان لعدم تعلق الغرض بهما، و تعلقه بأصل الإنذار، و له غاية مهمة تتمثل في تجاوز النص مع المتلقي ذاته من حيث أنه يعلم من ينذر ويعلم أسباب الإنذار، فتتوالى أفعال الأمر بصورة سريعة: "فأنذر"، "فكبر"، "فاهجر". فبعد تكليف محمد بالقراءة يكلف بمجموعة من الأفعال تستدعي القيام. (أبو زيد، 1993، صفحة 82)

فهذه الأوامر المتتالية تبدأ بطلب قيام المدثر، ثم الإنذار، فالتكبير، فتطهير الثياب، انتهاءً بهجر الرجز، كلها تبدو للمدثر عبئاً ثقيلاً، وخاصة في حالة الرعدة التي انتابت الرسول صلى الله عليه و سلم لذلك يتحول النص من الأمر إلى النهي: ﴿وَلَا تَمُنْ بِمَا تُسَنَّوْنَ﴾ (سورة المدثر، الآية 6) فالنهي عن المنة هنا نهى عن التخاذل و الضعف و الاستكثار للأوامر و استئثارها، ثم يقرن ذلك بالأمر ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (سورة المدثر، الآية 7) ، و الصبر لا يكون إلا مع الشدائد، وهنا يعني الصبر لأوامر ربه.

فما زال النص في عملية الاتصال هذه يتجاوب مع حال متلقيه، ويفصح أن أشواقه، و يجيب عن أسئلته، فأمره بالإنذار ليرد حيرته، كما أمره بالتكبير و تطهير الثياب و هجر الرجز تأهيلاً له للقيام بأعباء الرسالة المسندة إلى عاتقه، ثم تأتي مرحلة الدعوة وإعلان الرسالة التي أدت إلى الجدل و التفاعل و الحوار الذي شكل الخطاب القرآني.

فالتفاعل بين المتكلم و المخاطب أول ما نزل من القرآن الكريم، حتى أقنعه في الأخير بالقراءة فحصل التواصل و التفاعل على المستوى الأول و من هنا تلاه تواصل و تفاعل على المستوى الاجتماعي. و هذه المفاهيم ليست وليدة الثقافة الغربية كما قد يعتري القارئ سوء فهم في ذلك، و لكنها تصلح لوصف و تأويل الثقافة الإسلامية، و إنما اختلفت طريقة استثمارها والبرهنة عليها، فكانت مبادئ كلية متعالية بحكم طبيعتها.

و إذا كانت الدلالة المركزية للوحي هي الإعلام، فإن من شرط هذا الإعلام أن يكون خفياً سريعاً، و يمكن القول إن الوحي علاقة اتصال بين طرفين، تتضمن إعلامنا رسالة ما بطريقة خفية سرية "و إذا كان الإعلام لا يتحقق في أي عملية اتصال إلا من خلال شفرة خاصة، فمن الضروري أن يكون مفهوم الشفرة متضمناً في مفهوم الوحي" (أبو زيد، 1993، صفحة 36) و لا بد أن تكون هذه الشفرة المستخدمة في عملية الاتصال شفرة مشتركة بين الباث و المتلقي، أي بين طرفي في عملية الاتصال.

### 3-1-3- الرسول ﷺ متلقياً و مبلغاً للقرآن الكريم:

ليست رسالة القرآن رسالة خاصة بمتلقيها، إنما هي رسالة مطلوب تبليغها للناس وإعلامهم بها، فإذا كانت الرسالة لغوية قولية، كما هو الأمر في حالة القرآن، فالمطلوب هنا هو تبليغ منطوق الرسالة اللفظي دون تبديل أو تحريف، و لذلك كانت مهمة الرسول صلى الله عليه و سلم نقل الرسالة و إبلاغها للناس لا مجرد تلقيها و العلم بمحتواها "إن مجرد التلقي والعلم بالرسالة لا يتجاوز مرحلة "النبوة"، و الإبلاغ هو الذي يجعل من النبي رسولا" (أبو زيد، 1993، صفحة 63)

و من ثم يتحول الرسول صلى الله عليه وسلم من متلق إلى مبلغ "فهناك أولاً الناطق المرسل هو الله، و يوجه رسالة إلى مرسل ثان هو الكائنات البشرية أو البشر" (أركون، 2001،

صفحة 153)، و لذلك يقول تعالى: ﴿يَأْيُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة المائدة، الآية 67)، و كون النص القرآني بلاغا، معناه أن المخاطبين به هم الناس جميعا، و ليس فقط الذين ينتمون إلى نفس النظام اللغوي الذي نزل به القرآن، فالتنزيل القرآني كان عبر وسيطين هما "جبريل والرسول صلى الله عليه: "إنها رسالة السماء إلى الأرض، لكنها ليست رسالة مفارقة لقوانين الواقع بكل ما ينتظم في هذا الواقع من أبنية و أهمها البناء الثقافي." (أبو زيد، 1993، صفحة 64)

فالبشر هم هدف الوحي و غايته، فيكون بذلك النص دالا من حيث هو رسالة لغوية على كل أطراف عملية الاتصال:" و إذا كان النص بمثابة خطاب فلا بد أن يتضمن دوال تدل على المتكلم، و على المخاطب الأول، أي على الله و على محمد وعلى الناس" (أبو زيد، 1993، صفحة 64)، و رغم ذلك فإن الدوال ليست متساوية سواء من حيث طبيعتها الدلالية أو العددية.

إن النص كله لا يدل إلا من خلال النظام اللغوي الخاص بالمخاطبين و الثقافة العربية قبل الإسلام كانت تتجه نحو المخاطب في نصوصها أكثر مما تتجه نحو المتكلم (أبو زيد، 1993، الصفحات 64-65) و إن انتماء النص إلى مجال هذه الثقافة يجعله يتجه ناحية المخاطب، و الدليل على ذلك كثرة أدوات النداء فيه: "يا أيها الناس"، "يا أيها الذين آمنوا"، "يا أيها الكافرون"، "يا أهل الكتاب"، بالإضافة إلى نداء المخاطب الأول وهو: "الرسول ﷺ".

كما أن البلاغ يحتاج إلى الشجاعة و عدم خشية الناس حتى يبلغهم ما يخالف معتقداتهم، و يأمرهم بما يستكرونه، و ينهاهم عما ألفوه ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية 39) و مهمتهم الأولى إبلاغ هذه الأمانة التي

تحملوها إلى عباد الله، من غير زيادة أو نقصان، فإذا كان الموحى به ليس نصا يتلى فيكون البلاغ ببيان الأوامر و النواهي و المعاني و العلوم التي أوحاها الله من غير تبديل و لا تغيير.

و من البلاغ أن يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم الوحي الذي أنزله الله إلى عباده، لأنه أقدر من غيره على التعرف على معانيه و مرامييه، و أعرف من غيره بمراد الله من وحيه لقوله تعالى لرسوله الكريم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سور النحل، الآية 44) وهذا البيان يكون بالقول والفعل معا.

إن الخطاب القرآني مركب كليا بواسطة مخطط معين للتوصيل (أي شبكة توصيل وتواصل محددة)، تمارس فيه الوظائف من قبل الفاعل نفسه و هو الله، وبواسطة النص القرآني يتم التواصل مع مرسل إليه ينقسم إلى نوعين: مؤمن و كافر، و تتم عملية التواصل عن طريق وسيط ذي مكانة متميزة هو محمد و هو مجرد ناقل للوحي.

و الفاعل المطلق هو الله، يرسل الأعمال التوصيلية كالأوامر و النواهي، و السردية و المرجعية و المعرفية و التشريعية و غيرها إلى البشر، فيقع هذا الفاعل في علاقة تحالفية مباشرة مع المرسل إليه (محمد) الذي يمتلك موقعا مزدوجا، فهو من ناحية يمثل الرسول الواسطة التي يمر من خلالها كلام الفاعل المطلق، و هو من جهة ثانية (فاعل-ذات) مرسل يبلغ البشر كلام الله "إنه معبأ بالقوة الكلامية والنطقية للعبارات المنقولة (الآيات)، كما أنه مسؤول بحكم وظيفته هذه عن تحيين الرسالة وتجسيدها في التاريخ عن طريق انخراط شخص ثالث: هو المرسل إليه الجماعي." (أركون، 1996، صفحة 94) و من الناحية المحسوسة فإن المرسل إليه الجماعي هو مبدئيا سكان مكة، ثم سكان المدينة ثم سكان الحجاز كله، ثم دار الإسلام بأكملها التي ينبغي أن تمتد و تتسع تدريجيا لكي تشمل الأرض كلها.

فالمرسل إليه "الجماعي" في مكة و المدينة يشمل معارضين رفضوا الميثاق الأعظم، و لذلك وجب خوض الصراع معهم من أجل تحويل رفضهم إلى قبول و عرفان، فنجد في الآية الخامسة من سورة التوبة ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَفْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة، الآية 5)

إن الفاعل الثاني (محمد) غير ظاهر، و لكنه يظهر في الآية التالية ﴿وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية 6) أما الفاعل الأول أي الله، فإنه يستطيع هنا أن يخاطب المرسل إليه الجماعي (البشر) مباشرة، و هذا يتضمن بالضرورة المرسل إليه الأول (محمد) دون المرور بالواسطة، فيتوجه إليه بصيغ الأمر (اقتلوا، أسروا، حاصروا، اضربوا...).

### 3-1-4- المتلقي الفعلي للخطاب القرآني:

يتميز النص الخطابي باستدعاء القارئ للمشاركة الفعلية في بناءه، فيخاطبه مباشرة ويدعوه للإسهام معه في عملية تكوين النص، مما يعني أن القارئ لم يعد متلقيا سلبيًا للنص، وإنما يقوم بنشاط ذهني، "يتلقى اقتراحات المؤلف ثم يعيد بناءها من جديد ليكتشف نصه الخاص" (لحمداني، 2003، صفحة 13)، فكل نص يستدعي قارئه بإلحاح لفك رموزه وتتابع بناءه، حيث يجد المتلقي حريته الكافية للمشاركة الفعلية في هذا البناء.

فالكاتب حين يكتب نصه، فإنه يتوجه إلى قارئ معين يكون في ذهنه، هذا القارئ يظهر بأشكال مختلفة داخل النص، و من ثم تحدث علاقة بين شكل تقديم النص و القارئ الذي هو موجه إليه، و هذا يكشف من جهة أخرى عن بعض المعطيات التاريخية الحاضرة في ذهن

المؤلف، و هو بصدد كتابة نصه، و من يخاطب شخصا معينا، يتميز بوجوده الفعلي الذي قد تحدده القراءة المرجعية، و من هنا يمكننا الحديث عن القارئ الفعلي أو الحقيقي الذي يتوجه إليه الخطاب مباشرة ليخصه دون غيره، لأنه في الحقيقة ليس سوى واحد من أفاق النص، و مختلف عن أنواع القراء الآخرين.

يحضر المتلقي الحقيقي في النص القرآني بشكل مكثف، فالقرآن الكريم قبل كل شيء موجه إلى أشخاص معينين مأمورين و مكلفين من قبل الله تعالى، لذلك توجه إليهم الخطاب مباشرة على صيغ مختلفة "يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الناس، يا بني إسرائيل، يا أهل الكتاب، يا موسى، يا آدم، يا نوح، يا أيها الذين هادوا، يا أيها المدثر..."

و من هنا يمكن تحديد جهات الخطاب، التي توجه إليها النص القرآني للتواصل مع المتلقي الحقيقي و قد تفاوتت حسب تفاوت الاستعدادات الفكرية و الإيمانية بالنسبة لهذا الإنسان (المتلقي) وهي: "الخطاب العام الموجه لكل إنسان. خطاب المؤمنين موجه إلى الذين آمنوا فعلا، لتصعيد وتيرة الخطاب، على أساس أنهم ظفروا بهذه النعمة قبل الخطاب، و خطاب أهل العلم، موجه لحملة العلم. ثم خطاب المتقين، و هم أولئك الذين يحرصون على تنفيذ أحكام الله و يعملون على تجنب الشبهات، و أخيرا خطاب أهل اليقين، و هم صفوة من أهل الإيمان الذي لا يتزعزع." (غالب، 2001، صفحة 79)

### 3-1-5- المتلقي المستهدف للخطاب القرآني:

يتوجه الخطاب القرآني بالخصوص إلى نوع من المتلقين و هو المؤمنين، سواء عاصروا نزول القرآن أو جاؤوا بعده و بذلك يعد المؤمن قارئاً مستهدفاً، و قد احتل كثافة نصية معتبرة مقارنة مع الخاطبين الآخرين، و ظهر بأشكال متعددة.

فالقارئ المستهدف فكرة مشكلة في ذهن المؤلف، أو هو صورة يكونها المؤلف عن القارئ، تظهر بأشكال مختلفة داخل النص، تحدد نوع القارئ، إذا باستطاعتها توليد القارئ المثالي (عودة خضر، 1997، صفحة 162)، فالقرآن الكريم خطاب عام يتوجه إلى كل الناس، غير أنه يستهدف المتلقي المؤمن الذي يستجيب لخطاباته و يتفاعل معها.

و لئن كان "أيزر" قد تساءل فيما يخص هذا النوع من المتلقين، فلاحظ أن صورة القارئ تكشف عن بعض المعطيات التاريخية الحاضرة في ذهن المؤلف، وهو بصدد كتابة نصه، و تساءل كيف يستطيع قارئ مبعث تاريخيا عن النص أن يفهمه، إلا أنه وجد في نهاية الأمر أن القارئ المستهدف ليس سوى واحد من آفاق النص، و أن دور القارئ ينجم عن تداخل الآفاق كلها، فاعتبر هذا القارئ إعادة بناء مفهومية تمثل الاستعدادات أو القابليات التاريخية للجمهور الذي هو مقصد المؤلف. (أيزر، 1986، صفحة 30)

فالمتلقي المؤمن يتعاقب من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر و عملية التفاعل متواصلة عبر العصور، و يظل القرآن نصا مفتوحا قابلا لقراءات مختلفة و لدراسات متنوعة لذلك لا يمكن القول إن خطاب الإيمان في القرآن قد توجه فقط إلى قارئ معاصر لنزوله، و إنما توجه إليه كقارئ مجرد في كل الأزمان، و قد جاء هذا التوجه مقترنا بضده و هو خطاب الكافر لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة، الآية 104)، و من ثم يبدأ في التواصل مع هذا النوع من المخاطبين ليبين له بعض الأحكام، بادئا بالصبر و الصلاة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة، الآية 153)

إن الآيات التي تتوجه إلى المؤمنين كثيرة في النص القرآني، إذ أن نداء الغيمان يتوجه إلى الإنسان كمتلق فعلي ومقصود لفهم آيات الله، و من ثم يغدو متلقيا مجردا في كل الأزمان، بعد أن يخصه كقارئ مقصود عاصر نزول هذا القرآن، و تستمر هذه الآيات متوجهة إلى هذا المتلقي المتفاعل مع كل الخطابات النصية في هذا الكتاب.

يتدرج القرآن الكريم في خطاب المؤمنين، فبعد التكليف بالصبر و الصلاة و أداء الواجبات المفروضة عليهم، يدعوهم إلى التمتع بالخيرات و الطيبات التي رزقهم الله في هذه الأرض ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية 172)

### 3-1-6- المتلقي المستجيب للخطاب القرآني:

إن النص الخطابي مرتبط بالحقل الخاص الذي تصدر عنه جميع التسنيئات الممكنة " و ليس هناك ما يضمن لنا أن مقاصد التسنين ستدرك عند كل المخاطبين بشكل واحد في جميع الظروف والأحوال" (بن عروس، 2006، صفحة 163)، و لا يعني ذلك أنه يمكن إجراء تواصل له فائدة تتعلق بالبنى النصية الإخبارية و جانبها المضموني، ذلك أن حياة الناس التواصلية قائمة على هذا الأساس، غير أن هناك صعوبات تحدث أثناء التواصل، تجعل من النص لا يبلغ مداه دائما، حيث يحتمل حصول اللاتفاهم، و رغم ذلك فقد اعتبر هامش اللاتفاهم هذا ضروريا في نظر بعض المنظرين، من أجل استمرارية الحوار و التفاعل.

و من هنا يمكننا الحديث عن المتلقي المستجيب والمتلقي المنكر في الخطاب القرآني، ودرجة استيعاب كل منهما لهذه النصوص بالنظر إلى الاعتبارات والآفاق التي تساهم في تقبلها أو رفضها. فالمتلقي في النص القرآني يشمل الأنصار المدعويين عموما بالمؤمنين، والمعارضين

المدعويين عموماً بالمشركين أو المنافقين، أو الفاسقين، أو اليهود أو النصارى. (أركون، 2001،  
صفحة 61)

هذا القرآن إذا تلقاه نفر من الجن انبهروا به لما عرفوا من الحق ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ  
الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (سورة الجن،  
الآيتان 1-2)

تبين هذه الآيات شهادة كائن من عالم آخر بالعقيدة التي كان المشركون ينكرونها و  
يجادلون فيها، زاعمين في بعض الأحيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقى هذا القرآن من  
الجن، و من ثم جاءت هذه السورة ردا عليهم بشأن الجن أنفسهم بصدق هذا القرآن و تنزيله من  
رب العالمين، وتكذيب دوى المشركين، و الواضح من الآيات أن تلقي الجن لكلمات الله، قد أصابهم  
بنوع من الذهول و الروع وملاً نفوسهم، فانطلقوا يحدثون بجلالة ما سمعوه من الحق، فقد ارتبطت  
هذه الآيات بإثبات صورة اتصالية كان حاصلها دهشة المتلقي وعجزه عن التحدي.

و قد كانت هذه السورة تصحيحاً عن عالم الجن في نفوس كل المخاطبين آنذاك وهم  
العرب، و في نفوس كل المتلقين عبر الزمان. و قد عبر الجن من خلالها عن عجب ما صادفهم  
من آيات و استطاعوا للوهلة الأولى فك شفرة الكلام الملقى إليهم، و قد وضع المتلقي في هذه  
الآيات في حالة انفعالية، إذ كانت لدى الجن من قبل توقعات منتظرة، و قد تغيرت بمجرد سماعهم  
لتلك الآيات، و هذا ما يسمى بتغيير أفق الانتظار، مما يدل على أن النص القرآني يحمل في  
طياته قدرة المتلقي على تعديل شروط الاستجابة و التواصل، و هذا ما أشار إليه "أيزر" عندما  
اعتبر أن العلاقة بين النص و المتلقي ستغير جذريا في هذه الحالة. (حسن محمد، 1999، صفحة  
128)

### 3-1-7- المتلقي المنكر للخطاب القرآني:

ليست العملية التواصلية في القرآن الكريم تقع دائما بتلك البساطة والسهولة لتقبل رسالة المرسل، و إنما تواجه تلك العمليات صعوبات في أغلب الأحيان تحوا دون استجابة المتلقي، فيصطدم المخطط التواصلية بجملة من العراقيل تصعب تحقيق التفاعل الخطابي، ومن هنا يمكننا الحديث عن المتلقي المنكر في القرآن الكريم، فالآيات التي تشير إلى هذا النوع من المتلقين كثيرة، منها قصة فرعون مع موسى عليه السلام مثلا و التي تمثل هذا النوع وتشتمل على نموذج المتلقي الراض لما جاء به الرسل من الحق، و يظهر صد فرعون واضحا و ممزوجا بالسخرية و الاستهتار في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (سورة غافر، الآيات 36-37)

يقدم فرعون هذه الأسلوب الساخر المتهمك، لشد انتباه قومه إلى ما يدعوهم إليه؛ و إبطال دعوى موسى، و قد حاول بناء أسس أخرى مخالفة لما جاء به الرسول "ص"، انطلاقا من كونه ملك قومه، و من هنا حاول التسلط حتى اخترق نظام البشر، فقال: "أنا ربكم الأعلى"، ولجأ إلى طريقة لاستمالة قومه إلى ما يدعوهم إليه من ضلال، و جعلهم يشاركونه في مشروعه، فنصل في آخر الآية إلى تعليق من قبل الله تعالى: مفاده أن مكرك وكيدك يا فرعون صائر لدمار والخيبة " و ما كيد فرعون إلا في تباب". و التعليق سمة من سمات الخطاب القرآني، لا تكاد تخلو منه سورة أو حادثة، و ذلك لفت انتباه المخاطب إلى نتيجة كل فعل يقوم به الإنسان في هذه الحياة، و أن الفوز و الفلاح للمؤمن، و الخزي و الخسران للكافر.

إن الحديث عن المتلقي المنكر في القرآن الكريم قد ورد بكثرة، و عادة ما جاء مقترنا بالوعيد المتمثل في الجزاء الذي أعده الله للمكذبين كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (سورة الملك، الآية 18)، و قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (سورة المرسلات، الآية 15) فالسورة كلها موجهة للمكذبين بمجموعة من الاستفهامات و الاستنكارات و التهديدات، فجاءت فيها الآية السابقة على شكل لازمة (قطب، 2003، صفحة 3789)، تتكرر عقب كل معرض و مشهد من مشاهد الدنيا والآخرة، و حقائق الكون و النفس، و مناظر الهول و العذاب، ترد قصيرة سريعة عنيفة، فالسورة عبارة عن جولات متعددة، تبدأ بمشهد الفصل، ثم مشهد مصارع الغابرين، فمشهد النشأة الأولى، فالأرض التي تضم الأحياء والأموات، ثم يعود السياق إلى مشهد المتقين، و في الأخير عودة إلى موقف المكذبين.

فالملاحظ أن هذه الآيات تتوالى في إيقاعات سريعة، تتبع كل آية منها بالوعيد والتهديد، إنذار من الله، فجاءت أشد دلالة على الجزء المنتظر للمكذبين، و تشكل محورا عاما لتلقي المكذبين الذي ينطبق على كل الرسائل، و خاصة رسالة القرآن، حتى أن بعضهم أراد تغيير هذا القرآن أو تبديله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۖ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۗ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۗ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۗ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة يونس، الآية 15)

### 3-1-8- المتلقي المشارك في إنتاج المعنى:

إن ما توصلت إليه نظرية التلقي و النظرية التأويلية من استراتيجيات مهمة كفيل باستجلاء مكتومات النص القرآني، خصوصا إذا نظرنا إليه بوصفه معطى جمالي لا ينضب، فبقدر ما نتعمق في العمل بقدر ما تتعدد زوايا الرؤية فيه، فيكون النص بمثابة نسيج من الفضاءات البيضاء

و الفجوات التي يجب ملؤها من قبل المتلقي، و ملء الفراغ يعني مشاركة القارئ في بناء المعنى الذي يحدده السياق، خاصة إذا علمنا أن المرسل يرغب في حمل المتلقي على فهم رسالته و في الوقت نفسه لجعله ينفعل لأثره و يستسلم له، ولا يتم ذلك إلا وفق شروط ينبغي توفرها في القارئ النموذجي لأدبية الخطاب القرآني، و بدونها لا يتحقق هذا السعي، لأن النص القرآني يتطلب تنوعا معرفيا يؤهل للقراءة الواعية.

هذه الظاهرة عرفت سابقا في الدراسات السردية بالإضمار أو القطع، و يعني ذلك تجاوز بعض المراحل من النص دون الإشارة إلى أي شيء منها (لحمداني ، 2000، صفحة 77)، و هذا يدركه القارئ بمقارنة الأحداث بقرائن الحكيم نفسه. (Genette, 1972, p. 140)

و يبدو أن هذه الفراغات موجهة إلى قارئ ضمني يتصف بالفهم و القدرة على التمييز و قراءة ما بين السطور، و لا يمكن أن يكون هذا القارئ متساويا مع المرسل الذي هو الله، لأن علم الله لا تحده حدود و يسمو فوق العلم البشري، و من هنا لا يمكنه أن يتجه إلى كل المتلقين إذ "ليس كل المتلقين يصلحون لكل النصوص" (بلعلي، 2002، صفحة 37)، هذا وإن كان الوصول إلى تلك الفضاءات البيضاء لا يكلف عناء كبيرا من قبل القارئ رغم وجود الآيات المتشابهات في القرآن الكريم التي تستجيب لفردية التلقي الذي تحدث عنه "أيزر" (Wolfgang, 1985)، لكونها مرتبطة أساسا بصنف معين من القراء، و لا تستجيب للمناخ العام للتلقي.

إن ملء هذه الفراغات يعتمد أساسا على القصدية التي يتحدث عنها أصحاب نظرية التلقي و هي "تلك الخطاطات التي توجه القارئ نحو الدلالات الاحتمالية دون أن توقفه على دلالة محددة بعينها." (لحمداني، 2003، صفحة 237)

و من هنا توصل إنغاردن إلى أن النصوص بغض النظر عما فيها من الالتباس، تبدو لمعظم القراء و كأنها تامة التحديد "لإيمان جل القراء الراسخ أن النص لا يمكن أن يكون له معنى محدد مسبقاً." (لحمداني، 2003، صفحة 237) رغم أن هذا المعنى لا يتم بناؤه في الحقيقة إلا بملء الفراغات القائمة في النصوص من قبل القراء أنفسهم، و هذا ما اصطلح إنغاردن على تسميته ب "الفعل المكمل للإنتاج الأدبي" (لحمداني، 2003، صفحة 237)، و هذا الفعل هو الذي يقوم به القارئ بطريقته الخاصة عندما يتفاعل مع النص، و من هنا حافظت هذه الفجوات الكثيرة في النص القرآني على الطابع المفتوح للنص، و التي تجعله قابلاً للملء و القراءة باستمرار.

### 3-2-الفهم ودوره في بناء المعنى:

إن النص يتجه نحو إخبار المتلقي الذي يفهم محتوى الإخبار في ضوء إدخال معطيات جديدة تساعد عملية التأويل واتساع دائرة الفهم، باتفاق بين عوامل الإثارة الكامنة في النص و مجموع الأفعال الإرجاعية التي يمكن انبثاقها في ذهن القارئ إلا على أساس أنها ردود فعل إزاء ما يثيره النص من إحساس جمالي. (بلمليح ، 1955 ، الصفحات 279-280) و لذلك نعتبر القارئ ذا حضور نصي يتكسر عبر المؤشرات المباشرة التي تحفز القراءة وتضمن سيرورتها، فتجعل المتلقي مشاركاً في بناء المعنى وقادراً على استيعاب مختلف الظواهر في النص و تفاعله معها.

كما أن الحديث عن القارئ مرتبط أساساً بالفهم كمشاركة في بلورة المعنى، فمهمته هي السعي للكشف عن الغامض والمتستر من خلال الواضح المكشوف أي "اكتشاف مل لم يقله النص من خلال ما قاله بالفعل" (أبو زيد، 1992، صفحة 36)، و فهم هذا الغامض المتستر يتم من خلال التفاعل و التواصل الذي يقيمه المتلقي مع النص.

لقد حذر "أيزر" من أن تكون القراءة عملية كشف عن المعنى، و إنما هي عملية جعل الفهم بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه، أي أن "الفهم هو عملية بناء المعنى، وليس الكشف عنه." (عودة خضر، 1997، صفحة 123) و الفهم عند "غادامير" عبارة عن جواب لسؤال ما، و لذلك اهتم نظرية التلقي به كأساس للتعرف على السؤال الذي يقدم النص جوابا له، و بالتالي إعادة بناء أفق الأسئلة و التوقعات التي وجد فيها النص حين تلقاه الأوائل.

إن قراءة النص القرآني من داخل إطار الإيمان خضوعا تاما، و هو يتفاعل مع نص تحيط به هالة من القدسية و الرهبة، تجعل الاقتراب منه محاطا بالمحاذير "و المؤمن الذي يملأ قلبه هذا الإيمان من قبل أن يقرب النص هو في أعماقه مقتنع بأن الله قد وضع الحقيقة في هذا النص ليتعرف عليه العباد." (قاسم، 2002، صفحة 108) فالقارئ يبحث في النص الذي يقرأه عن المعنى و الدلالة و الحقيقة، و عن نفسه أيضا، فكانت قراءة النص القرآني أقرب إلى المجاهدة.

يفترض "الزركشي" ضمنا أن قارئ النص القرآني لا يواجه صعابا أو مشاكل في القراءة، وأن النص في متناول فهمه، وهو لا يستخدم كلمة "الفهم"، و إن كلمة "التدبر" أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر، و أعلم أنه لا يحصل للناظر من فهم معاني الوحي حقيقة، و لا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة و في قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقق، أو معتمدا على قول مفسد ليس عنده إلا علم ظاهر، أو يكون راجعا إلى معقوله، و هذه كلها حجب وموانع، و بعضها أكد من بعض، إذا كان العبد مصغيا إلى كلام ربه، ملقى السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطب، ناظرا إلى قدرته، تاركا للمعهود من علمه و معقولهن متبرئا من حوله و قوته معظما للمتكلم مفتقرا إلى التفهم، بحال مستقيم، وقلب سليم، و قوة علم، وتمكن سمع لفهم الخطاب..."

(الزركشي ب.، 2008، الصفحات 180-181) ، ففهم النص و تدبره يعني أن الدلالة تتبع من المتكلم و من القارئ و من النص.

إن تحول دراسة النص من محاولة تأويله للوصول إلى قصد المتكلم و محاولة معرفة آليات الفهم، قد أثار جملة من المشكلات المطروحة، كالإطار الثقافي و الاجتماعي الذي ينتج النص فيه مقترنا بالإطار الذي يستقبل فيه "فالبعد الزمني والمكاني اللذان يفصلان بين النص والقارئ أصبحا عائقا أمام فهم النص" (قاسم، 2002، صفحة 125)، فإذا كانت النصوص البشرية تخضع لمفاهيم و قيم وعادات مجتمع معين، مما يجعلها خاضعة لظروف إنتاجها من عصر إلى آخر و من مكان إلى آخر، فإن القرآن الكريم منذ نزوله بادر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته إلى فهمه، ثم التابعون و غيرهم، و لا تزال دراسته ممتدة إلى يومنا هذا من أجل التوصل إلى فهم صحيح لحقيقة هذه النصوص، و رغم اختلاف آراء المفسرين و المؤولين.

لقد حاول "أيزر" أن يمنح للقارئ قدرة على إعطاء النص سمة التوافق أو التلاؤم، فوجد أن التوافق ليس معطى نصيا و إنما بنية من بنيات الفهم التي يمتلكها القارئ و يبينها بنفسه، لأنه مقصود بذاته، قصد تحقيق الاستجابة و التفاعل النصي، و من هنا افترض أن في النص فجوات تتطلب من القارئ ملئه، عن طريق مقارنة التفاعل بين بنية النص و بنية الفهم عند القارئ كما يعتقد "إنغاردن" أن هذه الفجوات منتشرة في أي عمل أدبي، إذ ينطوي هذا الأخير في باطنه على فجوات مميزة له تدخل في تعريفه، و القرآن الكريم زاخر بهذه الفجوات.

### 3-3- المتلقي المفسر و المؤول:

إن التفسير والتأويل قطبان متلازمان يقتزن أحدهما بالآخر، رغم أن التفسير لم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، بينما ورد التأويل في سور عدة، فهما قطبان مهمان من أجهزة القرآن،

إذ إن التفسير يتجه نحو البنية التحليلية للنصوص و يعني "الكشف عن مراد المؤلف و معنى الخطاب بعد استحضار النص" (اليافي، 2000، صفحة 58) ، بينما يتجه التأويل إلى الكشف عن الفهم، و ليس الكشف عن التواصل العجيب بين الذوات، ذلك أن الفهم يعني المشاركة في القصد، أي أنه يتجه نحو الوحدة القصدية للخطاب (ريكور ، 2003، صفحة 120)

فكل تأويل لنص ما لابد أن ينطلق من تفكير المؤول حول الأفكار الناشئة مسبقا عن الوضعية التأويلية التي يتواجد فيها، ليضفي نوع من المشروعية على النص، بمعنى أنه يبحث عن أصلها و قيمتها (غادامير، 2002، صفحة 41)، و إن كل فهم لنص يفترض البحث عن الأصل في علاقة أهداف النص بالحقيقة، سواء في التفسير أو التأويل، غير أن التأويل هو "انتهاك لحدود النص بتوسيع دائرته و ترك المتلقي يقرأ كل ما يريد أن يقرأ من غير حسيب و لا سلطة و لا رقيب." (اليافي، 2000، صفحة 58)

فعندما نتلقى رسالة ما، نرى الأشياء بأعين المرسل الذي أراد إبلاغها لنا، فتعرف القصد من خلال الرسالة، و هذا القصد يبثه المرسل عبر خطابه، فيتجه المتلقي إلى توضيحه من خلال عملية الفهم و في النص القرآني آيات واضحة هي الآيات المحكمات تحتاج إلى تفسير، بينما تحتاج الآيات المتشابهات إلى التأويل، و التأويل في القرآن الكريم ليس متاحا لأي كان.

### 3-3-1- المتلقي المفسر:

اتجه المسلمون إلى القرآن الكريم منذ نزوله يلتمسون منه الهدى الذي يستتبرون به، و السند الذي يعتمدون عليه، فاهتموا بهذا القرآن و أقبلوا على تفسيره و أعمال النظر فيه " و لم يشأ المنهج الإسلامي أن يقف بالمسلمين عند حد تلاوة القرآن، واختزانها في الصدور، وإنما ترقى بهم إلى أن يتدبروها ليعدلوا سلوكهم في ضوء ما تهديهم إليه" (السيد زغلول، 1999، صفحة 8) و

تفاوت المسلمون في فهمهم للقرآن الكريم و إدراكهم لمعانيه، ورد البعض ذلك إلى الفروق الفردية القائمة بين الناس عامة، كما تفاوت الصحابة في فهم القرآن، و يرجع ذلك إلى تفاوتهم في القوة العقلية و تفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف و ملابسات، و كانوا يتفاوتون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات.

لقد كان المسلمون في عهد الرسول ﷺ يختلفون في مقدار فهمهم للقرآن تبعاً لاختلاف حظهم من أدوات الفهم و وسائل المعرفة، و مع توفر العلم باللغة و ألفاظها، و معرفة مذاهب العرب و طرائقها في الأساليب، ثم الإمام بالضرورة التي صاحبت النزول، بقيت بعض الآيات، و قد استأثر الله بعلم تأويلها، و لم يجعل لأحد سبيلاً إلى معرفتها، و حدهم هم أهلاً لبيانه: و منه استأثر الله به دون خلقه و منه ما اختص الله به رسوله "ص" فلا يدرك علمه إلا بيانه، و من هنا كانت حاجة الناس إلى التفسير.

التفسير اصطلاحاً هو العلم المتعلق بالقرآن الكريم من حيث الكشف عن أسباب نزول آياته و عن محكمه و متشابهه، و ناسخه و منسوخه، و خاصه و عامه، و مطلقه و مقيد، و مجمله و مفسره، و عن حاله و حرامه، و قصصه و أخباره و روائعه و أمثاله. (عبد العزيز أ.، 1988، صفحة 141)

نفهم من هذا التفسير علم يبحث في القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية، و تعتبر علوم القرآن في الحقيقة مدخلاً إلى تفسير القرآن و طريقاً إليه إلا أن قسماً كبيراً منها يدخل في نطاق التفسير، و يسمى هذا الشطر الكبير "علوم التفسير" و قد عرفه "الزركشي" بأنه: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد "ص" و بيان معانيه، و استخراج أحكامه و حكمه، و استمداد ذلك من اللغة و النحو و التصريف و علم البيان، و أصول الفقه و القراءات، و يحتاج لمعرفة أسباب النزول و النسخ و المنسوخ" (الزركشي ب.، 2008، صفحة 13)

وقد استعمل القرآن في أسلوبه الحقيقي والمجاز والتصريح والكنائية، والإيجاز والإطناب، وكل ذلك كان على نمط العرب في كلامهم، وكان من الطبيعي أن يفهم النبي "ص" هذا القرآن جملة وتفصيلا، بعد أن تكفلا الله بحفظه وجمعه وبيانه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿ (سورة القيامة، الآيات 17-19)، كما كان طبيعيا أن يفهم أصحاب النبي "ص" القرآن في جملته ومعرفة دقائق باطنه فكان لا بد من البحث والنظر الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في فهم ما أشكل وتشابه عليهم، فتفاوتوا في فهم معانيه، وتفاوت مراتبهم تبعاً لتفاوتهم في القوة العقلية، وفي معرفة ما أحاك بالقرآن من ظروف وملابسات كما تفاوتوا في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات "فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملما بغريبها، ومنهم دون ذلك، ومنهم من كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره، أضف إلى هذا وذاك أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلاف عظيمًا" (الذهبي، 1976، الصفحات 35-36)، ورغم معرفة الصحابة بلغة القرآن إلا أنهم كانوا في كثير من الأحيان بحاجة إلى توقيف من الرسول ﷺ.

لقد كان الصحابة يرجعون إلى الرسول ﷺ في تفسيرهم للقرآن الكريم إذا أشكلت عليهم آية ما، فبيّن لهم ما خفي منها، لأن وظيفته البيان، كما أخبر الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 44) أي إظهار الحق بالقرآن، وهنا يظهر الفعل الكلامي الإنجازي المتمثل في وظيفة النبوة المرسله بالتعاليم الإلهية إلى المخاطبين.

(بوقرة ن.، 2006، صفحة 185)

إن الرسول "ص" لم يفسر للصحابة ما يرجع فهمه إلى كلام العرب، لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم ولم يفسر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك مما يدخل في علم الغيب، إنما فسر لهم بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعها عليها، وأمره ببيانها له، وفسر لهم الكثير من الأمور التي ترجع إلى الاجتهاد، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل وغير ذلك، ومن هنا كانت وظيفة الرسول "ص" إبلاغ كتاب الله وبيانه .

و لقد بين الرسول "ص" للناس الطريقة التي يتم بها إنتاج معاني النص القرآني، فكما أنه لكل نص إشاراته وشفراته، فكذلك يوجد للقرآن الكريم شفرات خاصة به، يختلف فكها عن النصوص البشرية، ولقد واجه الخطاب القرآني منذ نزوله تغليب كفة المتلقين المنكرين والمعاندين، ومن ثم لجأ الرسول "ص" إلى الكشف عن البعد الغير المرئي فيه، من أجل توضيحه وبيان خصوصياته لمتلق آخر. فقد تحول الرسول "ص" من متلق أول عند نزول الوحي إلى مبلغ باث لكلام الله، ومن ثم تحول إلى متلق من نوع آخر هدفه توضيح وتفسير ما غمض من كلام الله.

فالتفسير قضية تعنى بالبحث عن المعنى ومرحلة سابقة من مراحل التأويل، وقد ذهب "ياوس" إلى أن التفسير هو نشاط القارئ في فهم النص (هولب، 2000، صفحة 21)، كما ذهب "أيزر" إلى أن المعنى لا يستخرج من النص ولا تشكله مفاتيح النص وإنما يتحقق من خلال التفاعل بين القارئ والنص (هولب، 2000، صفحة 21)، فالقارئ المفسر يقوم بتحليل مختلف الاستراتيجيات النصية، وقد اعتبرت الفراغات التي يملؤها القارئ تدخلا أكثر من مجرد تفسير النص (هولب، 2000، صفحة 171)، فكل النصوص كتبت لتقرأ، وهي تملئ شروط قراءتها وتملي شروط تفسيرها.

لقد ظل التفسير قائما على الرواية حتى نهاية عصر التابعين، وكان المحدثون هم أصحاب الشأن فيه، فلما دونوا الحديث جعلوا التفسير فرعا خاصا من فروعه، ثم استقر التفسير بعد ذلك وأصبح علما قائما بذاته وراح المفسرون يتناولون القرآن بالتفسير، وكان المعول عندهم الرجوع بالسند إلى الرسول "ص" أو الصحابة، ثم جاءت خطوة أخرى بعد ذلك تدخل فيها الفهم الشخصي في مرحلة تالية في التفسير، فتأثر في عقائد الفرق والعلوم المختلفة، وكان للعوامل التي أثرت في تطور الفكر الإسلامي صداها في مجال التفسير، وجهته وجهات مختلفة فاتضح خاصة أثر الترجمة، واختلطت الثقافات الأجنبية بالتفسير، وظهر عمل العقل بوضوح، وظهرت ثقافة كل مفسر في تفسيره، وقد تطور الزمن حتى أنه أصبح من الصعب معرفة اتجاهات التفسير وطرائقه عبر العصور.

و الملاحظ أن أحوال التلقي عند المفسرين قد اختلفت من عصر إلى آخر وهذا ما أنتج دلالات مختلفة في تفسير القرآن الكريم، وقد ظهرت كفاءة بعض المفسرين بما أضافوه من معان مختلفة لا تخرج عن مقصود هذا القرآن، ورغم أن القرآن الكريم ميسر للذكر والفهم ونزل بلسان عربي مبين، إلا أن الكثير من الأمور لم تتضمن تفصيلات، وإنما تركت لإعمال الفكر فيها لبيانها وتفسيرها، لما تتضمنه من تنوع الدلالات، ويتفاوت فهم الناس وإدراكهم من شخص لآخر، فيغوصون في البحث عن المعنى العميق، فكان منهم من يفهم المعنى على غير حقيقته، ولهذا احتاج الناس إلى تفسير القرآن، وقد أمر الله تعالى بتدبر آياته من أجل الوقوف عند حدود هذا القرآن والالتزام بأوامره، والانتهاز عن نواهيه، وهذا الاختلاف الواضح في التفسير دليل على حاجتنا إلى التفسير.

إن التفسير هو الدرجة الأولى من التأويل أو استخدام المعرفة القبلية، فمصطلح التأويل لا ينبغي أن ينطبق على حالة فهم جزئية منفردة، بل على كامل العملية التي تحيط بالتفسير والفهم، أي أن التفسير والفهم هما مرحلتنا من عملية واحدة هي التأويل، إذ ينتقل القارئ من الفهم إلى التفسير ثم ينتقل من التفسير إلى الاستيعاب، وأخيرا التأويل، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى ما أسماه "أمبرتو إيكو" بـ "الموسوعة" (إيكو، 2000، صفحة 162) فالنص والموسوعة التي يفترضها هو الذي يضع بين يدي القارئ النموذجي ما توحى به الاستراتيجية النصية و هذا ما يوضح قصدية النص.

### 3-3-2- المتلقي المؤول:

إن التجربة التواصلية التي نقف عليها من خلال النص القرآني تجربة تعكس تفاعلا راجعا في أصله إلى الواقع الإعجازي والتأثير النظمي اللذين يتميز بهما هذا النص طيلة تاريخ تلقيه عند المسلمين.

فلقد حاولت بعض التوجهات الإسلامية إقامة تواصل فعلي مع خالق الكون ومبدعه، وذلك عن طريق العقل وتأمل العالم، أو عن طريق الوجدان والتعبد الروحي، وهذا يدل على أن الأمر لا يعدو أن يكون في التفاعلين معا تجربة تواصلية وتأويلية تسعى إلى فهم القرآن وفهم العالم، أي إلى إدراك الذات التي صدر عنها، ففي كل تجربة تواصلية مخالفة للوضع الاعتباري الذي يخضع له الباحث والمتلقي في التواصل اليومي نكون مطالبين بالتأويل.

إن التأويل لا يعني عدم الفهم أو "الفهم الخاطئ" وإنما نقصد به الجهاز القارئ الذي نتوسل به للتفاعل مع بنية النص. (بلمليح ، 2000، صفحة 102) إذ يقف من خلاله هذا الجزء الذي يتستر خلف النص ويكمن داخله، وكلما كانت الطاقة الكامنة في النص طاقة جمالية متعددة

الأبعاد والمستويات كلما كان قادرا على أن تتبثق منه أجهزة القراءة متعددة ومستمرة عبر التاريخ، أي محاولات للفهم والتأويل والتفاعل مع النص.

و ظاهرة التأويل من تلك المصطلحات التي نشأت وشاع استعمالها إما بلفظها وإما بدلالاتها في مختلف المجالات الفكرية، فبدأ كوسيلة من وسائل الكشف عن المعنى، وظل مرادفا للتفسير ومصاحبا له، منذ أن بدأ الناس يتناولون القرآن بالشرح والفهم، فكان الرسول "ص" والصحابة يدركون علاقة الألفاظ باللغة والقرآن والحديث، ويفسرون غريب القرآن مما ساعدهم على الإدراك والفهم. فقد احتاجوا إلى التأويل عند اشتباه الأمر عليهم، وقد كان الوحي يلاحق الأحداث، يقوم الرسول "ص" بالشرح والتفصيل وتقرير الأحكام. (عبد الغفار، 1998، الصفحات 6-7)

و بعد وفاة الرسول "ص" وانقطعت السنة، فكان لا بد من إيجاد مصدر ثالث، وعندما تطورت الحياة الإسلامية اتسعت الفتوحات، واندلعت شرارة الفتنة الكبرى انقسم الناس، وتعددت اتجاهاتهم السياسية والدينية، فتضاربت الآراء، وكثرت الفرق والنحل، ونشبت المعارك الكلامية ولم يكن هذا النص بمعزل عن تلك المعارك فتخذه كل فريق كوسيلة لنصرة مذهبه فاكتملت دائرة التأويل وأصبحت مصطلح يعمل على صرف المعنى الظاهر من اللفظ إلى معنى محتمل بواسطة الأدلة. (عبد الغفار، 1998، صفحة 7)

و لفهم الخطاب القرآني ينبغي الوقوف على لطائفي معاني التنزيل ومعرفة وجوه إعجازي نظمه، من أجل الفهم السليم والتأويل الصحيح، وتجنب الفهم السقيم والتأويل الفاسد. إن عملية تأويل القرآن ليست على درجة واحدة، فهناك ما يمكن تأويله من أي كان وهناك ما لا يمكن أن يأوله إلا الراسخون في العلم أو الخواص من العلماء ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ

الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ (سورة آل عمران، الآية 7)

و من هنا يمكننا الحديث عن رأي "غادامير" عندما أشار إلى أن النصوص تنطوي على خليط معقد من أصناف القراء، يمكن أن يكون من بينهم من لا يتوجه إليه النص، ويمكن أن يتوجه إليهم كلهم أصلاً. (شرفي، 2007، صفحة 39)، و هذا ما عبرت عنه الآية حين خصت الآيات المتشابهات بالراسخين في العلم دون غيرهم، بينما توجهت الآيات المحكمات إلى كل الطبقات.

إن هدف المتشابهات التي وردت في القرآن، هو أن يتدبر الفكر الإنساني تلك الآيات، ويجول العقل في آفاق معانيها ويستمد الكثير من معطياتها "إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل ونظر، لاستوت منازل الحق، ولم يظهر فضل العالم على غيره" (السيوطي، 1969، صفحة 158) فالواضح من الآية أن محكم القرآن موجه لكل القراء مهما كان نوعهم، على أساس أنه يحتمل وجها واحداً، ولا تتعدد أوجهه، بينما وجه المتشابه إلى طبقة معينة من القراء، وهم الراسخون في العلم، ذلك أن "التأويل ليس ضرباً من التخمين أو الإخضاع المتعسف للنص القرآني حتى يساير مفاهيم المفسر وأفكاره أو الاعتناء بالمتشابه من الآيات، إنه صرف الآيات إلى ما تحمله من المعاني الموافقة لما قبلها و ما بعدها، هو عمل استنباطي تساهم فيه علوم القرآن، وتعضده المفاهيم الأساسية للقرآن، هذا جانب رئيس أول." (النيفر، 2000، صفحة 148)

و الراسخون في العلم هم الذي رسخ علمهم وإيمانهم وثبت كما يرسخ النخل في منابته، قال أبو عمرو: سمعت المبرد و ثعلبا يقولان: الراسخون في العلم، المتذاكرون بالعلم، و قالوا: لا يذكر بالعلم إلا حافظ (السجستاني، 1990، صفحة 95) إذ لا يجوز لقارئ عادي أن يؤول هذه الآيات على أساس أنها تخالف أفق انتظاره وتتصادم معه، والراسخون في العلم يقابلون الذين في قلوبهم

زيغ، وهؤلاء وصفهم القرآن بأنهم مثيرون للفتنة، فلا يجب عليهم أن يقربوا هذا المتشابه. ولعل اشتغال القرآن على المتشابه وعدم اقتصاره على المحكم وحده، حافز للمؤمنين على الاشتغال بالعلوم الكثيرة التي تساعدهم على فهم الآيات المتشابهات فيقرأون القرآن متدبرين خاشعين.

و من ثم يكون إنتاج الدلالة فعلا مشتركا بين النص والقارئ، فيكون فعلا متجددا بتعدد القراء من جهة، وباختلاف ظروف القراءة من جهة أخرى، فالنص: " يخبر المتلقي فيثير لديه مجموعة من ردود الفعل التي تعمل على انبثاق معطيات جديدة تسعف في عملية التأويل ومضاعفة الفهم." (Wolfgang, 1985, p. 70)

إن تأويل الراسخين في العلم الذي حدده بالضرورة النص القرآني نفسه، يتضمن الآيات المتشابهات، التي لا تستجيب للمناخ العام للتلقي بقدر ما تستجيب لفرضية التلقي، ومن ثم سوف تكون تأويلات كل المتلقين محصورة في نطاق المعاني التي يتوصل إليها هؤلاء.

ذلك أن قيمة المتشابه من القرآن تكمن فيه، وفي نقطة تلامسه مع الراسخين في العلم، وهذا جوهر نظرية التلقي والتأويلية الحديثة، خاصة عند "أيزر"، فهذه الآيات رغم غموضها فإنها تنطوي على دلالات في ذاتها يتقيد بها المؤول، الذي يمتلك مفاتيح تلك الآيات الغامضة التي يصل إليه علمه الواسع لذلك كان هذا التحديد بمثابة دعوى لهؤلاء القراء المتميزين أن يتعاملوا مع هذه الآيات، ومن هنا يكمن إدراجهم ضمن نوع القراء الذين يطق عليهم "أمبرتو إيكو" إسم "القارئ النموذجي" الذي "يكون جديرا بالتعاقد من أجل التأويل النصي، بالطريقة التي يراها المؤلف ملائمة وكفيلة بأن تؤثر تأويليا بمقدار ما يكون فعله المؤلف تأويليا." (إيكو ، 1996 ، صفحة 68)

و لهذا نظم القرآن الكريم استراتيجيته النصية بتكليف هذا النوع من القراء بتأويل آياته المتشابهات، نظرا لما يمتلكون من وسائل -حسب إيكو- ما يؤهلهم لتحقيق التأويل الصحيح والوحيد في رأيه هو الذي يروم للإمساك بالمقاصد الأصلية للمؤلف. (إيكو، 2000، صفحة 23)

و هناك نوع آخر من المؤلفين في النص القرآني، يركز على تأويل الأفعال، ويظهر ذلك في "سورة الكهف" (78-82)، في قصة "موسى مع العبد الصالح"، ذلك أن العبد الصالح يمتلك أسرار العلم اللدني الذي يتعمق في باطن الأمور التي لا يدركها الإنسان العادي المكتفي بالظاهر. فمعنى التأويل هنا، الكشف عن الدلالة الخفية للأفعال، وهذه الدلالة الخفية الباطنية لا تتكشف إلا من خلال أفق غير عادي هو العلم اللدني الذي يتمتع به العبد الصالح، " ولا شك أن اعتراض موسى عليه السلام على هذه الأفعال لم يكن اعتراضا ناشئا عن "الجهل" وإنما كان نابعا من تأويل هذه الأفعال بناء على أفقه وعلمه الخاص، ومن خلال هذا الأفق بدت له الأفعال مناقضة للواقع، حتى جاء التأويل النابع من أفق آخر، وبين له أسباب قيامه بتلك الأفعال التي بدت في الواقع إجرامية. وقد اعتبر "ياوس" أن النصوص المثلى هي تلك التي تحرص أول الأمر على أن تشير لدى قرائها أفق انتظار يتعلق بما هو ظاهر، ثم تقاطع هذا الانتظار بعد ذلك تدريجيا، إلى أن تم إبطاله بواسطة تقنيات معينة (Jauss, 1985, p. 56)، وقد كانت طريقة الإيضاح والتأويل التي أوردها العبد الصالح عاملا مهما في إبطال رأي موسى النابع من عالم الظاهر، وجعله يقتنع أن تلك الأفعال إنما كانت لمصلحة معينة .

لقد أحدث العبد الصالح بترفاته تلك تجاوزا للمعايير التي يحملها موسى عليه السلام، مما أدى إلى لحظة الخيبة التي يطلق عليها أصحاب نظرية التلقي "خيبة الانتظار"، "حيث يخيب ظن

المتلقي في مطابقة المعايير السابقة مع المعايير التي ينطوي عليها العلم الجديد." (حافظ، 1986،  
صفحة 80)

و هنا يتدخل الرجل الصالح لتغيير أفق انتظاره بالتأويل الذي أصدره وبيان أسباب قيامه  
بتلك الأعمال الإجرامية، عن طريق الهدم، وإعادة البناء ذلك أن المجالات التصويرية التي يرد فيها  
العبد الصالح في القصص التأويلية تناقض ما كان قد قام به من أفعال، وأنه مأمور من عند الله  
ومبلغ لما أراده، ومن هنا تمكن من حمل موسى كمتلق على تعديل شروط الاستجابة والتواصل.

#### 4- مترجم الخطاب القرآني متلقيا:

لقد ارتبطت الترجمة منذ زمن بعيد بنظريات المعنى، و كان معظم المنظرين لها من  
الناشطين في هذا الحقل المعرفي بالذات، لأجل ذلك فقد جاءت معظم المحاولات المنظرة للترجمة  
مركزة على أهمية المعنى باعتباره الركن الأساسي في الفعل الترجمي.

و من هذا المنطلق يمكن تصور المترجم كقارئ أول يحاول الوقوف على المعاني التي  
يتشكل منها النص المصدر، ثم يسعى -كمؤلف ثان- إلى اكتشاف وسيلة للتعبير عن هذه المعاني  
في اللغة الهدف. و يمكن أن تولد فكرة أن المترجم قارئ بالمعنى المصطلح عليه في الاتجاهات  
النقدية المعاصرة أن الترجمة عبارة عن عملية تأويلية بلغة جديدة.

و باعتبار التأويل -بالمفهوم الذي تنيط به المدارس التفسيرية الهيرمينوطيقية- نقطة  
المرتكز في عملية الترجمة، يكون المترجم أول مؤول للنص المصدر، و يكون النص المترجم أيا  
كان، غير ثابت؛ إذ "إن تأويل النص المصدر هو احتمال لتفسيره -قد يكون مصيبا أو غير  
مصيب- و لأن التأويل بلغة جديدة عملية غير ثابتة أو مستقرة و غير واضحة للأفهام على

الإطلاق." (شيخ الشباب، 2002، صفحة 83)

و بذلك يكون الفعل الترجمي عملية غير مأمونة الجانب، حيث أنها لا تعدو أن تكون إعادة تشكيل لتأويل المترجم للنص المصدر، لا للنص المصدر في حد ذاته. أي أن كل ترجمة قراءة و كل قراءة هي بمثابة إعادة تركيب النص الأصلي، مما يتضمن بالضرورة انتهاكا للأصل، الأمر الذي يتمخض عنه استحالة خلق مكافئ نقي. (أحمد، 2000، صفحة 136)

لكن بغض النظر عن هذا الغلو اتجاه الفعل الترجمي إلا أن: "التوجه العام الذي يطبع معظم نظريات الترجمة يشدد على ضرورة الاهتمام بالمضمون، و على أن الوفاء يكون بالدرجة الأولى للمعنى، حرصا على ضمان سلامة عملية التواصل من جهة، و مراعاة لخصوصيات اللغة الهدف و المتلقي للنص المترجم؛ لأن المترجم مدرك تمام الإدراك أنه يترجم لقارئ يختلف عقليا و شعوريا عن قارئ النص المصدر. (شيخ الشباب، 2002، صفحة 135)

بل يذهب بعض المترجمين إلى أبعد من ذلك فيقرون، انطلاقا من الاختلاف بين اللغتين -المترجم منها و إليها- أنه لا مفر في كل فعل ترجمي من الخسائر، ليست الشكلية فحسب، بل و المعنوية أيضا؛ فالترجمة كما يقول موانان: "لا تخضع لقانون كل شيء أو لا شيء، وهي دائما و فقط البحث المتواصل للمعادل الأقرب للخطاب الذي ينقل من لغة إلى أخرى." (موانان، 2000، صفحة 92)

رغم حرص بعض المنظرين للترجمة على ضرورة التزام وحدة الشكل و المضمون في الفعل الترجمي، و اعتبر ذلك شرطا من شروط الترجمة الدقيقة. (الحكيم، 1989، صفحة 46) لكن صعوبة نقل الشكل، باعتماد القواعد التي يتأسس عليها، يبدو أمرا معجزا، مما دفع بموانان إلى التصريح بأن: "الترجمة اتصال، و الرسالة التي يهدف إليها المترجم تتألف من معنى و مبنى، و عليه أن ينقل المعنى كما هو، و أن ينقل المبنى إلى ما يساويه في لغته... و تتطلب ترجمة المبنى

التقيد بتراكيب اللغة المنقول إليها شرط اختيار الأسلوب الذي يلائم النص. (موان، 1994،

صفحة 23)

و ما قصده هنا بالمبنى هو التركيب اللغوي و ما يتأسس عليه من فنيات كالتقديم و التأخير، و الحذف و الذكر، و الإيجاز و الإطناب، و الفصل و الوصل، لكن الشكل يتعدى في بعض الأحيان هذه الفنيات ليطل في بعض الإبداعات البنيوية التي يتمصها الخطاب و العلاقات التي تنسق أجزاءه و توحد إيقاعاته .

## خلاصة

صار اللجوء إلى النظريات النقدية المعاصرة يفرض نفسه لترجمة و تلقي الخطاب القرآني و كشف جماليته و ملامح الحجاج فيه، بينما لا يعني ذلك أنها تمكننا بصورة مطلقة من الإحاطة به لغويا و معرفيا، و الإمساك بما تضمنه من مقاصد و أغراض تواصلية، تقع في مفترق الطرق بين مطلقية الخطاب القرآني و نسبية الترجمة و التلقي.

فاستعمال الخطاب القرآني للغة أعمق من الاستعمال البشري لها ، و منهجه أشمل و أكمل جميع الضوابط المناهج الإنسانية و كل ما تأتي به الخبرات التنظيرية و المعارف البشرية في هذا المجال إنما هو تحديدات نسبية تعين القارئ و المترجم على الفهم، و لكنها لا تملك تقنين مطلقة الخطاب القرآني في كمال بنيانه و إعجاز دلالاته، إذ من الصعب أن يحيط به أي علم من العلوم الإنسانية من جميع جوانبه و ذلك مهما بلغت درجة دقة آلياته و نظرياته.

## الفصل الرابع:

ترجمة الخطاب القرآني المضاد في ضوء التداولية و جمالية التلقي

-دراسة تحليلية مقارنة-

## تمهيد

الخطاب القرآني خطاب معجز في أسلوبه و بيانه، كما أنه صالح لكل زمان و مكان، لذلك يواجه مفسروه و مترجموه صعوبةً بالغة في الكشف عن معانيه و نقلها إلى باقي اللغات. و من بين الظواهر التي استقطبت اهتمامهم و استثمروها في سبيل ذلك "ظاهرة أفعال الكلام". فالجمع بين المناهج المعاصرة و الإسهامات اللغوية التراثية قد يضيف إضاءات جديدة لتحليل الخطاب القرآني وفهم معانيه وترجمتها.

و تركز اهتمام علماء الترجمة و المترجمون عن الحديث عن الترجمة بأنواعها كالترجمة الحرفية والترجمة الحرة وغيرهما، بينما في بداية النصف الثاني من القرن العشرين أصبحت الدراسات و الأبحاث تتمحور حول النظريات الترجمية الحديثة على غرار نظرية النص والنظرية التداولية والوظيفية، سعياً لاكتساب صفة العلمية و نظراً لما تتيحه هذه النظريات من آليات و إبراز لخصائص اللغات وأوجه التشابه والاختلاف بينها مما يسهل على المترجمين انتقاء التقنيات اللغوية للنقل الأمثل للمعاني من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف لتحقيق التواصل التفاعلي بين اللغات والتقريب بينها و بين متلقيها.

و بعد أن كانت اللسانيات تدرس اللغة لذاتها، برز فريق من العلماء يشدد على أن المعنى ليس شيئاً متصلًا في الكلمات وحدها و لا ينتجه المتكلم وحده أو المتلقي، وهنا أصبحت اللسانيات تدرس اللغة في سياق الاستعمال و في عملية التواصل. إذ تركز صناعة المعنى على تداول اللغة بين المتكلم و المتلقي في سياق محدد مادي و اجتماعي، ولغوي. فالتداولية هي المجال الذي يعنى بدراسة الأفعال الكلامية و الاستلزام التخاطبي، وذلك بالاشتراك مع مجالات فلسفة اللغة و الحجاج وتحليل الخطاب. إذ أسهمت هذه النظرية في تغيير نظرة علماء اللغة إلى

الكلام باعتباره متضمنا للعديد من القوى الإنجازية الضمنية المؤثرة في الواقع، وبالنظر إلى البعد الديناميكي المميز لها تغيب الحدود و تتجلي الحواجز بين الفعل و الكلام.

#### 4-1-التعريف بالمدونة و المترجمين ومنهجهما في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية:

#### 4-1-1-ريجيس بلاشير و منهجه في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية:

تذكر عبداوي حفيظة في مقال لها في مجلة التعلّيمية: "ريجيس بلاشير و منهجه في ترجمة معاني القرآن الكريم أن "ريجيس بلاشير ملك نصيبا وافرا من اللسان العربي بترده على المدارس و الجامعات العربية (المغربية و الجزائرية)، و ساعدته على معرفته للغة العربية عضويته في المجمع العلمي العربي بدمشق". (عبداوي، 2020، صفحة 11) غير أن تمكنه من اللغة لا يمثل بالضرورة ضمانا قطعيا لترجمة سليمة و أمينة بكل المقاييس.

و إضافة إلى حتمية التنازلات على حساب الأصل أثناء كل عملية ترجمية نتيجة الاختلاف بين اللغات المترجم منها و إليها، يلعب الجانب النفسي دورا محوريا و ذلك عائد أساسا إلى كون المترجم " متعدد الاتجاهات و يريد إقحام الجانبين، لإجبار لغته على التشبع بالغرابة و إجبار اللغة الأخرى على النزوح إلى لغته الأم." (ريكور، 2008، صفحة 21)

و في نفس السياق، تلفت الباحثة الانتباه إلى نقطة في غاية الأهمية ألا و هي تضمن ترجمات المستشرقين بما فيهم المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير لاستراتيجيات دقيقة جدا إذ يدسون مقادير محددة من كل ما يتعلق بإيديولوجياتهم و يخدمها مع الحرص الشديد على عدم تجاوزها "حتى لا يستوحش القارئ من كتابات المؤلفين الذين يكشفون العدا و يشحنون كتبهم

بالكذب و الافتراء، و يصعب على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها، أو ينتهي من قراءتها دون الخضوع لها." (الندوي، 2002، صفحة 31)

و المتأمل للشواهد الترجمية البلاشيرية، سيدرك دون شك أن الإحاطة بالدلالات الحقيقية للمعاني القرآنية ليس بالأمر اليسير، إذ مهما أعد المترجم من عدة فإنه لا بد أن يقف عاجزاً عن إيفاءها لما يميزها من العمق و الروعة و الدقة ما لم يكن متبحراً في علوم اللغة القرآنية آخذ بناصيتها.

#### **4-1-2- زينب عبد العزيز و منهجها في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية:**

تعتبر ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى من أهم المصادر التي تعين على فهم الإسلام و معرفته و بيان أوامره و نواهيه و تبليغ رسالته، إذ تعد بمثابة الجسر الذي يربط المسلمين و غير المسلمين من الذين لا يجيدون العربية بالدين و الثقافة الإسلامية.

و بالنظر إلى الأهمية الكبيرة و الأثر الجلي لهذه الترجمات على متلقيها، فقد استخدمت أحيانا من قبل بعض المعادين و المستشرقين لخدمة أهداف و غايات معاكسة تماما لتلك التي يصبو و يدعو إليها الإسلام، و ذلك بتحريف مباني الخطاب القرآني و تشويه مضامينه و معانيه.

و للأسباب السالفة الذكر، عني المسلمون بترجمته إلى اللغات الأخرى أيما عناية بتخريج و نشر ترجمات تولوا زمامها بأنفسهم و تحروا فيها الدقة و الأمانة قدر الإمكان، " و تأتي أحدث ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى الفرنسية لصاحبها الدكتورة زينب عبد العزيز - أستاذة الأدب الفرنسي بالجامعات المصرية - لتكمل نقصاً واضحاً في المكتبة الإسلامية العامة، وإنارة جديدة

للمسلمين من ناظري الفرنسية، ونافذة واسعة لغير المسلمين لمعرفة جوهر وطبيعة القرآن دون أخطاء مغرضة. "

صدرت ترجمة عبد العزيز لمعاني القرآن الكريم عن مؤسسة الإدريسي الفكرية للدراسات والأبحاث؛ وقد سهرت على إنجاز هذا العمل الكبير؛ الذي استغرق منها خمس عشرة سنة كما ذكرت في حوار لها مع إحدى المجلات المصرية ؛ أستاذة الحضارة والأدب الفرنسي بجامعة القاهرة الدكتورة زينب عبد العزيز ، و التي هي أيضا مشرفة سابقة على قسم اللغة الفرنسية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر، وعضوة عامة في لجنة العلوم الاجتماعية بهيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ولجان مجمع البحوث الإسلامية. (بن قوية، 2019، صفحة 49)

و اعتبرت عبد العزيز -و هي من مواليد التاسع عشر من يناير لعام ألف و تسعمائة و خمسة وثلاثين من الميلاد-: أن ترجمتها لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية يفرضها واجب الوقت، لأن جل ترجمات القرآن الكريم الموجودة في الوقت الحالي بها العديد من المآخذ و المغالطات، و أن مدى الانحرافات يتسع من السهو غير المقصود إلى التحريف المتعمد، مروراً بكل الصعوبات التي تضعها اللغة العربية أمام المترجم.

كما أكدت في مقدمة ترجمتها لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية أنه بالنظر إلى الجانب القدسي للقرآن الكريم و إعجازه اللغوي و البلاغي و العلمي... أثارت مسألة ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى جدلاً واسعاً في البلدان العربية الإسلامية، لذلك لم يتول القيام بالترجمات إلا المستشرقين، الذين يمتلكون ناصية لغتهم الأم، و لكنهم أبعد ما يكونون عن امتلاك معرفة باللغة العربية تكون على نفس المستوى، الأمر الذي أدى إلى نتائج مؤسفة.

و لأن هؤلاء غالباً ما يتعمدون الإساءة إلى الإسلام و المسلمين، و تفتقد ترجماتهم إلى الأمانة العلمية التي يجب أن يتحلوا بها عند تناول نص القرآن الكريم سواء بالبحث أو الدراسة أو الترجمة، و من هنا كانت ترجمة القرآن الكريم ساحة واسعة لمحاولة المغرضين للنيل من الإسلام و المسلمين هذا ما دفعها حسبما صرحت به إلى التفرغ التام لهذا العمل الذي استغرق منها ثماني سنوات بواقع خمس عشرة ساعة عمل يومياً، حيث استعانت لإنجازه فيها بأحد أساتذة أصول الفقه الإسلامي من جامعة الأزهر ليشرح و يفسر لها أسبوعياً حوالي 5 صفحات من القرآن الكريم.

و من هنا اعتبرت ترجمتها نقطة فارقة في تاريخ ترجمات القرآن الكريم و تأتي سليمة لغوياً و نزيهة علمياً و موضوعياً و حاولت في هذه الترجمة التعريف بالقرآن و بالإسلام لغير المسلمين للتصدي لمحاولات تشويه الإسلام و تصويب صورته لدى الغرب.

## 4-2- الخطاب ضد الله و خطاب الرد القرآني عليه

### 4-2-1- النموذج 1:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ آخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ \* يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة، الآيتان 8-9)

### أ- تحليل و تفسير معاني الآيتين:

قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ ضرب من التبويض وفي الوقت نفسه لم يصف الله عز وجل هاته الفئة وصفا معينا كالإيمان أو الكفر أو النفاق بل اكتفى بذكر ما يفعلونه بقولهم "آمنا بالله وباليوم الآخر" بينما هم ليسوا كذلك في حقيقة الأمر إنما ينافقون ويظهرون عكس ما يبطنون و يخفون عصمة لدماءهم وأموالهم.

و في قوله تعالى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ﴾، الذين آمنوا معطوف و لفظ الجلالة معطوف عليه؛ و ذلك لأنهم في مقام أول يخادعون الله بادعائهم الإيمان به و باليوم الآخر، و هم بذلك يخادعون المؤمنين بادعائهم أنهم منهم بينما هم ليسوا منهم و لا تنطبق عليهم أي من صفاتهم.

هم يعتقدون ذلك و يتقصدون فعله و لكنهم في الواقع كما جاء في قوله عز وجل ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، و الحصر هنا دليل قاطع على أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله و أنهم بذلك لا يضرروا الله و لا رسوله و لا المؤمنين بشيء. والأدهى من ذلك هو أن هؤلاء "المنافقون" لا يدركون سوء ما يفعلونه ذلك لأن عملهم الباطل قد أعمى بصيرتهم و صدهم عن الحق و أدى بهم إلى إيذاء و خداع أنفسهم.

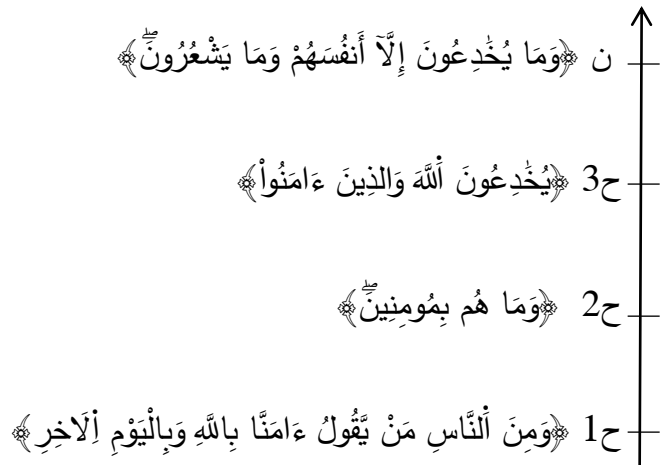
## ب- ملامح الحجاج في الآيتين:

إن التبعض ضرب من الإضرار والإضرار فيه مضاعفة للاحتتمالات التأويلية بحسب سياقات الاستقبال و تكثيف لشحنة الحجاج و طاقته. وفي تنبيئ هؤلاء "المنافقين" بما يخفون في صدورهم دليل على سعة علم الخالق و حجة عليهم و تنبيه للمؤمنين لكي يعرفوهم و يحذروهم.

هذا و بينما تفيد الروابط الحجاجية مثل "واو العطف" في الآيتين أعلاه في سرد الحجج و ترتيبها وفق تسلسل تدريجي، تكمن الغاية منه في حمل المتلقي على الإذعان بالنتيجة بسياقته إليها عبر حجج متناقضة غير متناقضة و متدرجة في قوتها تارة ظاهرة و تارة مضمرة، يحصر العامل الحجاجي المتمثل في أداة القصر "وما...إلا" الطاقة الحجاجية للملفوظ و يوجه الحجاج في الوقت نفسه بحيث يبين أن إظهار هؤلاء الإيمان بالله و باليوم الآخر و خداعهم لله و للمؤمنين ليس كنتيجة سوى خداعا لأنفسهم و الأدهى من ذلك هو جهلهم و عدم إدراكهم لهذه الحقيقة.

و يمكن تمثيل الحجج التي وردت في خطاب المنافقين ضد الله و الرد عليهم وفق السلم

الحجاجي الآتي:



-السلم الحجاجي للآيتين 7 و 8 من سورة البقرة-

## ج- تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 7/ « Parmi les hommes, il en est qui disent : « Nous croyons en Allah et au Dernier Jour », alors qu'ils n'y croient point.

8/ Ils tendent à tromper Allah et ceux qui croient alors qu'ils ne trompent qu'eux-mêmes sans le pressentir» (Blachère, 1966, p. 31)

### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 8/ « Il est parmi les hommes ceux qui disent : nous croyons en Allah et au Jour Dernier », mais qui ne sont point croyants.

9 Ils rusent avec Allah et avec ceux qui devinrent croyants, mais ils ne rusent qu'avec eux-mêmes, et ils ne se rendent pas compte. » (Abdelaziz, 2014, p. 3)

يلعب التقديم و التأخير دورا في تأدية المعنى؛ فالمعنى الذي قد يفهمه المتلقي من ترجمة

ريجيس بلاشير لليوم الآخر ب « Le Dernier Jour » ليس هو نفس المعنى الذي يفهمه من

ترجمة زينب عبد العزيز له ب « Le Jour Dernier ».

و إذا ما سلمنا بالوظيفة الحجاجية للغة حسب ديكرو وأنسكومبر، سنسلم تبعا لذلك أيضا

بأن القيمة الحجاجية للتقديم والتأخير تختلف من لغة إلى أخرى، ناهيك عن أن ترجمة ريجيس

بلاشير غير مألوفة و لا تعبر بدقة عن الشحنة الدلالية اللفظي "اليوم الآخر" في الدين الإسلامي.

بينما ترجم كلاهما لفظ "الله" ترجمة صائبة و أفلحا في تحويل طاقتها الحجاجية إلى اللغة الهدف، ذلك لأن: " اسم الجلالة (الله) [فيه] الكثير مما يقال: فيه بداية تنبيه للمتلقي إلى ما يجب أن ينتبه إليه من اسم الجلالة و ما يحمله من دلالة، فهو لفظ يطرد في القرآن المدني خلاف القرآن المكي الذي يطرد فيه لفظ (الرب). لأن الوجدانية و إبطال الشرك تقتضيهما كلمة (الله) و لا تقتضيهما على نحو قاطع كلمة الرب، حتى في أشد استعمالاتها دلالة على شمولية ربوبيته... إن الرب إذ يقضي مربوبا، لا يقضي أنه واحد من الناحية المعجمية، إن مقتضى معنى كلمة (الله) المعجمي و هو وحدانية الله، وإبطال أن يكون غيره إله هو الذي رشح هذه الكلمة لكي تكون أكثر الكلمات على وجه الإطلاق [ورودا] في القرآن، منذ أن أصبح موضوع الوجدانية هو الموضوع الأساسي فيه." (صولة ، 2007، الصفحات 101-102)

كما حرص كل من المترجم والمترجمة على توظيف نفس التقنيات الحجاجية التي تم توظيفها في الخطاب الأصلي إذ ترجم الإبلاغ بالإبلاغ والحصر بالحصر، فيما عدا النفي الذي ترجم بنفي و أضيف إليه حرفين يفيدان الاستدراك « Alors que » و « Mais » و لفظ "مؤمنين" الذي هو عبارة عن "صفة" والذي ترجم بصفة مثله لدى عبد العزيز بينما ترجم ب "فعل" لدى بلاشير. و لا يخفى علينا أن المحاجة باستعمال الصفات تختلف عن المحاجة باستعمال الأفعال؛ فالصفة تمثل "أداة في الحجاج وعلامة عليه... يمارس [عبرها] المرسل أكثر من فعل واحد؛ بالتصنيف وبتوجيه انتباه المتلقي إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 487) و الوصف عبارة عن علامة خطابية تصنف الموصوف في إطار معين و تحقق موقفا منه. و من ناحية أخرى، ترجم بلاشير قوله تعالى: "يخادعون الله والذين آمنوا" ب « *tendent à tromper* أي يسعون إلى خداع الله و الذين آمنوا و هنا نلاحظ أنه حاول إظهار ما يمكن أنه قد تم إضماره، و فسر الفعل بما جاء بعده ففهم أنه ليس خداعا فعليا لله و للمؤمنين و

إنما سعي له، بينما لم يفصح عن معنى من هذا القبيل في فحوى الخطاب الأصلي ذلك لأن: "عدم الإفصاح أقوى حجة من الإفصاح" (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 492)

و تلعب الوحدات المعجمية دورا مهما في توجيه الحجاج و خفض أو تكثيف طاقته و التحكم في القوة الإنجازية للأفعال؛ فعلى سبيل المثال: ترجمة قوله تعالى ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ ب « trompent » ليست كترجمته ب « ruse avec » ، فالترجمة الأولى ترجمة حرفية توضح فيها المعنى الظاهر للقول فقط؛ بينما تفصح الترجمة الثانية عن القيمة الإنجازية للفعل بحيث تبين للمتلقي أن الأمر يتجاوز عند هؤلاء الخداع إلى التحايل و المكر الذي هو فعل ملازم لهم و طبع متأصل فيهم.

#### 4-2-2-2- النموذج 2:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۗ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 25)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه دلالة على أن الله لا يجد حرجا في أن يضرب مثلا ما ليثبت به حقا أو ليرد به على باطل، و ذلك مهما بدا ذلك المثل صغيرا أو حقيرا، كما "قد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية أن المشركين اعترضوا: كيف يضرب الله المثل بالذباب [احتجاجا على ما جاء] في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ۗ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (سورة الحج، الآية 73) قالوا: الذباب يذكره الله

في مقام المحاجة! فبين الله عز وجل أنه لا يستحيي من الحق حتى و إن ضرب المثل بالبعوضة، فما فوقها. قوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: هل المراد بما فوق-أي فما فوقها في الحقارة، فيكون المعنى أدنى من البعوضة؛ أو فما فوقها في الارتفاع، فيكون المراد ما هو أعلى من البعوضة. فأيهما أعلى خلقة: الذباب أم البعوضة؟ الجواب: الذباب أكبر وأقوى-لا شك؛ لكن مع ذلك يمكن أن يكون [قوله تعالى]: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي فما دونها: لأن الفوقية تكون للأدنى، وللأعلى، كما أن الوراثة تكون للأمام، وللخلف، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (سورة الكهف، الآية 79) أي كان أمامهم. (العثيمين، 2001، الصفحات 96-97)

و قوله جل وعلا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يدل على أن المؤمنين يعلمون ويوقنون يقينا تاما أن المثل إنما ضربه الله لغاية و حكمة. و قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي أنهم لشدة إعراضهم وصدودهم عن الحق خفي عنهم ولم يتبين لهم. ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين، الآيات 13-14) و قوله عز وجل: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي ما المراد من ضرب مثل هذا المثل.

و في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ "يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا" جملة استئنافية لبيان الحكمة من ضرب المثل بالشيء الحقير؛ ولهذا ينبغي الوقوف على قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ ويضل به أي بالمثل؛ ﴿كَثِيرًا﴾ أي من الناس؛ ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله؛ والمراد هنا: الخروج المطلق الذي هو الكفر؛ لأن الفسق قد يراد به الكفر؛ وقد يراد به ما دونه؛ ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّا

الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴿٢٠﴾ (سورة السجدة، الآية 20) المراد به في هذه الآية الكفر، وكذلك هنا. "  
(العثيمين، 2001، الصفحات 96-97)

## ب- ملامح الحجاج في الآية:

إن استعمال التوكيد في مستهل الآية فيه دلالة على علم المرسل المسبق بإنكار فئة من المتلقين "الذين كفروا" بما سيقال، إذ "لم يكن أسلوب التوكيد في كلام العرب لونا من ألوان الزينة أو شكلا من أشكال الحشو الذي يرهق النص بما لا فائدة منه ولا جدوى، وإنما هو ركن من أركان البناء اللغوي والبياني الذي زخرت به النصوص العربية، ويستعمل بترتيب درجاته لغويا عند إنتاج الخطاب الخبري في ثلاث درجات من التوكيد، طبقا لثلاث سياقات، كما يصنفها السكاكي: الخبر الابتدائي؛ الخبر الطلبي؛ الخبر الإنكاري." (السكاكي، 1987، صفحة 200)

من المعلوم كذلك كما ورد في الدرس الحجاجي المعاصر أنه "لا يستعمل المرسل في الخبر الابتدائي أي نوع من أنواع التوكيد، لأن المرسل إليه خالي الذهن من أي حكم سابق، إذ يكفي لذلك ما يعلمه من أن المرسل واثق من صدق خطابه، أما الخبر الطلبي فيلقي الخبر إلى المرسل إليه مؤكدا بأداة واحدة...و في الخبر الإنكاري يستعمل أكثر من أداة توكيد، حين يتصور أن المرسل إليه قد يكون منكرا." (عبد الهادي بن ظافر) ص 200-201

أما النفي فورد في الآية في شكل رد وتكذيب لقول مضر لم يذكر صراحة في معرض الآية، ذلك لأن الخطاب القرآني "يعتمد (...). في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها بما ستناسب مع السياق الذي يحف بخطابه." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة

(130)

و أما ضرب الأمثال فيعتبر خاصة من خواص الخطاب القرآني و أحد أهم تقنياته الحجاجية، نظرا لما لها من قوة تأثيرية هامة و مقدرة جليلة في إقناع المتلقي وزيادة إذعانه ف "مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأساسية إلى صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها، وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباغة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطىها محبة وشغفا (...). فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم (...). و إن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقره وبيانه أبهر." (الجرجاني، 2004، صفحة 141)

و الفاء لها وظيفة الجمع بين الحجج و تقوية بعضها ببعض بغية تحقيق النتيجة المرجوة فهي من الروابط الحجاجية المدعمة للحجج المتساوقة و المتساندة. و تكون أحيانا سببية متى ما ربطت بين الطلب و جوابه في الجملة الشرطية كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ و في قوله أيضا: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾.

كما تتجلى أحد معالم الحجج أيضا في البديع المميز للآية في قوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي قوله أيضا: ﴿يُضِلُّ﴾ و ﴿يَهْدِي﴾، إذ يمكن أن يستعمل المرسل أحيانا في خطابه: " أشكالا لغوية تصنف بأنها أشكالا تنتمي إلى المستوى البديعي، و أن دورها يقف عند الوظيفة الشكلية، و هذا الرأي ليس صحيحا، إذ أن لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، و لكن بهدف الإقناع، و البلوغ مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك، و البلاغة العربية مليئة بهذه الصور و الإمكانيات، و مليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجج من وظائفها

الرئيسية. وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها، و إن كان لا يمنع المرسل أن يبدع كيفما شاء." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 159)

و الطباق بنوعيه (طباق الإيجاب وطباق السلب) ليس فقط من المحسنات التجميلية التي تخص الأسلوب بل هو أيضا من المحسنات البديعية المعنوية المساهمة في توضيح المعنى، إذ إن الأشياء كما يقال "بضدها تتضح"، ناهيك عن أهمية هذا الأخير في عملية الإقناع والتأثير. و بهذا الخصوص، يقول صابر الحبشة: - إن المحسنات البديعية يمكن لها أن تؤدي وظيفة حاجبية و في هذا الشأن يقول صابر الحبشة: "إن محسنا لهو حاجبي إذا كان استعماله، و هو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، و على العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، و يعود ذلك إلى تقصيره في أداء دور الإقناع." (الحبشة، 2008، صفحة 160)

و من بين التراكيب التي ترتب الحجج حسب درجتها الحاجبية و توجه الحاجج وجهة معينة "ذلك التركيب الذي يتضمن الأداتين (ما...إلا) في ترتيب الحجج في سلم واحد، إذ أن (ما...إلا) عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 192) فالعامل الحاجبي (ما...إلا) يعد من طرق القصر التي تستعمل في اللغة العربية للإثبات و خاصة للتخصيص كما جاء في قوله عز و جل: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

## ج- تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« Allah n'a point honte de proposer en parabole quelque moustique et ce qui est en dessus. Ceux qui croient savent que c'est la vérité [venue] de leur Seigneur. Ceux, au contraire, qui sont incrédules, disent : « qu'a voulu dire, Allah par ceci, en parabole ? » [Allah], par cela égare beaucoup [de gens] et, par cela, [en] dirige beaucoup. Mais il n'égare par cela que les Pervers (25) » (Blachère, 1966, p. 32)

### ترجمة زينب عبد العزيز:

« Certes, Allah ne s'Embarrasse pas de Fournir en exemple un moustique ou ce qui est plus infime. Quant à ceux qui devinrent croyants, ils savent que c'est la Vérité de leur Seigneur; et quant à ceux qui devinrent mécréants, ils disent : « Qu'A-t-Il Voulu, Allah, par cela ? » C'est un exemple avec lequel Il Fourvoie énormément et Guide énormément; mais Il ne Fourvoie que les pervertis ! » (Abdelaziz, 2014, p. 5)

استعمل التوكيد في ترجمة عبد العزيز بينما لم يستعمل في ترجمة "بلاشير"، ودرجة النفي

في ترجمته لقوله تعالى ﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ ب « n'a point honte » أقوى مما هي عليه في ترجمة

"عبد العزيز" وفي النص الأصل للآية بينما لا يستدعي السياق ذلك وكأن المترجم يعوض بذلك

عن إغفاله لعدم ترجمة أسلوب التوكيد إلى اللغة الهدف الذي يشغل دورا هاما في العملية

الحجاجية.

و تجدر الإشارة إلى أن الأزمنة الفعلية التي تستعمل في خطاب ما لها حتما دورها في تشكيل المعنى كما أن قيمتها تختلف من لغة إلى أخرى و وظائفها الدلالية و الحجاجية تختلف من سياق إلى آخر. فمثلا: ترجمة الأفعال التي جاءت في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ ب « ceux qui sont croyants » و « ceux qui sont incroyables » كما جاء في الترجمة الأولى أنسب من ترجمتها ب « ceux qui devinrent croyants » و « ceux qui devinrent incroyables » « le passé simple » كما جاء في الترجمة الثانية. ذلك لأن الماضي البسيط « في اللغة الفرنسية يدل على فعل حدث في زمن قصير ثم انتهى، بينما الأفعال الخبرية التي جاءت في النص الأصل للآية لا تدل على ذلك وإنما تدل على فعل خبري غير محدد بزمان ولا بمكان ولا بسياق تلقي محدد؛ فالمؤمن الحق -على عكس الكافر- متى وحيثما كان لا يجادل فيما يبينه له الله من الحق .

أما جملة الشرط و أداة الشرط و جواب الشرط فقد ترجموا ترجمة سديدة و معبرة من طرف كل من المترجم و المترجمة و ذلك بفضل استعمال الأداتين locution « au contraire » (adverbiale) و locution prépositionnelle « quant à » ؛ و هنا يبرز تباين التراكيب الحجاجية للغات المختلفة.

هذا و إن أصاب كل من المترجم و المترجمة بترجمة السؤال الحجاجي ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ ترجمة حرفية إلا أن ترجمة قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ ب « disent » في الترجمتين ليست دقيقة بما يكفي للتعبير عن القيمة الإنجازية للفعل المقدم للقول؛ إذ قد يكون من الأنسب ترجمته ب « se demandent » و من ناحية أخرى، ترجم العامل الحجاجي "و ما...إلا" ب الرابط «

« Mais الذي يستعمل حسب "ديكرو" و"أنسكومبر" في اللغة الفرنسية للحجاج و الإبطال في الوقت نفسه بالإضافة إلى الأداة « que » التي تستعمل للنفي الجزئي « négation partielle »  
«مقابلا لأسلوب القصر في النص الأصل للآية.

و من الناحية المعجمية، نلاحظ أن اختيار لفظ دون آخر من شأنه رفع وخفض الطاقة الحجاجية بحيث يمنح الملفوظات دلالات خاصة و بالتالي يوجه الحجاج وجهة محددة؛ أو على العكس فيوسع دلالاتها و يفسح أفق التلقي.

و من هنا يبرز دور وأهمية الإحاطة بالسياق التداولي للخطاب، ذلك لأنه بالإضافة إلى أن اللغة الهدف تفرض على المترجم بنيات لغوية و تركيبية محددة فهو لن يكون أقل تقييدا فيما يتعلق باختيار البنيات الدلالية و المعجمية. و يمكن تقريب الصورة من خلال المثال التالي: قوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ التي ترجمت في الأولى ب« et ce qui est en dessus » و في الثانية ب « ou ce qui est plus infime » ، و في كلا الترجمتين هناك خفض و حصر للشحنة الدلالية، ذلك لأن هذا التركيب قد يدل على ما يوجد فوق البعوضة كما قد يدل على ما هو أصغر منها أو على ما هو أكبر كما فسره العلماء والفقهاء.

#### 4-2-3- النموذج 3:

﴿ و إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۗ اتَّقُوا اللَّهَ ۗ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف، الآية 28)

## أ-تحليل و تفسير معاني الآية:

نكر ابن كثير في تفسير الآية ما يلي: "قال مجاهد: كان المشركون يطوفون بالبيت عراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا (...). فأنزل الله تعالى: ﴿وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾. قلت: كانت العرب -ما عدا قريشا- لا يطوفون بالبيت في ثياب التي لبسوها، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثيابهم، و من أعاره أحمسي ثوبا طاف فيه، و من معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يملكه أحد، فمن لم يجد ثوبا جديدا و لا أعاره أحمسي ثوبا، طاف عريانا (...). و أكثر ما كان الناس يطوفن عراة بالليل، و كان هذا شيئا قد ابتدعه من تلقاء أنفسهم، و اتبعوا فيه آباءهم و يعتقدون أن فعل آباءهم مستند إلى أمر من الله وشرع، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك، فقال: ﴿وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ فقال تعالى ردا عليهم: ﴿قُلْ أَي: يا محمد قل لمن ادعى ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة، و الله لا يأمر بمثل ذلك. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أتسندون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته." (بن كثير، 2000، صفحة 751)

## ب-ملاحح الحجاج في الآية:

نكر في خطاب الآية ما أقدم عليه المشركون بطوافهم بالبيت عراة و ذكرت أيضا حجتهم التي تحججوا بها: ﴿وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ فجاء هذا التركيب الخبري في شكل فعل كلامي مباشر متضمنا لقوة إنجازية مفادها علم الله واستنكاره لما فعلوا -الذي هو و إن أبوا الاعتراف بذلك فاحشة مبينة- و لحجتهم التي تحججوا بها لكي يتجردوا من أية مسؤولية يوجبها عليهم فعلهم ذلك؛ و في هذا بيان لتعمدهم المعصية و اتباعهم لأهوائهم من جهة

و على جنبهم من جهة أخرى؛ و الخطاب هنا موجه لهم أولاً ثم لكل من أتى بمثل ما أتوا بهم في أي مكان وزمان.

فجاء الرد الصريح على ما قالوا و فعلوا ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ في شكل تركيب إنشائي استهل بأمر تتمثل قوته الإنجازية في إرشاد المتلقي الأول (النبي ﷺ) وتوجيهه؛ و من ثم تأكيد لنفي تضمن توبيخاً للمشركين و تنبيهاً لهم إلى سوء فعلتهم و إلى جهلهم و تنزيهاً لمرسل الخطاب (الله عز وجل) مما نسبوه إليه افتراءً و بهتاناً وتظليلاً؛ و "يستعمل المخاطب الفعل الكلامي المباشر عندما يولي عنايته لتبليغ قصده و تحقيق هدفه الخطابى و رغبته في أن يكلف المتلقي بعمل ما، أو يوجهه لمصلحته من جهة، و إبعاده عن الضرر من جهة أخرى، أو توجيهه للفعل مستقبلي معين، و يفترض أن يتوجه المخاطب بخطابه إلى التكثر من فائدة المتلقي، فيستعمل هذه الاستراتيجيات في شكلها الأكثر مباشرة للدلالة على قصده، كالأمر و النهي الصريحين." (بوقرومة، 2008، صفحة 217)

﴿تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أما ملفوظ هذه الآية فقد ورد في شكل استفهام غرضه التعجب و التوبيخ، إضافة إلى ذلك فلقد "اتفق الباحثون قديمهم وحديثهم على أن العمل الأساسي الذي ينجز بالسؤال هو عمل الحجاج و هو دلالة قاطعة على أن الاستفهام يختص دون بقية الأعمال بأداء وظيفة ما قد ندرك قيمتها بالتأمل في قيمة العامل الحجاجي في المخاطبات العامة، كما توصل الباحثون إلى أن قيمة الاستفهام الحجاجية تعود إلى أسباب اختصاصه بإنجاز العمل الحجاجي، سواء أعلق ذلك بالاستفهام الحقيقي أم الاستفهام غير الحقيقي (السؤال البلاغي)." (بن خراف، 2010، صفحة 226) و تضمن نفيًا تبع بتوكيد، الغرض منه الإخبار بجهل هؤلاء و بالتالي بطلان حجتهم و إثبات عصيانهم و افتراءهم، "و النفي بحسب النحاة عكس الإيجاب فهو

إكذاب له، و الإكذاب تكذيب بمسلمات المتلقي، و بما أن النفي يقوم على التكذيب، فالحجاجية فيه

واضحة." (حسيني، 2021، صفحة 92)

و يمكن توضيح تسلسل الحجج من خلال السلم التالي:

ن أنتم جاهلون مفترون سولت لكم أنفسكم ما ابتدتموه

ح4 ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

ح3 ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾

ح2 ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾

ح1 ﴿وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾

-السلم الحجاجي للآية 28 من سورة الأعراف-

4-2-4- تحليل و مقارنة الترجمتين:

ترجمة ريجيس بلاشير:

« 27/28 Quand ceux-ci commettent une turpitude, ils disent : « Nous avons trouvé nos pères commettant [cette turpitude] et Allah nous l'a ordonnée [à nous aussi]. » Réponds [-leur] : « Allah n'ordonne point la turpitude. Direz-vous contre Allah ce que vous ne savez point ? » (Blachère, 1966, p. 177)

ترجمة زينب عبد العزيز:

« 28/ Et s'ils commettent une infamie, ils disent : « Nous trouvâmes que nos ancêtres la suivaient, et Allah nous l'A Commandée. » Dis : « Allah

sûrement ne Commande pas l'infamie. Direz-vous contre Allah ce que vous ne connaissez pas ? » (Abdelaziz, 2014, p. 15)

ترجم ريجيس بلاشير قوله تعالى ﴿ و إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ بفعل كلامي مباشر، يتضمن نفس القوة الإنجازية حيث أخبر و أبلغ عما فعله المشركون و عن حجتهم التي تحججوا بها في ذلك.

و لكن بتصريحه في الترجمة، على لسان المشركين، لما هو مضمرة بإضافة عبارة [cette turpitude] عارضتين، يكون المترجم قد انتهك قاعدة من قواعد مبدأ التعاون و التي هي "قاعدة الكم" حيث جعل هذا الأخير الإفادة أكثر مما يجب فنتج عن ذلك استلزام حوار ي يقضي بأن المشركين يعترفون بأنهم ارتكبوا "فاحشة و هذا لم يرد صراحة في الملفوظ الأصل للآية. في حين لم يفت المترجم أن تنقل جملة الشرط وجواب القسم بما يتلاءم مع طبيعة وخصوصية اللغة الهدف مراعية بذلك أهمية دورهما في العملية الحجاجية.

أما ترجمة بلاشير للفعل "قل" بـ « répons » ، فهي ترجمة تعبر بدقة عن قيمته الإنجازية، حيث لا يدل الفعل في سياق الآية على مجرد القول و إنما على الرد على ما قد فعل و قيل. أما ترجمة عبد العزيز الحرفية له بـ « dis » فلا تعبر، في واقع الأمر، عن قيمته الإنجازية الفعلية، و إن كانت قد أفلحت بعدها في ترجمة التركيب الإنشائي المؤلف من التوكيد والنفي في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فكشفت بذلك عن القصد المضمرة و نقلته إلى اللغة الهدف دون التصريح به، بينما عبر عنه بلاشير بالنفي التام في اللغة الفرنسية مما ينم عن كفاءته التداولية بحيث استطاع التعويض عن غياب مقابل للأداة "إن" في اللغة المترجم إليها، فتمكن بذلك من الحفاظ على الطاقة الحجاجية و تحقيق نفس القيمة الإنجازية والتأثيرية؛ إذ لم يفسح لدى المتلقي مجالاً للشك أو النقاش.

و لكنه بإضافته للفظ [-leur] بين عارضتين، انتهك مجددا قاعدة الكم فضيق من أفق التلقي بحيث خص المشركين دون غيرهم من المتلقين بالرد القرآني. فالافتراض المسبق الذي توحى به هاته الكلمة للقارئ في أي سياق استقبال كان هو أن هذا الرد يخص فقط المشركين الذين ارتكبوا إحدى الفواحش في زمن نزول الوحي على النبي ﷺ.

و علاوة على ذلك، فلقد ترجمت الصيغة الاستفهامية في خطاب الرد في زمن غير زمن الفعل المستعمل في اللغة المصدر (المضارع)؛ مما يوحي بافتراض مسبق مفاده أن مرسل الخطاب طلب من المتلقي الأول (النبي ﷺ) أن يسأل عن قول لم يقال بعد، و هذا غير وارد.

كما يجدر التنويه في ذات السياق بأن اختيارات المترجمة- المرتكزة أساسا على التفسير- أدت إلى توظيف هذه الأخيرة لتراكيب مشحونة بمقتضيات معجمية لم تسعفها كما ينبغي للكشف عن بعض المقاصد؛ فشتانا مثلا بين « pères » و « ancêtres » ، وبين « commande » و « ordonne » ، وبين « connaitre » و « savoir » فكل لفظ من هذه الألفاظ يجعل المتلقي يفترض افتراضا معينا ويفهم فهما مغايرا، والاختلاف في التراكيب ينتج عنه بصورة حتمية اختلاف في القيم الإنجازية للأفعال الكلامية و بالتالي في قيمها الحجاجية و تفاوت قدرتها على استمالة المتلقي.

## 4-2-4- النموذج 4:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (سورة الزمر، الآية 38)

## 2-4-1- تحليل و تفسير معاني الآية:

" قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ الخطاب إما للرسول الله ﷺ، أو لكل من يتوجه إليه الخطاب واللام في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ﴾ موطئة للقسم، و "إن" شرطية، والجواب في قوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ الله ﷻ جواب القسم؛ لأنه قرن باللام، والذي يجاب باللام هو القسم وليس الشرط، والقاعدة أنه إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما (...). قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ سؤال استفهام ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يعني: من أوجدهما على هذه الصنعة البديعة (...). وقوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ هذا جواب سؤال؛ فيقولون: الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض، ولم يدعوا أن أحدا خلقها سوى الله تعالى، بل أقروا بأن الخالق هو الله تعالى وحده، كما أنهم إذا سئلوا: من خلقهم: ليقولن الله. فكلما سئلوا عن شيء يتعلق بالربوبية نسبوه إلى الله عز وجل من غير شريك. فهم مقرون بتوحيد الربوبية غاية الإقرار، يعلمون أن الله تعالى هو الخالق.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾: يعني أسألهم سؤالا آخر إذا أقروا بأن الخالق هو الله تعالى فقل لهم: أخبروني ما تدعون من دون الله تعالى. يقول المفسر رحمه الله: ﴿تَدْعُونَ﴾ تعبدون، ويحتمل أن يكون المراد به دعاء المسألة؛ لأن الدعاء يطلق على معنيين: الأول: دعاء المسألة، والثاني: دعاء العبادة (...). يقول المفسر رحمه الله: [لا] ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يعني لا يهمني أن تهددوني بهذه الأصنام، فإن حسبي الله، أي كافيني عن سواه (...). وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ التوكل هو الاعتماد على الله عز وجل اعتمادا حقيقيا صادقا في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به، هذا هو التوكل وهو من العبادة الخاصة بالله تعالى. (العثيمين، 2001، الصفحات 266-267)

## 2-4-2-ملاح الحجاج في الآية:

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، جاء ملفوظ الآية في شكل فعل كلامي

غير مباشر عبارة عن إنشاء طلبي تتمثل قوته الإنجازية في: التقرير.

و التقرير في اللغة يقصد به التبيين والتعريف، و الإقرار يعنى به الإذعان والاعتراف

بالحق. أما التقرير اصطلاحا فهو: حمل متلقي الخطاب على الإقرار بأمر يعرفه، و قد يكون ذلك

على سبيل اللوم و التوبيخ و الإدانة و المحاجبة، و نحو ذلك. كما "تخرج الأساليب الإنشائية

الطلبية (الاستفهام والأمر والنهي والتمني والنداء) عن دلالاتها الحقيقية عندما يمتنع إجراؤها على

الأصل إلى معان وأغراض مختلفة، كالتعجب و التهديد، و التوبيخ و التقرير و الإنكار و غيرها

من المعاني التي يحددها السياق و المقام الذي يتم فيه الخطاب." (تومي، 2019، صفحة 50)

و يعتبر الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية استعمالا و أهمية " و يراد به طلب الفهم

أو معرفة ما هو خارج الذهن. و هو قد يرد على سبيل الحقيقة بحيث أن المستفهم يرجو حصول

ما لم يكن يعلم قبل السؤال، و قد يرد على سبيل المجاز فيخرج إلى أغراض و معان أخرى يحددها

الموقف و السياق و قرائن الأحوال كالتقرير و النفي و التوبيخ و غيرها." (تومي، 2019، صفحة

51) كما ورد في ملفوظ الآية و الدليل على ذلك هو جواب القسم ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

و القسم و لا ريب أشد حدة من التوكيد و الشرط و القصر من حيث قيمته الحجاجية

والتأثيرية و جواب القسم في ملفوظ الآية مفاده إدانة المشركين و إقامة الحجة عليهم و حملهم على

الاعتراف بسوء ما عملوا.

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾، أما ملفوظ الآية هنا فهو عبارة عن تركيب إنشائي في شكل استفهام حاجي تتمثل قواه الإنجازية في تعجيز هؤلاء المشركين و توبيخهم ووخز ضمائرهم، و بيان التناقض لديهم فمن جهة هم يقولون بأن الخالق هو الله و من جهة أخرى يشركون به؛ و تعظيم مرسل الخطاب (الله عز وجل) بإسناد الإرادة له دون من يدعون من دونه.

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، الأمر في ملفوظ الآية من الإنشاء الطلبي و جاء متضمنا لقوتين إنجازيتين: إرشاد المتلقي الأول للخطاب (الرسول ﷺ) ثم كل متلق وضعه مشابه لوضعه ودعم لموقفه، و تنبيه للمؤمنين خاصة، و للمتلقين كافة بما فيهم المشركين أن التوكل في العبادة لا يكون سوى على الله، ذلك أن التخصيص في الخطاب القرآني غالبا ما يراد به التعميم. فالأمر إذن للإرشاد والقصر غرضه التنبيه و كلاهما فيه توجيه للحجاج و لفت للانتباه المتلقي للتأثير فيه وحمله على الإذعان والتسليم.

و يعتبر الفعل "قل" من أهم العناصر الحجاجية التي يكثر استعمالها في الخطاب القرآني لما فيه من دلالة على سلطة المرسل "التي تمثلها كلمة (الله) والتي تسري قوتها في كامل الخطاب، مظفية عليه قوة أهمها الاستعلاء". (حسيني، 2021، صفحة 90) حيث يكتسب هذا الأخير حاجيته من كونه من الإنشاء الطلبي، فالحجاج بمثابة طلب صريح أو ضمني بتسليم المتلقي و إذعانه، و يكتسبها أيضا من دلالة الفعل "قال" الذي يفيد الرد على الخصم وإبلاغه في وقت واحد.

## 2-4-3- تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 39/38 Certes, si tu leur demandes : « Qui créa les cieux et la terre ?, ils répondent : « Allah ! ». Dis [-leur] : « Que vous en semble ? Si Allah me veut du mal, [ces Faux Dieux] se trouveront-ils dissiper ce mal ? S'Il me veut une grâce, se trouveront-ils retenir Sa grâce ? » Dis [-leur] : « Allah me suffit. Sur Lui s'appuient ceux qui [sur Lui] s'appuient. » (Blachère, 1966, p. 493)

### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 38/ Et si tu leur demandais : « Qui a créé les Cieux et la terre ? » Ils diraient sûrement : « Allah ». Dis : « Avez-vous donc vu ce que vous invoquez à l'exclusion d'Allah ? Si Allah me Veut du mal, pourraient-elles\* éliminer Son mal ? Ou s'Il me Veut une miséricorde, seraient-elles capables d'empêcher Sa miséricorde ?! Dis : «Qu'il me suffise d'Allah, à Lui se fient ceux qui se fient. » (Abdelaziz, 2014, p. 462)

ترجم ملفوظ الآية ﴿ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، ترجمة شبه

حرفية من طرف ريجيس بلاشير وترجمة حرفية من طرف زينب عبد العزيز. فالأول عبر عن

أسلوب القسم باستعمال أحد الألفاظ الدالة على التوكيد في اللغة الفرنسية « certes » ، مع الإبقاء

على الصيغة الاستفهامية. بينما ترجم الفعل "قالوا" بـ « répondent » ، فأفلح بذلك في تحقيق

التكافؤ التداولي الذي يعتمد أساسا على ترجمة المعنى لا اللفظ فقط.

أما المترجمة فقد استعملت بدورها اللفظ « sûrement » الدال على التوكيد، تعبيرا عن القسم الذي جاء في الملفوظ الأصل للآية. و ما يمكن ملاحظته بوضوح هو أنه على الرغم من تباين الأساليب الترجمية و التراكيب اللغوية، إلا أن ذلك لم يؤثر على القيمة الحجاجية للآية. في حين حاولت محاكاة الأزمنة الفعلية المستعملة في الملفوظ الأصل للآية ، و التي تضطلع بدور حجاجي في غاية الدقة و الأهمية، على عكس ريجيس بلاشير الذي ترجم الأزمنة الفعلية بكل سلاسة محترما عبقرية اللغة المترجم إليها. و من هنا يمكن أن نستنتج أن حرص المترجم على الإبقاء على نفس التقنيات الحجاجية لا يضمن له دائما المحافظة على نفس القيم الحجاجية خاصة إذا ما اعتبرنا أن الحجاج ذو طبيعة تداولية و مشار إليه في بنية اللغة نفسها.

ترجم أسلوب الأمر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ بأسلوب أمر مثله في كلتا الترجمتين و في كلتا الحالتين يسهل على المتلقي استنتاج قيمته الإنجازية المتمثلة في توجيه فئة المؤمنين و دعم موقفهم بما فيهم المتلقي الأول للخطاب (النبي ﷺ) و توبيخ و تعجيز و محاجة فئة المشركين و كل من حذا حذوهم. و إذا ما عدنا إلى تفسير الآية فيما يتعلق بدلالة الفعل "تدعون" ، سنجد أنه يراد به العبادة و ليس الدعاء بالمعنى الحرفي للكلمة. و بالتالي يمكن القول أن الترجمة الحرفية ليست دائما الوسيلة المثلى التي من شأنها تمكين المترجم من الكشف عن قيمة الملفوظات الإنجازية .

و من جهة أخرى أحدث التكيف المتمثل في الإضافة تارة على غرار [ces -leur] ، و [Faux Dieux]؛ و في الحذف تارة أخرى على غرار « Que vous en semble ? » ، و في اختيار بعض الوحدات المعجمية مثل لفظ « grâce » التي رغم كونها مألوفا و متداولة في اللغة

الهدف لكنها تستلزم معان غير تلك التي قصدت في اللغة المصدر. و ذلك عائد إلى انتهاك المترجم لقاعدة الكيف التي تتعلق بالوضوح و تجنب الالتباس.

ناهيك عن التذبذب الواضح لدى كل من المترجم و المترجمة فيما يتعلق بانتقاء المكافئات: فتارة يترجمان "الإمساك" بالفعل « dissiper » و « éliminer » ، و تارة ب « retenir » و « empêcher » ، حتى يكاد يخيل لمستقبل الترجمة أنه أمام دوال لمدلولات مختلفة. و في هذا كله، إضعاف للحجاج وإهدار لطاقته و بالتالي عجز عن الإقناع والتأثير.

لاحقاً، ترجمت صيغة الأمر و أسلوب القصر بما يماثلهما في اللغة الهدف في كلتا الترجمتين. في حين تسربت الكثير من طاقة الحجاج بسبب التزام الحرفية والانشغال بالمباني على حساب المعاني. ذلك لأن الحرص على إنشاء نفس العلاقة التداولية أثناء العملية الترجمية يعتبر ركيزة أساسية لإنجاح العملية التواصلية.

### 4-3- الخطاب ضد النبي ﷺ و خطاب الرد القرآني عليه:

#### 4-3-1- النموذج 1:

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا ۖ فَلَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا ۖ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف، الآية 203)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير السعدي للآية أن: "هؤلاء المكذبون لك (لا يزالون) في تعنت و عناد، و لو جاءتهم الآيات الدالة على الهدى والرشاد؛ فإذا جئتهم بشيء من الآيات الدالة على صدقك؛ لم ينقادوا. ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ ﴾: من آيات الاقتراح التي يعينونها، ﴿ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا ﴾ أي: هلا اخترت الآية الفلانية أو المعجزة الفلانية، كأنك أنت المنزل للآيات المدبر لجميع المخلوقات، و لم يعلموا أنه ليس لك من الأمر من شيء، أو (أن المعنى): لولا اخترعتها من نفسك ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾: فأنا عبد متبع مدبر، و الله تعالى هو الذي ينزل الآيات و يرسلها على حسب ما اقتضاه حمده، و طلبته حكمته البالغة، فإن أردتم آية لا تضحل على تعاقب الأوقات حجة لا تبطل في جميع الآيات؛ فهذا القرآن العظيم و الذكر الحكيم ﴿ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾: يستبصر به في جميع المطالب الإلهية و المقاصد الإنسانية، و هو الدليل و المدلول؛ فمن تفكر فيه و تدبره؛ علم أنه تنزِيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و به قامت الحجة على كل من بلغه، و لكن أكثر الناس لا يؤمنون، و إلا؛ فمن آمن؛ فهو ﴿ هُدًى ﴾ له من الضلال و ﴿ رَحْمَةً ﴾ له من الشقاء؛ فالمؤمن مهتد بالقرآن، متبع له، سعيد في دنياه و أخراه، و أما من لم يؤمن به؛ فهو ضال شقي في الدنيا و الآخرة." (السعدي، 2001، الصفحات 602-603)

## ب - ملامح الحجاج في الآية:

يعتبر الواو من أهم الروابط الحجاجية إذ " ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب، بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، فالواو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة والمتساندة. و يستعمل "الواو" حجاجيا و ذلك بترتيب الحجج، و وصل بعضها ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى. و تعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 181)

و قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ عبارة عن جملة شرطية، تربط فيها أداة الشرط "إذا" جملة الشرط: ﴿لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ بجملة جواب الشرط: ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾. و تلعب أداة الشرط دورا بارزا في تقديم الحجج للوصول إلى النتيجة " و بالنظر إلى الجانب التداولي لها حين استعمالها في الحجاج، فقد تكون مقدما لحجج أو نتائج، أو قد تكون احتياطا أو تحفظا على نتيجة حجاجية، كما قد يرد الحجاج في التراكيب الشرطية المضمرة، و التي تتضح من خلال العلاقة المنطقية المتلازمة بين طرفيه (...). إذ يلزم ثبوت التالي عند ثبوت المتقدم." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 187) كما تستعمل الأداة "لولا" أيضا في الحجاج حيث "تدخل على جملتين اسمية و فعلية، لربط امتناع الثانية بوجود الأولى." (ابن هشام، 1985، صفحة 189)

أما قوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ فهو من الإنشاء الطلبي "أمر"، الغرض منه توجيه و إرشاد المتلقي الأول للخطاب (النبي ﷺ)، و إنكار طلب المشركين و توبيخهم.

و أسلوب القصر يوجه حسب فضل حسن عباس: " إلى ثلاثة أصناف من المخاطبين: مخاطب يعتقد رأيا مخالفا؛ مخاطب شاك في الرأي المقدم له؛ ومخاطب يعقد الشركة بين اثنين أو

أكثر في الحكم." (حسن عباس، 1997، صفحة 193) كما تعد الأداة "إنما" "من أدوات السلم الحجاجي، و تفيد القصر، لها معنى (ما...إلا) و السبب في إفادة "إنما" معنى القصر هو تضمينه معنى (ما...إلا). و تأتي إثباتا لما يذكر بعدها و نفيا لما سواه." (السكاكي، 1987، صفحة 194) إضافة لكونها من أدوات الحجاج التي "تترتب بها الحجج حسب درجتها الحجاجية، ذلك التركيب الذي يتضمن الأداتين (ما...إلا) في ترتيب الحجج في سلم واحد، إذ أن (ما...إلا) عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض و هذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 192)

و قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ تركيب خبري تضمن تبرئة وتنزيها للمتلقي الأول (النبي ﷺ)، و مدحا للقرآن الكريم، و تكريما و تشريفا للمؤمنين، و تكذيبا للمشركين الذين يقولون أنه من عند غير الله.

### ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

#### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 202/203 Quand tu viens à eux avec une Aya, ils s'écrient : « Ne l'aurais-tu point inventée ? » Réponds [-leur] : « je suis simplement ce qui m'est révélé, de mon Seigneur. » Ce sont là des appels à la clairvoyance [venus] de votre Seigneur, une Direction, une Grâce (rahma) pour un peuple qui croit. » (Blachère, 1966, p. 200)

#### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 203/ Et si tu ne leur produis pas un Signe, ils disent : « Que ne l'inventes-tu pas ?! » Dis : « Je ne fais que suivre ce qui m'est Inspiré de mon

Seigneur. Ce sont des prévoyances de votre Seigneur, une Direction infaillible et une Miséricorde pour des gens qui ont foi. » (Abdelaziz, 2014, p. 176)

تضمنت ترجمة بلاشير لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا ﴾ معنى إضافيا لم يرد في الأصل، فالقول غير الصراخ. و في هذا، انتهاك لقاعدة الكم، ينتج عنه استلزام حوارى قد يوحي للمتلقى بافتراض مسبق مفاده أن هؤلاء المشركون يمتلكون سلطة ما على النبي ﷺ أو أنهم يمارسون عليه نوعا من أنواع العنف اللفظي وهذا لم يرد لا بشكل صريح و لا بشكل ضمنى في معرض الآية.

زد على ذلك، أنه على الرغم من استخدامه لنفس التقنية الحجاجية المتمثلة في "أداة الشرط" إلا أنه صرح بمعنى هو عكس المعنى الذي يفهم من الأصل. و في استعماله للعبارة « venir avec » مدعاة للالتباس أيضا، إذ قد تثبت بشكل غير مباشر أن النبي محمد ﷺ قد جاء بالقرآن الكريم من عنده و أنه ليس مجرد مبلغ له و حسب. و ترجمة قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا ﴾ ب « Ne l'aurais-tu point inventée ? » ترجمة غير صحيحة فهؤلاء المشركون لم يسألوا النبي صراحة فيما إذا كان اجتبا آية و إنما طلبوا منه أن يجتبيها استهزاء به و سخرية منه و تكذيبا لما جاء به.

في حين عبر المترجم بصورة ملائمة عن الحصر باستخدامه لصيغة متداولة في اللسان الفرنسي « Je suis simplement ce qui m'est révélé, de mon Seigneur » و حقق بذلك نفس القيم الإنجازية الضمنية والتواصلية؛ وباستخدامه للعبارة « ce qui m'est révélé, de mon Seigneur » قد نقادى ونفى الافتراض المسبق المتعلق بالعبارة « venir avec ».

لاحقاً، ترجم بلاشير لفظ "بصائر" بـ « appels » في حين أن المقصود بالبصائر هو الحجج الواضحة و البراهين الجلية، و بالتالي فإن الترجمة الفرنسية تؤدي دلالة مختلفة غير تلك التي أريد بها في الأصل. أما لفظ « Direction » ، فلا يسمح بفهم المعنى بشكل دقيق و لا يؤدي الدور المنوط باللفظ "هدى" في الإقناع وهذا ما يتناقض مع خصائص الحجج.

أما عبد العزيز، فقد ترجمت جملة الشرط بجملة شرط مثلها ولكن باستخدامها للفظتين « produits » و « signe » ، تكون قد غيرت تماماً من القيم الإنجازية الضمنية و الأغراض التواصلية للمفوض؛ و لم تتدارك الأمر في المفوض الذي بعده حيث ترجمت لفظ "أوحي" بـ « ce qui m'est inspiré » ، و شتانا بين الوحي والإلهام .

ضف إل ذلك أن اللفظ « prévoyances » يقصد به في الفرنسية الحيلة و بالتالي فهو لا يعكس المعنى الذي قصد في الأصل ولا يعبر عنه؛ شأنه شأن العبارة « qui on foi » ، التي تضمنت انتهاكا لقاعدة الكيف، فأى إيمان هو المقصود؟

يتجاوز الحجج العناصر اللسانية الظاهرة إلى الأصوات والصور والمجاز والإيقاع، فإن سلبت اللغة المترجم إليها قصراً الطاقة الحجاجية التي توفرها هذه الوسائل، و تمسك المترجم عجزاً بالتراكيب المعجمية مهملاً التراكيب الدلالية والمعاني السياقية فكيف سيتأثر المتلقي وكيف عساه يذعن و يقتنع بالحجج المقدمة.

#### 4-3-2- النموذج 2:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ۗ 27 ﴾ (سورة الرعد، الآية 27)

## أ-تحليل و تفسير معاني الآية

جاء في تفسير السعدي للآية أن الله تعالى يخبر " أن الذين كفروا بآيات الله يتعننون على رسول الله ويقترحون ويقولون: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾: وبزعمهم أنها لو جاءت لآمنوا، فأجابهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾؛ أي: طلب رضوانه، فليست الهداية والضلال بأيديهم حتى يجعلوا ذلك متوقفا على الآيات. " (السعدي، 2001، الصفحات 831-832 )

## ب-ملاحح الحجاج في الآية

﴿ وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾: استعمل الفعل "يقول" لنقل خطاب "الذين كفروا" وللإخبار عنه إنكارا و ذما وتوبيخا. و الغرض من الأداة "لولا" هو الاستفهام أي: هلا أنزل على محمد آية من ربه تكذيبا واستهزاء، والضمير المتصل في اللفظ "ربه" فيه دلالة على كفرهم واستحقاقهم لأن يوصفوا به.

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾، فهو عبارة عن تركيب إنشائي طلبي لابتدائه بصيغة الأمر والمراد منه توجيه المتلقي الأول (الرسول ﷺ) ليرد على ما قيل له دفاعا عنه وتأييدا له وتثبيتا وإنكارا لما قالوه وتوبيخا وذما. و التوكيد الذي جاء بعد الفعل "قل" فيه إثبات أن الهداية لا تكون إلا بمشيئة الله، و أنها لا تكون إلا لمن طلب الهدى والرضوان منه.

## ج-تحليل و مقارنة الترجمتين

ترجمة ريجيس بلاشير:

[RÉPLIQUES À CEUX DISCUTENT SUR LA RÉVÉLATION]

27/ Et ceux qui sont infidèles disent : « Que n'a-t-on fait descendre sur [cet homme] un signe de mon Seigneur ! » Réponds [-leur] : « Allah égare qui Il veut et dirige vers Lui qui est venu résipiscence ('anâba). » (Blachère, 1966, p. 275)

### ترجمة زينب عبد العزيز :

« 27/ Et ceux qui devinrent mécréants disent : « Que ne se produit-il pas pour lui un Signe de la part de son Seigneur ? » Dis : « Certes, Allah Fourvoie celui qu'Il Veut et Dirige vers Lui celui qui s'est repenti. » (Abdelaziz, 2014, p. 252)

من المتعارف عليه في علم الترجمة أن أي إضافة توضيحية متعلقة بترجمة لفظ أو عبارة ما توضع في أسفل الصفحة؛ بينما أضاف بلاشير توضيح في شكل عنوان بين عارضتين قبل بداية الآية، وفي هذا مدعاة للالتباس و لا يتوافق مع أخلاقيات ترجمة النصوص المقدسة و إن ساعد المتلقي على الفهم.

و من المعلوم أيضا أنه ليس من المتداول في اللسان الفرنسي استخدام الرابط « et » في بداية الكلام. كما أن الدلالة التي يوحي بها لفظ « signe » غير التي يوحي بها لفظ « aya » و الدلالة التي يوحي بها اللفظ « infidèles » غير تلك التي يوحيها بها اللفظ « mécréants » و ترجمت دلالات التركيب الخبري المتمثل في قوله جل و علا : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ترجمة حرفية. و بينما ترجم بلاشير الجملة الواقعة بعد لولا بجملة تعجبية في الفرنسية والأصح هو ترجمتها بجملة استفهامية كما فعلت عبد العزيز؛ ولو أن كلاهما ضيع القيم الإنجازية الضمنية للمفوض بسبب تفسيرهما المغلوط للألفاظ المشار إليها أعلاه.

كما ترجم التركيب الإنشائي الطلبي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ ترجمة مقبولة إلى حد ما لكونها تضمنت الأمر والإثبات في آن واحد، بينما أغفل بلاشير ترجمة أسلوب التوكيد رغم أهميته في الحجاج. ناهيك عن أن الإنابة غير التوبة كما فسرها كل من المترجمين، إذ أن الإنابة تلي التوبة وتسبق الأوبة، ويقصد بها الرجوع إلى الله و مجاهدة النفس و الهوى، والتوبة هي الندم على المعاصي التي ارتكبت في الماضي في حين أن الإنابة هي الحرص على تركها في المستقبل.

و مع حرص المترجمين على توظيف نفس الأساليب اللغوية و التقنيات الحجاجية لتحقيق الأغراض التواصلية المرجوة إلا أن اختيارهما المفتقر للدقة و الموضوعية غالبا ما يحول دون ذلك.

#### 4-3-3- النموذج 3:

﴿ وَ لَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۖ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (سورة النحل، الآية 103)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

يقول تعالى مخبرا عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت: إن محمدا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش، وكان بياعا يبيع عند الصفا، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه؛ فلهذا قال تعالى ردا عليهم في افتراءهم ذلك: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. يعني: القرآن، أي: فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن، في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة؛ التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على نبي

أرسل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل. (بن كثير، 2000، الصفحات 1076-1077)

## ب- ملامح الحجاج في الآية:

قوله تعالى: ﴿ وَ لَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ تركيب خبري تتمثل قيمته الإنجازية الضمنية في الإنكار والتعجيب، فالمرسل (الله) يخبر عما قالوه ويستحضره ليستكرهه و يعجب منه وليرد عليهم. و الأداة "إنما" جاءت هنا لإثبات ما بعدها ونفي ما دونه، و استخدمت في هذا المقام لأن حالة الإنكار والكفر الشديد التي هم عليها تستدعي حدة في القول إضافة إلى أن الخطاب موجه لكل من كان حاله حالهم.

و قوله جل وعلا: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ الذي هو عبارة عن تركيب خبري تتمثل قيمته الإنجازية الضمنية في التنبيه و المحاجة ببيان التناقض من جهة و تنزيها للنبي ﷺ و مدحا و ثناءا للكتاب الذي أنزل عليه. وفي تدرج الحجج و تساوقها تقوية للحجاج و زيادة في الإقناع و التأثير.

## ج- تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 105/103 Certes, Nous savons que les [Infidèles] disent : « Cet homme a seulement pour maître un mortel ! [Mais] la langue de celui auquel ils pensent est [une langue] barbare, alors que cette Prédication est [en] claire langue arabe. » (Blachère, 1966, p. 302)

## ترجمة زينب عبد العزيز:

« 103 Et Nous Savons exactement qu'ils disent : « Ce n'est qu'un être humain qui lui enseigne» La langue de celui auquel ils font allusion est étrangère, et ceci est une langue arabe évidente. » (Abdelaziz, 2014, p. 279)

ترجم التركيب الخبري في قوله عز و جل: ﴿ وَ لَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ بما تضمنه من توكيد و حصر ترجمة حرفية من طرف كل من بلاشير و عبد العزيز، و استطاع كلاهما الحفاظ على نفس القوى الإنجازية الصريحة والضمنية.

إلا أن الأداة « mais » ، التي استخدمت في ترجمة خطاب الرد القرآني ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، تدل على التضاد وليس على التناقض كما عبر عنه بلاشير.

أما ترجمة الصفة "أعجمي" ب « barbare » و « étrangère » ، هي ترجمة ملائمة باستطاعتها المساهمة بفاعلية في الحجاج، في حين أن ترجمة الفعل "يلحدون" ب « auxquels » « pensent » « auxquels ils font allusion » غير دقيقة بما يكفي، ذلك لأن المقصود به في الأصل هو "ينسبون"، و ترجمة الصفة "مبين" باللفظ « évidente » أبلغ حجاجيا من ترجمتها باللفظ « claire » الذي قد لا يستوقف المتلقي حتى .

## 4-3-4- النموذج 4:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (سورة محمد ، الآية 16)

## أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

ذكر السعدي في تفسيره أن الله تعالى يقول: " ومن المنافقين ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: ما تقول؛ استماعا لا عن قبول وانقياد، بل معرضة قلوبهم عنه، ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿مستفهمين عما قلت وما سمعوا مما لم يكن لهم فيه رغبة: ﴿مَاذَا قَالَ أَنفًا﴾؛ أي: قريبا و هذا في غاية الذم لهم؛ فإنهم لو كانوا حريصين على الخير؛ لألقوا إليه أسماعهم و وعته قلوبهم وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه الحال، ولهذا قال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي لا يهون فيها إلا الباطل. (السعدي، 2001، صفحة 1657)

## ب- ملامح الحجاج في الآية:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفًا﴾ تركيب خبري تتمثل قوته الإنجازية في إنكار موقف المشركين و توبيخهم و ذمهم تأييدا و دعما للنبي ﷺ. والاستفهام التقريري في استحضار خطابهم: ﴿مَاذَا قَالَ أَنفًا﴾ فيه ذم لهم وبيان لإعراضهم عن الحق و إقامة للحجة عليهم، إذ يعتقدون أنهم يستهزئون بالنبي ﷺ و هم في الحقيقة لا يستهزئون سوى بأنفسهم. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وتضمن القوى الإنجازية الضمنية لخطاب الرد على هؤلاء الكافرين المنكرين في الذم والسخرية والتوبيخ.

و تتجلى هذه السخرية من خلال الاستعارة التصريحية "طبع الله على قلوبهم" حيث شبه انصراف قلوبهم عن الإيمان بالطبع عليها ثم حذف المشبه ، وتعد الاستعارة "وسيلة هامة من وسائل التأثير لما لها من قدرة في التصوير، وقيامها على التناسب مع مقتضيات السياق، فهي تعد من أبلغ الصور وأقوى الآليات البلاغية تعبيراً عن الواقع، وهذا ما جعلها أداة بلاغية حجاجية قوية... ووسيلة لغوية يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي

يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية." (بن ظافر الشهري، 2004، صفحة 149)

### ج- تحليل و مقارنة الترجمتين:

ترجمة ريجيس بلاشير:

« 18/16 Parmi [les Infidèles], il en est qui t'écoutent [Prophète ! Mais] quand enfin ils sortent de chez toi, ils demandent à ceux qui ont reçu la Science : « Qu'a-t-il dit, tout à l'heure ? » Ceux-là sont dont le cœur a été scellé par Allah et qui suivent leurs doctrines pernicieuses. » (Blachère, 1966, p. 539)

ترجمة زينب عبد العزيز:

« 16/ Et il en est d'entre eux qui t'écoute : jusqu'à ce qu'ils fussent sortis de chez toi, ils dirent à ceux qui reçurent la Science : « Qu'a-t-il dit tout à l'heure ?! » Ceux-là sont ceux dont Allah A Scellé les cœurs et qui ont suivi leurs passions. » (Abdelaziz, 2014, p. 508)

ترجم التركيب الخبري في قوله عز و جل: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ﴾ ترجمة حرفية بتركيب خبري من طرف كل من بلاشير و عبد العزيز، كما حافظ كل منهما على نفس قيمه الإنجازية الضمنية من إنكار وتوبيخ و دم و محاجة. غير أنه لم تخل أي من الترجمتين من بعض التناقض المغير للمعنى كترجمة الفعل يستمعون ب « écouter » و الحكمة ب . « science » و هذه التفاصيل المعجمية والدلالية على قدر ما تبدو بسيطة إلا أنها لو أهملت فمن شأن ذلك أن يضعف طاقة الحجاج و قدرة الخطاب على التأثير في المتلقي و إقناعه.

أما قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ فقد ترجم أيضا بتركيب خبري من مثله في اللغة الهدف بما احتواه من استعارة ترجمة حرفية عبرت بدرجات متفاوتة من الدقة عن قيم الملفوظ الإنجازية الصريحة والضمنية. غير أن ترجمة بلاشير للفظ "أهواءهم" باللفظ الفرنسي « doctrines » فيه مدعاة للالتباس و تضليل للمتلقي ، ذلك لأن ما يقصد به غالبا في السياق القرآني بالأهواء هو بالأحرى اتباع ما تميل إليه النفس من معاص وملذات تضر أكثر مما تنفع.

#### 4-4-4- الخطاب ضد القرآن الكريم و خطاب الرد القرآني عليه:

##### 4-4-1- النموذج 1:

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۗ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (سورة التوبة، الآية 127)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير السعدي " أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليها سورة تتبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها ويعملوا بمضمونها، ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾: متسللين وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم؛ فكما انصرفوا عن العمل؛ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾؛ أي صدها عن الحق وخذلها، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: فقها ينفعهم؛ فإنهم لو فقهوا؛ لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا وانقادوا لأمرها. والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره من شرائع الإيمان. (السعدي، 2001، الصفحات 695-696)

#### ب- ملامح الحجاج في الآية:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾ تركيب خبري يخبر عن سلوك الكفار كلما نزلت عليهم سورة من القرآن. و جاء في شكل جملة شرطية حيث يلزم حدوث التالي (النظر إلى بعضهم البعض) حدوث المتقدم (نزول السورة) و في هذا شهادة على فعلتهم و استنكار لها و ذم و توبيخ لهم.

أما قوله: ﴿ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ هو استحضار لقولهم الذي قالوه استهزاء و كفرا، و الاستفهام هنا بلاغي غرضهم منه النفي و الإنكار فهم يعتقدون في الحقيقة أن لا أحد يرى ما

فعلوه، أما القيمة الإنجازية الضمنية لهذا الاستفهام في السياق القرآني فتمثل في الذم والتوبيخ و إقامة الحجة عليهم.

﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾، تركيب خبري آخر تضمن إثباتا لإعراضهم و استنكار له و ذم و توبيخ. و كل هذه الحجج أسندت بعضها بعضا و سيقت سوقا لنتيجة واحدة ظاهرة جلية: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ و تتمثل القوة الإنجازية الضمنية لهذا التركيب الخبري في: الدعاء و السخرية و السخط عليهم و على كل من أتى بمثل ما أتوا به.

إضافة إلى أن "الوظيفة الحجاجية للمجاز لا تعني سعيه إلى إقناع عقل المخاطب بدعوى ما فقط، بل هي تعني سعيه إلى بلوغ النفس أيضا، وجعلها تقتنع بهذه الدعوى وتتبناها، فالمجاز أنجع وسيلة للتأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب." (جلال الدين القزويني، صفحة 135) و هذا ما يبرز بوضوح في الاستخدام القرآني للعبارة المجازية في قوله جل و علا: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

### ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

#### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 128 /127 Dès qu'on fait descendre une sourate, ils se regardent les uns les autres [en disant] : « Quelqu'un vous voit-il ? » Puis ils se détournent. Allah a détourné leurs cœurs parce qu'ils sont un peuple qui ne saurait comprendre. Revenir [de l'erreur] ou [l']immunité » (Blachère, 1966, p. 231)

## ترجمة زينب عبد العزيز:

« 127 Et quand une Sūrah est Révélée, ils se regardent les uns les autres : « Quelqu'un vous voit-il ? » Ensuite ils partent. Allah A Dévoiyé leurs cœurs, parce que ce sont des gens qui ne comprennent point. » (Abdelaziz, 2014, p. 207)

ترجم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾ ترجمة حرفية بتركيب خبري مثله من طرف كل من بلاشير و عبد العزيز، حيث تضمنت كل من الترجمتين ذات القيم الإنجازية المتمثلة في الاستتار و الذم والتوبيخ و المحاجبة؛ غير أن اختيار بلاشير للفعل « se détournent » مقابل "انصرفوا" أبلغ من ترجمة عبد العزيز له بالفعل « partent » ، فهذا المقابل و إن كان مقبولا معجميا إلا أنه لا يعبر عن المعنى الدلالي المقصود في الأصل، إذ يرجح أن الانصراف قد قصد به الإعراض والصد.

و الأمر سيان بالنسبة لترجمة الفعل "يفقهون" إذ أن الفرق واضح في معاجم اللغة العربية و في الاستعمالات القرآنية بين التفقه و الفهم؛ فالتفقه أعلى درجة من الفهم إذ يأتي بعده فيثبته ويرسخه. بينما هذا التفصيل، غير عائد لكفاءة المترجمين التداولية بقدر ما هو عائد إلى التراكيب و الوسائل اللغوية التي تتيحها اللغة المترجم إليها، سواء في هذا السياق أو في سياقات كثيرة مشابهة.

و مما قد يلفت الانتباه زيادة على ذلك، استعمال الصيغتين « se détournent » و « a détourné »، ففي ذلك حاجية قوية و واضحة حرص بلاشير على نقلها كما هي إلى اللغة المترجم إليها بينما أغفلت عبد العزيز ذلك فضيعت من طاقة الحجاج الكثير. أما استعمال

المترجمين للرباط (locution conjonctive) « parce que » ، فينتج عنه استلزام عرفي يتمثل في علاقة السببية بين صرف قلوبهم و عدم تفقهم.

#### 4-4-2- النموذج 2:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَبَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة هود، الآية 13)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير السعدي للآية ما يلي: "﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾؛ أي افترى محمد هذا القرآن، فأجابهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَبَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: إن هو قد افتراه؛ فإنه لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة وأنتم الأعداء حقا الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته فإن كنتم صادقين فأتوا بعشر سور مثله مفتريات." (السعدي، 2001، صفحة 741)

#### ب- ملامح الحجاج في الآية:

الغرض من التركيب الخبري في قوله تعالى: "﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾" هو الإنكار و التوبيخ والتعجيب. و قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَبَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إنشاء طلبية تتمثل قيمته الإنجازية الضمنية في توجيهه و إرشاد المتلقي الأول (النبي ﷺ) وتأييده، و تحدي وتعجيز المشركين الذين ادعوا بهتانا و كفرا أن القرآن الكريم من افتراه و اختلاقه. و الفاء تعبر عن شرط مضمرة يناسب ما بعده و التقدير: ليس بمفتر و لستم بصادقين. أما استعمال الزمن المضارع في "يقولون" و "يؤمنون" ففيه دلالة على الماضي "والفائدة

في المستقبل إذا أخبر به عن الماضي لتتبين هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السامع كأنه شاهد." (الزركشي ب..، 2008، صفحة 337)

### ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

#### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 16/13 Diront-ils : « Il a forgé cela » Réponds [-leur] : « Apportez dix sourates semblables à ceci, forgées [par vous], et appelez [pour cela] qui vous pourrez, en dehors d'Allah, si vous êtes véridiques ! » » (Blachère, 1966, p. 247)

#### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 13/Ou bien disent-ils : « Il l'a controuvé ?! » Dis : « Apportez alors dix Suwar\* qui lui soient semblables, controuvéées, et convoquez qui vous pourrez, à l'exclusion d'Allah, si vous êtes véridiques ». » (Abdelaziz, 2014, p. 223)

ترجم التركيب الخبري في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ترجمة حرفية من طرف كلا

المرجمين، في حين أن ترجمة عبد العزيز للفعل "افتراه" ب العبارة « il l'a controuvé » ، أبلغ

تعبيريا و من ترجمة بلاشير لها ب « il l'a forgé » ، كما استطاعت أيضا استيعاب دور الأداة

"أم" في بداية الخطاب، فنجدها قد ترجمت ما يليها معبرة عنه بصيغة الاستفهام، ف "أم" جاءت في

هذا السياق بمعنى "بل" و الهمزة للاستفهام، و بذلك تكون المترجمة قد حافظت على نفس القيمة

الإنجازية التصريحية (فعل الكلام المباشر) و الضمنية ( فعل الكلام غير المباشر) للملفوظ في

الآن نفسه.

هذا و ترجم الأمر و الحصر و الشرط في خطاب الرد القرآني ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ترجمة ملائمة في اللغة الهدف، من شأنها تحقيق التكافؤ التداولي و المساهمة بفاعلية في التعبير عن مختلف الأغراض الإنجازية الضمنية عموما و الحجاجية منها خصوصا.

#### 4-4-3- النموذج 3:

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۗ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الطور، 33)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

فسر ابن كثير الآية كما يلي: "﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي: اختلقه وافتراه من عند نفسه، يعنون القرآن: قال الله: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة." (بن كثير، 2000، صفحة 1771)

#### ب- ملامح الحجاج في الآية:

قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ إنشاء طلبي "استفهام" تتمثل قوته الإنجازية الضمنية في الإخبار و الإنكار و التوبيخ. و قوله: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تركيب خبري "نفي" تتمثل قوته الإنجازية الضمنية في ذم المشركين و توبيخهم و تنزيه النبي مما ينسبونه إليه، فهم تحججوا بأن القرآن الكريم من عنده لكيفا يضطروا للإيمان به. و تتمثل نتيجة الحجاج في أن القرآن من عند الله و أن كفرهم هو سبب تكذيبه امن أنزل عليه.

أما الأداة "بل"، فهي تلعب دورا بارزا في عملية الحجاج حيث أن الحجج التي تأتي بعدها تكون أقوى من التي قبلها "وتكمن حجاجية "بل" في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، بما

يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة وذلك لأن بعضها منفي وبعضها مثبت. " (بن ظافر الشهري،  
2004، صفحة 173)

### ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

#### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 33/ Diront-ils : « Il a forgé cela » \_Non ! [Cela], ils ne [le] croient pas. La Montagne » (Blachère, 1966, p. 559)

#### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 33/Ou bien disent-ils : « Il l'a forgé ? » Bien au contraire, ils ne sont point croyants. » (Abdelaziz, 2014, p. 525)

ترجم بلاشير التركيب الخبري المتمثل في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ بتركيب خبري، فعبّر بذلك عن القيمة الإنجازية الصريحة له و لكنه لم يعبر عن قيمته الإنجازية الضمنية المتمثلة في الإنكار و التوبيخ و التعجب؛ في حين ترجمته عبد العزيز بإنشاء طلبية تتمثل قيمته الإنجازية الصريحة في الاستفهام و نجحت بذلك في التعبير عما ترتب عنه من قيم إنجازية ضمنية، و لو أنها باستخدامها للصيغة « il l'a forgé » ، بدلا من « il l'a controuvé » ، كما سبق و استخدمته في سياق مشابه.

لاحقا، ترجم بلاشير التركيب الخبري المتمثل في قوله تعالى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالنفي

الكلي « négation totale » و ذلك باستخدام اللفظ (adverbe de négation) « non »

« Bien invariable، و صيغة النفي « ne...pas » ؛ في حين ترجمته عبد العزيز بالصيغة « Bien

( locution adverbiale ) « au contraire » او كلاهما عبرا بدقة عن المعنى و الدور الذي

تؤديه الأداة "بل" في الحجاج.

#### 4-4-4- النموذج 4:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝﴾

(سورة الفرقان، الآية 32)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

يقول السعدي في تفسيره للآية أن "هذا جملة من مقترحات الكفار الذي توحيه إليه أنفسهم،

فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: كما أنزلت الكتب من قبله. و أي محذور من

نزوله على هذا الوجه؟! بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ﴾: أنزلناه

متفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن؛ ازداد طمأنينة وثباتا و خصوصا

عند ورود أسباب القلق؛ فإن نزول القرآن عند حدوثه يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو

كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: مهلناه، ودرجناك فيه تدريجا.

(السعدي، 2001، الصفحات 1196-1197)

#### ب- ملامح الحجاج في الآية:

تضمن فعل الكلام المباشر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً

وَاحِدَةً﴾ والذي هو عبارة عن تركيب خبري، تتمثل قوته الإنجازية الضمنية في الإبلاغ عما قالوه

إقامة للحجة عليهم و استنكارا له و توبيخا لهم و ذم. ثم جاء الرد عليهم في شكل تركيب خبري

أيضا تتمثل قوته الإنجازية الضمنية في بيان الغاية من نزول القرآن متفرقا و تكريم وتشريف النبي

ﷺ و إخراص من تجرأ و تطاول عليه و على ما أنزل إليه.

و تتمثل القوة الإنجازية الصريحة لقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ في الإخبار، أما قوته الإنجازية الضمنية فتتمثل في الإثبات و التكريم والتعظيم و ذلك بهدف المحاجبة و استعمال أحد المحسنات البديعية المعنوية المتمثل في صيغة المبالغة "رتلناه...ترتيلًا" خير دليل على ذلك.

### ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

#### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 34/ 32 Ceux qui sont infidèles disent : « Ah ! Si la Révélation était descendue en un seul ensemble ! » [Nous l'avons révélée] ainsi pour affermir par elle ton cœur et Nous l'avons psalmodié avec soi. La Salvation. » (Blachère, 1966, p. 389)

#### ترجمة زينب عبد العزيز:

32 Et ceux qui devinrent mécréants dirent : « Que ne lui fut Révélé le Qur'ân d'un seul trait ?!» Nous le Révêlâmes ainsi pour en Raffermir ton cœur, et Nous le Récitâmes une vraie récitation. » (Abdelaziz, 2014, p. 362)

ترجم التركيب الإنشائي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً﴾، والذي تتمثل قوته الإنجازية الصريحة في الاستفهام، بجملة تعجبية من طرف كل من بلاشير و عبد العزيز، ترجمة عبرت بوضوح عن نفس القوى الإنجازية الضمنية المتمثلة في الإنكار والتوبيخ و الذم.

هذا و ترجم التركيب الخبري المتمثل في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ بتركيبين خبريين مثله في كلتا الترجمتين، عبرا عن نفس القيم الإنجازية الضمنية المتمثلة في تكريم النبي ﷺ و تشريفه وتعظيم القرآن الكريم و تنزيهه مما ينسبون إليه.

و من الملاحظ أيضا حرص المترجمة، في هذا السياق، على ترجمة صيغة المبالغة في قوله جل و علا: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ إلا أنها اختارت تركيبا معجميا غير المعنى المتضمن في الأصل، في حين أغفل بلاشير ترجمته بدقة و أمانة باختياره للعبارة الفرنسية psalmodier « : avec soi. » التي و إن كانت ملائمة في الثقافة الدينية الفرنسية إلا أنها لا تصلح لأن تعبر عن القيم الإنجازية الضمنية للأصل لكونها لا تعكس ما يحمله لفظ "الترتيل" من دلالات خاصة و مغايرة.

## 4-5-الخطاب ضد علم الآخرة و خطاب الرد القرآني عليه

### 4-5-1-النموذج 1:

﴿وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة هود، الآية 8)

### أ-تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير الآية ما يلي: "﴿وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾؛ أي: إلى وقت مقدر فتباطؤوه، لقالوا من جهلهم وظلمهم: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾؟! و مضمون هذا تكذيبهم به؛ فإنهم يستدلون بعدم وقوعه بهم عاجلا على كذب الرسول المخبر بوقوع العذاب؛ فما أبعد هذا الاستدلال. ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾: فيتمكنون من النظر في أمرهم، و ﴿حَاقَ بِهِمْ﴾؛ أي: نزل ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: من العذاب حيث تهاونوا به حتى جزموا بكذب من جاء به. (السعدي، 2001، صفحة 240)

### ب-ملاحح الحجاج في الآية:

"لئن" موطنة للقسم و "إن" شرطية، و الجواب في قوله تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ جواب القسم؛ فالذي يجاب باللام هو القسم و ليس الشرط، و القسم من أساليب التوكيد كما أنه يعد من أقوى أدوات الحجاج.

و قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ هو تركيب تتمثل قيمته الإنجازية الصريحة في الإخبار، أما قيمه الإنجازية الضمنية فتتمثل في التوبيخ والتهديد و الترهيب.

## ب- تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 11/8 Si nous retardons pour eux le Tourment jusqu'à un moment compté, ils s'écrient : « Qu'est-ce qui l'arrête ? » Eh quoi ! Le jour où le Tourment viendra à eux, il ne saura être détourné d'eux et ils seront enveloppés par ce dont ils se raillaient. » (Blachère, 1966, p. 246)

### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 8 Et si Nous Ajournons d'eux le châtimeur, jusqu'à un terme déterminé, ils diront sûrement : « Qu'est-ce qui l'empêche ? » Mais certainement, le jour où il doit leur survenir n'est point détourné d'eux. Et ce dont ils se moquaient s'avéra contre eux. » (Abdelaziz, 2014, p. 222)

ترجم بلاشير التركيب الخبري المتمثل في قوله عز و جل: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ

أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ بتركيب خبري مثله و تمكن من التعبير عن نفس القيم الإنجازية

الضمنية (الاستبطاء و التكذيب و الاستهزاء)، و لكنه أغفل ترجمة أسلوب القسم زيادة على أنه

استعمل الفعل « seront enveloppés » الذي لا يعبر عن المعنى المقصود بالإحاطة غير

التغليف أو التغطية و إن توفر بينهما وجه شبه.

أما عبد العزيز فلقد ترجمته ترجمة حرفية و قد أفلحت إلى حد ما في التعبير عن قيمته

الإنجازيتين الصريحة و الضمنية، غير أنها أغفلت أيضا ترجمة أسلوب القسم و ذلك سيحول دون

تحقيق القيم التأثيرية المرجوة من محاجة المتلقي المنكر.

علاوة على ذلك، نبه بلاشير المتلقي للترجمة الفرنسية باستخدام العبارة « ! Eh quoi » ،  
في حين فضلت عبد العزيز تنبيهه باستخدام العبارة « mais certainement » ، كما استعملت  
النفي الكلي بدل التوكيد. و رغم اختلاف التقنيات الحجاجية و الألفاظ المختارة إلا أن المترجمين قد  
أصابا إلى حد ما في التعبير عن قيم الملفوظ الإنجازية و التأثيرية.

#### 4-5-2- النموذج 2:

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ \* يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُعْتَنُونَ \* ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾  
(سورة الذاريات، الآيات 12-14)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآيات:

نكر ابن كثير في تفسير الآية ما يلي: "﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: وإنما يقولون هذا تكديبا  
وعنادا وشكا واستبعادا. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُعْتَنُونَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد،  
والحسن، وغير واحد: ﴿يُعْتَنُونَ﴾: يعذبون. قال مجاهد: كما يفتن الذهب على النار. وقال جماعة  
آخرون كمجاهد أيضا، وعكرمة وإبراهيم النخعي، و زيد بن أسلم، وسفيان الثوري: ﴿يُعْتَنُونَ﴾:  
يحرقون. ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾: قال مجاهد: حريقكم. وقال غيره: عذابكم. ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ  
تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريبا و توبيخا و تصغيرا." (بن كثير، 2000، صفحة 1764)

#### ب- ملامح الحجاج في الآية:

استعملت "أيان" استفهاما للزمان، و قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ تركيب خبري  
يتضمن قوة إنجازية تتمثل في الاستبطاء إنكارا و تكديبا. فأتاهم الرد مباشرة دون أية مقدمات ﴿يَوْمَ  
هُم عَلَى النَّارِ يُعْتَنُونَ﴾ في شكل تركيب خبري قدم فيه المفعول به تخصيصا و تبيينا و تتمثل قوته

الإنجازية الضمنية في التهديد و الترهيب. أما قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فهو إخبار و تقرير تضمن ترهيباً و تهديداً بعذاب واقع لا محالة.

### ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

#### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 12/ Ils demandent : « Quand viendra le Jour du Jugement ? »

13/ Au jour où, sur le Feu, ils seront éprouvés.

14/ Goûtez votre épreuve ! Voici ce dont vous appeliez la venue ! Celles qui vont. » (Blachère, 1966, p. 554)

#### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 11/ Ceux qui sont inattentifs, dans l'ignorance,

12/ qui demandent: « Quand aura lieu le Jour du Jugement ? »

13/ Le Jour où ils seront, eux, éprouvés sur le Feu:

14/ « Subissez votre épreuve. C'est ce que vous vouliez hâter ! » (Abdelaziz, 2014, p. 521)

ترجم الاستفهام في قوله جل و علا: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ترجمة حرفية و حافظ كل

من المترجمين على قوته الإنجازية الضمنية، و الأمر نفسه بالنسبة للتركيب الخبري في قوله

تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، حيث أبقيا على الإضمار كتقنية حجاجية لما له من دور في

مخاطبة لنفس المتلقي و إثارة لمشاعره.

### 5-3-النموذج 3:

﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ \* قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة، الآيات 10-11)

### 5-3-1-تحليل و تفسير معاني الآيات:

أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: ﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: بلينا وتمزقنا وتفرقنا في المواضع التي لا تعلم، ﴿أِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي لمبعوثون بعثا جديدا؛ بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء! و ذلك بقياسهم قدرة الخالق على قدرتهم، وكلامهم هذا ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم وعناد وكفر بقاء ربهم ووجد، ولهذا قال: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾، فكلامهم علم مصدره وغايته، وإلا: فلو كان قصدهم بيان الحق ليبين لهم من الأدلة القاطعة على ذلك ما يجعله مشاهدا للبصيرة بمنزلة الشمس للبصر، ويكفيهم أنهم عندهم علم أنهم قد ابتدئوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء، وكذلك الأرض الميتة ينزل الله عليها المطر فتحيا بعد موتها، وينبت به متفرق بذورها.

﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾؛ أي: جعله الله وكيلا على قبض الأرواح، وله أعوان، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم بأعمالكم، وقد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل الله بكم. (السعدي، 2001، الصفحات 1662-1663)

### 5-3-2-ملاحح الحجاج في الآية:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استفهام بلاغي يتضمن قوة إنجازية تتمثل في الاستبطاء و التأكيد. و جاء خطاب الرد القرآني في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ

بلقاء ربهم كافرين ﴿ في شكل تركيب خبري إنكارا لما قالوه و توبيخا لهم و ذما . و يعرف أن الحجة التي تأتي بعد "بل" أقوى من الحجة التي تأتي قبلها .

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ، فتمثل قوته الإنجازية الصريحة في الأمر و قوته الإنجازية الضمنية في توجيه النبي ﷺ و ترهيب الكافرين المنكرين للبعث و القيامة و الحساب و كل من حذا حذوهم، ذلك لأن الخطاب القرآني يتسم بأنه صالح لكل زمان و مكان .

### ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

ترجمة ريجيس بلاشير:

« 46/47 ils disaient : « Quand nous serons morts et que nous serons poussière et ossements, certes serons-nous récompensés ?

48 Est-ce que nos premiers ancêtres... ?

49 Réponds : « En vérité les Premiers et les Derniers »

50 seront certes réunis au point fixé d'un jour connu ! » (Blachère, 1966, p. 573)

ترجمة عبد العزيز:

« 47 et ils disaient : « Si nous mourions et devenions poussière et os, serions-nous vraiment ressuscités,

48 et même nos Ancêtres premiers ?! ».

49 Dis : « Certes, les premiers et les derniers

50 seront sûrement rassemblés en un temps fixé, d'un Jour déterminé ». »  
(Abdelaziz, 2014, p. 535)

ترجم كل من بلاشير و عبد العزيز قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ترجمة حرفية، و كادا أن يحققا نفس القيم الإنجازية الضمنية للأصل إلا أن اختيارهما لبعض المكافئات رفع من احتمال تشكيل افتراضات مسبقة لدى المتلقي أدعى للاتباس منها إلى التوضيح. مكافئات من قبيل « seront égarés » ، « réincarnés » ، « impies » ، والتي و إن عكست بعض المعاني المعجمية إلا أنها لا تمت إلى المعاني السياقية للألفاظ بصلة و بالتالي فهي أعجز ما يكون عن تحقيق القيم التأثيرية و التواصلية المرجوة.

و في ترجمة قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾، أضاف بلاشير عبارة لم ترد في الأصل فقط للربط بين الحجج و بيان تدرجها. و هذا متعارف عليه أنه من أخطاء الترجمة و إن مكنت المترجم من تحقيق الغرض التواصلية خاصة حينما يتعلق الأمر بترجمة خطاب مقدس و معجز مثل القرآن الكريم.

ترجمت القوة الإنجازية الصريحة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ المتمثلة في أسلوب الأمر، وقوته الإنجازية الضمنية المتمثلة في التهديد و الترهيب. في حين أن ترجمة بلاشير للفظ "يتوفاكم" بالعبارة « vous rappellera » قصد به في الأصل يقبض أرواحكم و ليس يذكركم، و هذا ما قد يعكس ذاتية المترجم و تأثره بمعتقداته و خلفيته الدينية.

#### 4-5-4-النموذج 4:

﴿ وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۖ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة النحل، الآية 38)

#### 5-4-1-تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير ابن كثير للآية أن الله تعالى يقول "مخبرا عن المشركين: أنهم حلفوا فأقسموا ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ أي: استبعدوا ذلك، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه. فقال تعالى مكذبا لهم ورادا عليهم: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: سيكون ذلك، ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أي: لا بد منه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر." (بن كثير، 2000، صفحة 1062)

#### ب-ملاحح الحجاج في الآية :

قوله تعالى: ﴿ وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۖ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ تركيب خبري تتمثل قوته الإنجازية الضمنية في بيان إنكار الكفار للبعث و تكذيبهم الشديد له و الدليل على ذلك صيغة المبالغة "جهد أيمانهم" أي أغلظها و أشدها. و جاء الرد القرآني عليهم كما يلي في قوله عز و جل: ﴿ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فنفى بذلك ادعائهم مثبتا بذلك أن البعث حقيقة لا مفر منها و أنهم كاذبون توبيخا و ذما و تهديدا.

## ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 40/38 Ils ont jugé par Allah, en leurs plus solennels serments : « Allah ne ressuscitera point qui est mort ! » Si ! [C'est là] une promesse qui, par Lui, devra être réalisée mais la plupart des Hommes ne savent point\_, » (Blachère, 1966, p. 295)

### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 38/ Et ils ont juré par Allah, de tous leurs serments, qu'Allah ne Ressuscitera pas celui qui meurt. Mais oui, c'est une promesse qu'Il A Faite, en Vérité, mais la plupart des hommes ne savent pas. » (Abdelaziz, 2014, p. 271)

ترجم التركيب الخبري في قوله تعالى: ﴿ وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۖ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ ترجمة ملائمة و معبرة عن شتى قيم الملفوظ الإنجازية بما تضمنته من توكيد و قسم و نفي مما يخول لها تحقيق نفس القيم التواصلية التي في الأصل. و الأمر سيان بالنسبة لترجمة قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فرغم اختلاف الصيغ اللغوية التي اختارها المترجمين لنقل المعنى إلى اللغة الهدف إلا أنهما وفقا إلى حد بعيد في تكييفه تداوليا مع الحفاظ على مضامينه الإنجازية و جوهره التواصلية.

#### 4-6-الخطاب ضد المؤمنين و خطاب الرد القرآني عليه:

#### 4-6-1-النموذج 1:

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ 12﴾ (سورة العنكبوت، الآيات 11-12)

#### أ-تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير السعدي للآية ما يلي: "يخبر الله تعالى عن افتراء الكفار ودعوتهم للمؤمنين إلى دينهم، وفي ضمن ذلك تحذير للمؤمنين و الاغترار بهم والوقوع في مكرهم، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: فاتركوا دينكم أو بعضه، واتبعونا في ديننا فإننا نضمن لكم الأمر، ونحمل ﴿خَطَايَاكُمْ﴾: وهذا الأمر ليس بأيديهم؛ فهذا قال: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: لا قليل ولا كثير؛ فهذا التحمل ولو رضي به صاحبه؛ فإنه لا يفيد شيئاً فإن الحق لله، والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره وحكمه، وحكمه أن لا تزر وازرة وزر أخرى." (السعدي، 2001، الصفحات 1305-1306)

#### ب-ملاحح الحجاج في الآية:

قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ تركيب إنشائي تتمثل قيمته الإنجازية الصريحة في القسم؛ وجاء متضمنا لقوى إنجازية ضمنية تتمثل في: مدح المؤمنين و تكريمهم و تثبييتهم، و ذم المنافقين و توبيخهم و تهديدهم.

أما قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾، فهو تركيب تتمثل قيمته الإنجازية الصريحة في الإخبار، أما قيمته الإنجازية الضمنية فتتمثل في الإنكار و التوبيخ و التعجيب من المنافقين الذين يعدون بما هو فائق لقدرتهم و خارج عن مشيئتهم.

و خطاب الرد القرآني المتمثل في قوله عز و جل: ﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۗ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فو تركيب تتمثل قيمته الإنجازية الصريحة في الإخبار و النفي، و قيمته الإنجازية الضمنية في استنكار و إنكار ما قاله المشركون و ذمهم و توبيخهم و إرشاد المؤمنين و تنبيههم لحقيقة هؤلاء.

و الطباق في العبارتين: "الذين كفروا" و "الذين آمنوا" من الوسائل البلاغية لمساهمتها في تحسين المعنى و لكنه يضطلع أيضا بدور حجاجي تخوله له قدرته على التأثير في المتلقي و زيادة احتمال إقناعه و زيادة إذعانه؛ أما مضاعفة التوكيد ففيها دلالة على شدة إنكار المتلقين المنكرين و الحاجة إلى تكثيف طاقة الحجاج للتمكن من مجابتهم و إقناعهم.

### ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

#### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 10/11 « Certes, Allah connait ceux qui croient et Il connait certes les Hypocrites. »

11/12Ceux qui sont infidèles ont dit à ceux qui croient : « Suivez notre chemin ! Portons le poids de vos fautes ! » Mais, [Ici-bas] ils ne se trouvent en rien porter leurs [propres] fautes. En vérité, ce sont certes des menteurs.» (Blachère, 1966, p. 422)

## ترجمة زينب عبد العزيز:

« 11/ Et Allah Mettra sûrement en évidence ceux qui devinrent croyants et Mettra sûrement en évidence les hypocrites.

12 / Et ceux qui devinrent mécréants dirent à ceux qui devinrent croyants : « Suivez notre voie et nous porterons sûrement vos péchés ». Mais ils ne porteront absolument rien de leurs péchés. Ce sont sûrement des menteurs.» (Abdelaziz, 2014, p. 397)

ترجم التركيب الخبري في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾  
بتركيبين خبريين مثله في كلتا الترجمتين. و بالتالي يكون المترجم و المترجمة قد نجحا بذلك في التعبير عن قيمته الإنجازية التصريحية بينما لم يسعفا بشكل كاف انتقاءهما لبعض المكافئات في التعبير الدقيق عن مختلف قيمه الإنجازية مثل الفعل « connaitre » و العبارة « mettre en évidence » فالعلم غير "المعرفة" و غير "إظهار الحقيقة" كما فسرتة ووضحته عبد العزيز ، خاصة باعتبار أن الإضمار يعد إحدى أهم تقنيات الحجاج لما فيه من توسيع لأفق التلقي و دعوة للمتلقي إلى التفكير و إعمال العقل لدفعه إلى التأثر و الاقتناع. و إن عجز المترجم عن فهم المعاني السياقية فهو عن تحقيق الأغراض التواصلية أعجز.

ضف إلى ذلك أن ترجمة لفظ "المنافقين" ب « hypocrites » و إن كانت تبدو حرفية و أمينة و واضحة إلا أنها تخترق إحدى قواعد مبدأ التعاون المتمثلة في قاعدة الكيف. فهي أدعى إلى الاتباس منها إلى الوضوح. فلفظ المنافقين هنا لم يستعمل استعمالا عاديا و إنما استعمل استعمالا حجاجيا وخير دليل على ذلك كثرة الدلالات المرتبطة به و المترتبة عنه في مختلف السياقات القرآنية.

تضمنت الترجمتين لقوله عز وجل ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ نفس القيمتين الإنجازية التصريحية و الضمنية، فيما عدا التوكيد الذي يظهر في ترجمة عبد العزيز فقط. غير أن الافتراض المسبق الذي قد يتولد لدى المتلقي عند قراءته للعبارتين « le poids de vos fautes » المترجمة حرفيا و لفظ « péchés » ، يختلف عما أريد به في الأصل؛ فاللفظ « fautes » أخف دلالة من لفظ "خطايا" و أضعف حاجيا، أما لفظ « péchés » ، فكان ليكون أنسب لو أنه أرفق بقرينة تدل على "وزر هذه الخطايا" فالمقصود في الآية هو وزر هذه الخطايا و ليست الخطايا نفسها.

استطاعت الترجمتين لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۗ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ التعبير عن نفس القيم الإنجازية الصريحة و الضمنية، غير أن اختيار بلاشير للعبارة-« ici bas » إذ حصر حمل الخطايا "حمل الخطايا" على الدنيا و هذا معنى إضافي لم يصرح به الملفوظ الأصل للآية، و ربما قد يكون المترجم تعمد إغفال ترجمة هذا تفصيل كما جاء في الأصل لكونها حقيقة تتعارض مع قناعاته الخاصة و ميولاته الإيديولوجية.

#### 4-6-2- النموذج 2:

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال، الآية 49)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير الجلالين الميسر ما يلي: "واذكروا حين يقول أهل الشك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غر هؤلاء المسلمين دينهم، فأوردتهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعده فإن الله لن يخذله، فإله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه." (السيوطي و المحلي، صفحة 183)

و جاء في تفسير السعدي للآية الكريمة ما يلي: "إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ؛ أَي شك وشبهة من ضعفاء الإيمان للمؤمنين حين أقدموا مع قلتهم على قتال المشركين مع كثرتهم: ﴿عَرَّ هُوَلاءِ دِينَهُمْ﴾؛ أي: أوردهم الدين الذين هم عليه هذه الموارد التي لا يدان لهم بها ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقارا لهم واستخفافا لعقولهم، وهم والله الأخفاء عقولا الضعفاء أحلاما؛ فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام؛ فإن المؤمن المتوكل على الله الذي يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على أن يضره لم يضره إلا بشيء كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحق، وأن الله تعالى حكيم رحيم، وكان واثقا بربه مطمئن القلب لا فرعا ولا جبانا، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لا يغالب قوته قوة، حكيم فيما قضاه وأجراه." (السعدي، 2001، صفحة 623)

### ب- ملامح الحجاج في الآية:

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ عَرَّ هُوَلاءِ دِينَهُمْ﴾ تركيب خبري تتمثل قواه الإنجازية الضمنية في إنكار ما قاله المنافقون توبيخا و ذما.

و جاء خطاب الرد القرآني على هؤلاء في شكل تركيب خبري أيضا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مدحا للمؤمنين ودفاعا عنهم و تكريما لهم و تشريفا، مؤكدا على ذلك باستعمال الأداة "إن" و استعملت الصفتين "عزیز" و "حكيم" حجاجيا دلالة على أن الله لا يعجزه شيء و أنه حكيم في تدبيره توجيهها للحجاج نحو النتيجة المرجوة و مضاعفة لطاقته وقدرته على التأثير و الإقناع.

## ج-تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 51/49 [Rappelez-vous] quand les Hypocrites dirent ainsi que ceux au cœur de qui est un mal : « Ces gens-ci ont été trompés par leur religion.» Celui qui s'appuie sur Allah [sera sauvé], car Allah est puissant et sage. » (Blachère, 1966, p. 208)

### ترجمة زينب عبد العزيز:

« 49/ Lorsque les hypocrites et ceux qui ont une malveillance dans leurs cœurs dirent : « Leur religion les abusa ». Quiconque se fie à Allah, Allah Est sûrement Invincible, Sage. » (Abdelaziz, 2014, p. 183)

ترجمت عبد العزيز التركيب الخبري المتمثل في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هُوَلاءِ دِينُهُمْ﴾ بما تضمنه من قيم إنجازية على عكس بلاشير الذي غير وجهة الحجاج كلية باستهلاله لترجمة الآية بالعبارة. « Rappelez-vous ».

كما أغفل بلاشير ترجمة التوكيد المتضمن في التركيب الخبري المتمثل في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، و ترجمت عبد العزيز لفظ "عزيز" ب « invincible »

الذي يعني "لا يهزم" في الفرنسية في حين يقصد به حسب كتب التفسير "الذي لا يعجزه شيء" و

لكن رغم اختلاف الأسلوب اللغوي إلا أن المترجمين قد تمكنا إلى حد ما من التعبير عن نفس القيم

الإنجازية للملفوظ الأصل بدرجات متفاوتة من الدقة و الملاءمة.

### 3-6-النموذج 3:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۗ﴾ (سورة النساء، الآية 141)

#### أ-تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير السعدي للآية الكريمة أن الله تعالى ذكر "تحقيق موالاة المنافقين للكافرين ومعاداتهم للمؤمنين، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ﴾؛ أي ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها، وتنتهون إليها من خير أو شر، قد أعدوا لكل حالة جوابا بحسب نفاقهم؛ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾؛ فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا، ليسلموا من القرح والطعن عليهم وليشركوهم في الغنيمة والفيء ولينتصروا بهم. ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾: ولم يقل فتح، لأنه لا يحصل لهم فتح يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة، بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر حكمة من الله؛ فإذا كان ذلك؛ ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة، ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع من تنفيذهم وتزهيدهم في القتال ومظاهرة الأعداء عليهم وغير ذلك مما هو معروف منهم." (السعدي، 2001، الصفحات 373-372)

و فسر قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن الله سيجازي "المؤمنين ظاهرا وباطنا بالجنة، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات. ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ أي: تسلطا واستيلاء عليهم، بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، ولا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين ودفع تسليط

الكافرين ما هو مشهود بالعيان حتى أن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف الكافرة قد بقوا محترمين، لا يتعرضون لأديانهم ولا يكون مستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فله الحمد أولاً وآخراً و ظاهراً وباطناً." (السعدي، 2001، صفحة 373)

## ب- ملامح الحجاج في الآية:

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تركيب تتمثل قوته الإنجازية الصريحة في الإخبار، أما قوته الإنجازية الضمنية فتتمثل في إنكار ما يقوم به المنافقين و توبيخهم و ذمهم لإقامة الحجة عليهم من جهة و تتيبها للمؤمنين من جهة أخرى.

أما قوله تعالى: ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾، فهو تركيب خبري تتمثل قوته الإنجازية الضمنية في تهديد الكافرين و نصر المؤمنين و زرع الطمأنينة في قلوبهم.

## ج- تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 140/141 [Ces Hypocrites sont ceux] qui sont dans l'expectative, à votre égard. Quand vous échoit un succès [venu] d'Allah, ils disent : « N'étions-nous pas avec vous ? » [Mais] si une part [de succès] échoit aux Infidèles, ils [leur] disent : « N'avions-nous pas main sur vous et ne vous avons-nous point défendus contre les Croyants ? » Allah jugera entre vous [et eux], au Jour de la Résurrection, et Allah n'accordera aux Infidèles nul moyen [de l'emporter] sur les Croyants. » (Blachère, 1966, p. 126)

## ترجمة زينب عبد العزيز:

« 141/ Ceux qui vous guettent et qui, si une victoire vous est accordée par Allah, disent «N'étions-nous pas avec vous ? », et si les mécréants y avaient une part, ils disent : « Ne vous avons-nous pas accaparés et ne vous avons-nous pas défendus contre les croyants ? » Ainsi, Allah Jugera entre vous le Jour de la Résurrection, et Allah ne Donnera point moyen aux mécréants contre les croyants. » (Abdelaziz, 2014, p. 101)

ترجمت عبد العزيز لفظ "الذين" باللفظ « ceux » بينما ترجمه بلاشير ب عبارة ces « hypocrites sont ceux ، و في هذا إفصاح لمضمر لا ضرورة تدعو للإفصاح عنه، و لو أنها إضافة لم تغير من القيمة الدلالية و التواصلية، غير أنه إطناب لا يحترم خصوصية اللغة المترجم إليها و المعروفة بالإيجاز و الاختصار.

و من ناحية أخرى يعتبر اختيار عبد العزيز للعبارة « vous guettent » و بلاشير للعبارة « qui sont dans l'expectative à votre égard » ، على قدر من الملاءمة لكون كل منهما متداولة في اللغة الفرنسي إضافة لقدرتهما على التعبير عن نفس القيمة الدلالية للفعل "يتربصون".

كما نقل إلى الفرنسية كل من أسلوبى الشرط و الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بما يخدم الوظيفة الحجاجية التي استعملها لأجلها. إلا أن اللفظ « victoire » الذي اختارته عبد العزيز أنسب في هذا السياق من لفظ « succès ».

و من الملاحظ أن ترجمة عبد العزيز لمفهوم هذه الآية تعبر، دون استخدام أي أداة، عن التناقض في مواقف الكافرين بين حال و حال، بينما فضل بلاشير استخدام الأداة « mais » للتعبير عنه. و رغم اختلاف الوسائل اللغوية المستعملة إلا أن كلاهما حققا نفس القيم الإنجازية و الأغراض التواصلية.

لاحقاً، نقل كل من المترجم و المترجمة قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ بما احتواه من توبيخ و تهديد للكافرين و تشریف و تكريم للمؤمنين بصورة ملائمة، غير أن بلاشير غالباً ما يضيف توضيحات لا ضرورة لها، ناهيك عن كونه تشوش ذهن المتلقي و تصعب غالباً وصوله إلى المعنى مما يصعب استمالاته و إقناعه.

#### 4-6-4- النموذج 4:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۗ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية 107)

#### أ- تحليل و تفسير معاني الآية:

جاء في تفسير السعدي أنه "كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدون له لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله؛ يكون لهم حصناً عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه، ﴿وَكَفْرًا﴾ أي: مقصدهم فيه الكفر إذا قصد غيرهم الإيمان ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي ليتشعبوا و يتفرقوا ويختلفوا، و ﴿إِرْصَادًا﴾؛ أي: إعداداً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: إغاثة للمحاربين لله ورسوله، الذين تقدم حرابهم واشتدت عدواتهم (...). فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي

بذلك، فبعث إليه النبي ﷺ من يهدمه ويحرقه، فهدم، و حرق، وصار بعد ذلك مزبلة. قال تعالى: ﴿وَلْيَخْلَفَنَّ إِنَّا أَرَدْنَا﴾ في بنائه إلا الحسنى؛ أي الإحسان إلا الضعيف والعاجز والضرير ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم. (السعدي، 2001، الصفحات 684-685)

## ب- ملامح الحجاج في الآية:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تركيب خبري تتمثل قوته الإنجازية الضمنية في الإنكار و التوبيخ. و الدليل على ذلك صيغ المبالغة المستعملة: ضرارا، كفرا، تفريقا، إرسادا.

أما قوله جل و علا: ﴿وَلْيَخْلَفَنَّ إِنَّا أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ فقد تضمن إنكارا لصدقهم و ذما لهم و تعجيبا وفيما يلي دليل على ذلك ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ إذ تضمن هذا التركيب الخبري توكيدا مضاعفا بالأداة "إن" و "اللام" نغيا لصدقهم و ذما لهم تعبر عنه الصفة المستخدمة في خطاب الرد القرآني "كاذبون"، كما تضمن أيضا تنبيها للمؤمنين لكي يحذروهم.

## ج- تحليل و مقارنة الترجمتين:

### ترجمة ريجيس بلاشير:

« 107 Ceux qui ont pris [Pour eux] une mosquée, par nuisance, impiété, schisme entre les Croyants et piège, sont certes ceux qui ont fait la guerre à Allah et à son Apôtre antérieurement. Et [ceux] purent certes : « Nous n'avons voulu que la Très Belle [Récompense] ! [Mais] Allah est témoin, en vérité, qu'ils sont certes des menteurs. » (Blachère, 1966, pp. 227-228)

## ترجمة زينب عبد العزيز:

« 107 Et ceux qui édifièrent une Mosquée pour la nuisance, et la mécréance, et la division entre les croyants, et comme base pour quiconque a combattu Allah et Son Messager, auparavant, et qui prêtent fermement serment : « Nous ne voulions que le bien », Allah Est Témoin qu'ils sont sûrement menteurs. » (Abdelaziz, 2014, p. 204)

ترجمت صيغ المبالغة رغم أهميتها في الحجاج بأسماء تؤدي دلالات متقاربة مع دلالاتها الأصلية، ذلك لأن اللغة المترجم إليها لا تتوفر على أكثر من ذلك. إلا أن بعضها أصح من البعض الآخر. فمثلا: اللفظتان « impiété » و « schisme » توحى بدلالات معينة في الثقافة الدينية المسيحية و قد يتسبب إسقاطها على ترجمة الخطاب القرآني كما من المغالطات تحرم المتلقي أيا كانت ثقافته من إدراك و استيعاب الدلالات الحقيقية للألفاظ القرآنية مما يعيق العملية التواصلية بدلا من أن يساهم في إنجاحها.

و يتمثل الغرض من استعمال أسلوب القسم في حمل المتلقي على التصديق، فنجد أن بلاشير راعى هذا الغرض في حين أنه أقسم على حقيقة مغايرة ذلك لأن استعماله للفظ « récompense » غير المعنى المراد في الملفوظ الأصل للآية و هذا ما حال بينه وبين تحقيق الهدف التواصلية الذي جعل له. على العكس منه، عبرت عبد العزيز عن نفس الحقيقة المتمثلة في تأكيد المنافقين على حسن نيتهم و لو أن الإحسان أعظم درجة من الخير كما ترجمته إلى الفرنسية. و أخيرا، يمكن القول أن التركيب الخبري المتمثل في قوله عز و جل: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ترجم ترجمة سديدة دلالية و ملائمة تداوليا.

## خلاصة

يتجلى من خلال ترجمة كل بلاشير و عبد العزيز في كثير من المواضع أن اختيار لفظ دون آخر من شأنه رفع وخفض الطاقة الحجاجية بحيث يمنح الملفوظات دلالات خاصة وبالتالي يوجه الحجاج وجهة محددة؛ أو على العكس فيوسع دلالاتها ويفسح أفق التلقي.

ومن هنا يبرز دور وأهمية الإحاطة بالسياق التداولي للخطاب، ذلك لأنه بالإضافة إلى أن اللغة الهدف تفرض على المترجم بنيات لغوية و تركيبية محددة فهو لن يكون أقل تقييدا فيما يتعلق باختيار البنيات الدلالية والمعجمية.

و في ظل محاولات المترجمين محاكاة الأزمنة الفعلية المستعملة في الخطاب القرآني المضاد، والتي تضطلع بدور حجاجي في غاية الدقة والأهمية أفلح ريجيس بلاشير في ترجمتها بكل سلاسة محترما عبقرية اللغة المترجم إليها بينما كثيرا ما غابت عنه دلالاتها في اللغة المصدر.

و مع حرص المترجمين على توظيف نفس الأساليب اللغوية و التقنيات الحجاجية لتحقيق الأغراض التواصلية المرجوة إلا أن اختيارهما المفتر للدقة و الموضوعية غالبا ما يحول دون ذلك. كما يمكن أن نستنتج استناد على تحليلنا لترجمة الحجاج في كثير من سياقات الخطاب القرآني المضاد أن حرص المترجمين على الإبقاء على نفس التقنيات الحجاجية لا يضمن لهم دائما المحافظة على نفس القيم الحجاجية خاصة إذا ما اعتبرنا أن الحجاج ذو طبيعة تداولية و مشار إليه في بنية اللغات نفسها و يستمد جزء من خصوصيته و فاعليته من سياق التواصل.

خاتمة

## خاتمة

سعت من خلال إنجازي لهذا البحث إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف نقلت الاستراتيجيات و التقنيات الحجاجية المتضمنة في الخطاب القرآني المضاد من الفرنسية إلى العربية و ما هي أهم الآليات التي تم الاستناد عليها في تحليله وقراءته و الاستراتيجيات الترجمية التي تم اعتمادها في سبيل تحقيق أغراضه التواصلية ؟

و قد مكنتني الدراسة التحليلية المقارنة للترجمتين إلى الفرنسية و التي استعنت فيها بمختلف مفاهيم و أدوات الحجاج التداولي كمفهوم: السلم الحجاجي و الروابط و العوامل الحجاجية و الحجج المتساوقة و المتساندة و المتعاكسة و الطابع الحجاجي للغة و كذلك الصور البيانية و الآليات البلاغية التي تناولها درس الحجاجي المعاصر من تحديد ملامح الحجاج في المدونة المشكلة من آيات الخطاب الحجاجي الموجه للمشاركين ( الخطاب القرآني المضاد) ؛ و من تتبع ترجمة مختلف الأساليب و الآليات و الأدوات الحجاجية في هذه الآيات من طرف كل من ريجيس بلاشير و زينب عبد العزيز بما تضمنته من قيم إنجازية صريحة و ضمنية و أغراض تواصلية.

هذا و تمكنت أيضا من إثبات الفرضيات البحثية المتعلقة باختلاف قراءات المترجمين للخطاب الحجاجي المضاد باختلاف أنواعه و باختلاف قدراتهم اللغوية و تحليلاتهم اللسانية و التداولية و ميولاتهم الفكرية و الايديولوجية و الثقافية و الاجتماعية و كافة العوامل السياقية.

و فعلا، تراوحت الترجمات بين التفسير و التأويل و الحرفية و لعبت ديانة المترجمين و درجة إتقانها للغتين المترجم منها و إليها و معرفتهما بنظاميهما اللغويين دورا محوريا في فهمهما للعناصر اللغوية و السياقية و تأويلهما لها و إدراكهما للقيم الإنجازية و الوظائف التواصلية

المتعلقة بالحجاج في الخطابات، و هذا ما قد تحكم في طبيعة الاستراتيجيات الترجمية و الحجاجية التي تبنيها في ترجمتهما للخطاب القرآني المضاد إلى الفرنسية.

و أسفرت دراستي عن جملة من النتائج التي من شأنها توضيح ملامح الحجاج في الخطاب القرآني المضاد خاصة و في الخطاب القرآني عامة، و إعانة المترجمين على فهم خصوصياته و استيعاب مقاصده لترجمته على الوجه المطلوب و فتح مجال البحث لدراسة العديد من المواضيع المهمة المتعلقة به و التي قد تلهم الباحثين في ميدان الترجمة و اللسانيات؛ ألخص أهمها فيما يلي :

1- لا تكتسب الأفعال الزمنية في الخطاب القرآني دلالاتها من بنيتها الصرفية فحسب و إنما أيضا من السياقات التي وردت فيها و من دورها في عملية الحجاج؛ إذ غالبا ما تختفي خلف تحولها إلى الماضي أو إلى المستقبل العديد من المعاني البلاغية و الدلالات الحجاجية وهذا ما يمكن فهمه و استنتاجه بالاعتماد على القرائن اللفظية و المعنوية. فاللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات بدقتها الفائقة في التعبير عن الزمن بكل تفاصيله و حيثياته تماشيا مع الظروف المصاحبة و المشكلة للوضعيات التواصلية للخطابات و هذا ما ينبغي الإحاطة به و مراعاته في عملية ترجمة الحجاج.

2- يسعى الخطاب القرآني المضاد إلى تحقيق أبعاد حجاجية استناد على سلطة المنكلم "الله" و تعامله الخاص مع اللغة، و استثماره الأمثل لمواضيع الحجاج و أدلته، تماشيا في الوقت نفسه مع مختلف سياقات التلقي اللامحدودة و كفاءات المخاطبين و طبيعتهم في كل زمان و مكان لكونه يصبو إلى إحداث التأثير بالتأسيس لبناء حجاجي دائم و شامل و متنوع في كلامه. و منه مهما بلغت الترجمة من الصرامة و توخي الحذر و الأمانة فإنه يستحيل على المترجم استيعاب هذه

الدقة اللامتناهية و التعبير عن توظيفها المميز للغة للتأثير في المتلقين المنكرين و إقناعهم على اختلاف أمكنتهم و أزمنتهم و انتماءاتهم و مشاربهم.

3- يرمي الحجاج في الخطاب القرآني المضاد في معظم عملياته و بناءاته إلى تحقيق الاستمالة و التأثير العملي في سلوك المتلقين المنكرين ، أي أن نجاعة الفعل الترجمي يعتمد بدرجة كبيرة على مدى قدرة المترجم على اقتحام عالمهم و تغييره .

4- هذا و تسهم الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني المضاد بأدوار مختلفة في بناء و توجيه عمليات الحجاج فيه حسب أغراض استعماله و سياقات تلقيه و يستمد الحجاج التداولي خصوصيته من استخدام الحجج و الأدوات اللغوية التي تتميز بجملة من السمات التي لا بد من مراعاتها لترجمة الحجاج القرآني؛ أهمها أنها "سياقية" أي أن نفس العبارة اللغوية يمكن أن تكون حجة أو نتيجة بمجرد اختلاف سياق استعمالها؛ إضافة لكونها "نسبية" تتفاوت في قواها و منه فإنه من غير المنطقي ترجمة حجة قوية بحجة ضعيفة أو العكس.

5- و باعتبار مرونة الحجاج اللغوي و قابلية الحجج للإبطال نتيجة لضعف قوتها أو تناقضها أو تعارضها، ينبغي على المترجم مراعاة الدقة في اختيار الحجج الأكثر ملاءمة و توظيفها تبعاً لأهداف المتكلم من الخطاب لضمان التأثير في المتلقين بالشكل المخطط له .

6- تحتل الروابط و العوامل الحجاجية أهمية بالغة في أي خطاب و تزيد أهميتها بشكل خاص في الخطاب القرآني المضاد لما تؤديه من دور فعال و بارز في العملية الحجاجية فضلاً عن أثرها في تماسك الحجج و ترتيبها و تحقيق الترابط و الانسجام.

7- تتجسد أهمية استثمار مخرجات الحجاج التداولي من خلال ما يمكن أن تمد به المترجم للحجاج القرآني من آليات و أدوات تعينه على فهمه و استيعاب مكوناته و الإيفاء بأغراضه، و ذلك لما لها من فاعلية في استنطاق النصوص اللغوية و إسعاف العملية الترجمانية، نظرا لقدرتها على رصد ملامح الحجاج في الخطاب القرآني المضاد.

8- يستغرق حجاج المشركين في الخطاب القرآني المضاد جميع مستويات اللغة بما فيها الجانب الإيقاعي و الصوتي، لما لهما من أثر في الحجاج و ما يمكن أن يحدثه من انفعال في أنفسهم و استمالة لها و إثارة لمشاعرهم حتى بالنسبة لمن لا يدرك مضامينه و مكوناته الدلالية، و هنا تقف الترجمة عاجزة لأن الإعجاز كامن في اللغة ذاتها مما يصعب تحقيق التكافؤ التداولي مهما استغرق الأمر من محاولات و تعديلات و تحويرات.

9- يعد الخطاب القرآني خطابا معجزا في أسلوبه و بيانه، و هو خطاب صالح لكل زمان و مكان، و المزوجة بين المناهج الحديثة و الآراء اللغوية التراثية قد يسهم أيما إسهام في إضافة إضاءات جديدة و سديدة لتحليل الحجاج القرآني و فهم معانيه و ترجمتها .

10- يتبين لنا أنه للتراكيب الخبرية في الخطاب القرآني المضاد قوى إنجازية صريحة تدل عليها بنية اللغة و وحداتها الظاهرة و أخرى ضمنية و مستلزمة مقاميا ينبغي على مترجم الحجاج القرآني أن يوليها الأهمية التامة من أجل نقل دلالاتها و مقاصدها إلى اللغة الهدف بأمانة، خصوصا عن طريق تبني استراتيجيات تسير عملية التخاطب كفيلة بإنجاح التواصل بين النص و المتلقين للترجمة و تحقيق التفاعل المأمول .

11- يحتل المتلقين على وجه العموم و المتلقين المنكرين على وجه الخصوص حضورا مكثفا في الخطاب القرآني المضاد و يشكلون بؤرته و مركزيته، كما يخضع هذا الأخير لأغلب

الإجراءات الآلية لنظرية التلقي رغم أسبقية المسافة الزمنية الفاصلة بين ظهورها و نزول القرآن الكريم؛ و يشتمل الخطاب القرآني على العديد من الفجوات و الفراغات التي تتيح لمتلقيه في اللغة الأصل و للمترجمين و للمتلقين في اللغة الهدف فرصة ملئها و تدبرها من خلال النفاذ إلى أعماق دلالاته.

12- إن المنحى الحجاجي و التفاعلي الذي يميز الخطاب القرآني المضاد له سمات تواصلية تتمحور حول المتلقين ، لتشركهم بفاعلية في فهم استراتيجياته بواسطة القراءة و التأويل و التفسير، و تدعوهم إلى أن يكونوا طرفا في المفاعلة الكلامية التي يعقدها معهم و لأجلهم، بدعوتهم في الكثير من سياقاته و آياته إلى التفكير و التدبر و إعمال العقل توجيها و إرشادا و نصرة للمتلقين المستجيبين و محاجة و إنذارا و توبيخا وتوعدا للمتلقين المنكرين.

13- تتوضح معالم العلاقة الوثيقة بين اللسانيات التداولية و ترجمة الحجاج؛ من خلال الاهتمام بالبعد الحجاجي و التداولي للملفوظات أثناء العملية الترجمة، مما يسمح بالتعبير عن قيمها الإنجازية التأثيرية و التفاعلية بين أطراف العملية التواصلية.

14- يسمح تحقيق التكافؤ التداولي -استنادا على مبدأ الملاءمة- ببناء علاقة تواصلية وتفاعلية بين النص المترجم والمتلقي الهدف؛ فاللغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالخلفية الثقافية و الاجتماعية والنفسية لمستعملها.

15- تشكل بعض الوحدات اللغوية مفاتيح يستدل بها على الافتراضات المسبقة، و ترجمتها الدقيقة تضمن النقل السليم لتلك الافتراضات التي تنطوي عليها، و بالتالي ينتج عنه نقل أمين للمقاصد الضمنية؛ فإنتاج ترجمة تتضمن نفس الافتراض في اللغة الهدف يعني أن المترجم حافظ على القصد المضمرة الذي يعد إحدى أهم تقنيات الحجاج.

16- تستوجب ترجمة الحجاج أن يحرص المترجم على الحفاظ على مقاصد الخطاب الأصلي و توضيحها استنادا على سياق التلفظ؛ و مع ذلك فإنه قد ينجح تارة و يخفق تارة و ذلك عائد بالأخص إلى تباين الثقافات و اختلاف التراكيب اللغوية و الأساليب الحجاجية و التأثيرية التي تختلف من لغة إلى أخرى.

و أخيرا، يمكن لإدراك مقصدية الحجاج أن تكون الفاصل في مسألة نجاح العملية الترجمية والحجاجية في اللغة الهدف، فاستيعاب نفس المقاصد الحجاجية عند المتلقي الهدف يعتبر من أهم أهداف ترجمة الحجاج. و يتطلب هذا الأمر تقديم نص ملائم بتعديل التباين التداولي و تحقيق التكافؤ بين الحجاج في الخطاب القرآني المضاد الأصلي و متلقيه و الحجاج في الخطاب القرآني المضاد الهدف و متلقيه و بالتالي تحقيق نفس القيم الإنجازية الضمنية و التأثيرية و التفاعلية التي يرمي إليها الحجاج القرآني.

## ملخص البحث بالعربية

سعت في بحثي الموسوم بـ "ترجمة الخطاب القرآني المضاد في ضوء النظريات التواصلية للترجمة و النظريات المعاصرة لتحليل الخطاب إلى إبراز أهمية استثمار النظريات المعاصرة لتحليل الخطاب و نظرية الأفعال الكلامية و الحجاجية في ترجمة الحجاج في الخطاب القرآني المضاد (الخطاب ضد الله و خطاب الرد القرآني عليه، الخطاب ضد النبي ﷺ و خطاب الرد القرآني عليه، الخطاب ضد القرآن الكريم و خطاب الرد القرآني عليه، الخطاب ضد الآخرة و خطاب الرد القرآني عليه و الخطاب ضد المؤمنين و خطاب الرد القرآني عليه).

بناء على هذا، طرحت جملة من التساؤلات حول طبيعة الاستراتيجيات التي انتهجها المترجمون و العوامل اللغوية و الخارجية التي تتحكم في مجريات الفعل الترجمي، خاصة تلك المتعلقة بطبيعة المتلقين و سياق التلقي؛ و تأثير اختياراتهم على ترجمة الحجاج في الخطاب القرآني المضاد و ما تضمنه من قيم إنجازية صريحة و ضمنية و تأثيرية. و حاولت الإجابة عنها بداية بتحليل الملامح الحجاج فيه و من ثم بواسطة تحليل و مقارنة ترجمتين للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية قام بها كل المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير و المترجمة المصرية زينب عبد العزيز.

و توصلت في نهاية البحث إلى أن نجاح ترجمة الحجاج، و النقل السليم للقيم التواصلية التي يتضمنها، لا يعتمد على إتقان المترجمين للغتين المصدر و الهدف بقدر ما يعتمد على الإلمام بتقنيات الحجاج و أدواته التي تميز استعمالات كل منهما؛ و ذلك لأجل ضمان التكافؤ التداولي الذي يسمح بالتعبير عن المقاصد الحجاجية للخطاب القرآني المضاد و تحقيق التفاعل التواصلية المرجو مع متلقي الترجمة.

**الكلمات المفتاح:** الترجمة؛ الخطاب القرآني المضاد؛ الحجاج؛ تحليل الخطاب؛ التداولية؛ التلقي.

## ملخص البحث بالفرنسية

## **Résumé:**

Notre travail de recherche intitulé « La traduction du contre-discours coranique à la lumière de la pragmatique et de l'esthétique de la réception. » vise principalement à mettre en évidence l'importance du recours à la linguistique pragmatique et l'apport des actes de langage et de l'argumentation dans l'analyse ainsi que la traduction du contre-discours coranique (les discours contre Allah, le Prophète, le Coran, l'eschatologie les Croyants et leurs réfutations).

Pour cela, nous nous sommes interrogés sur la nature des stratégies adoptées par les traducteurs, l'ensemble des facteurs linguistiques et extralinguistiques qui conditionnent l'acte de traduction notamment ceux liés à la nature des récepteurs et aux contextes de la réception, ainsi que sur les effets de leurs choix sur la traduction des aspects argumentatifs et les forces locutoires, illocutoires et perlocutoires compris dans le contre-discours coranique. Cette étude vise à trouver des éléments de réponse d'abord par le biais d'une analyse des techniques et outils de l'argumentation, et procéder par la suite à une analyse comparative de deux traductions françaises du Coran réalisées par l'orientaliste français Régis Blachère et la traductrice égyptienne Zeinab Abdelaziz.

Au terme de notre recherche, nous sommes parvenus au fait que le succès du processus traductif de l'argumentation et la pertinence du transfert des forces y afférentes dépendent, dans une grande partie, sur la maîtrise non seulement des langues source et cible mais surtout des techniques et outils d'argumentation caractérisant les usages de chacune d'entre elles, et ce, afin d'assurer l'équivalence pragmatique susceptible d'exprimer les intentions argumentatives du contre-discours coranique et de réaliser l'interaction communicationnelle souhaitée au profit des récepteurs de la traduction.

**Mots-Clés :** Traduction ; contre-discours coranique ; argumentation ; analyse de discours ; pragmatique ; réception.

## ملخص البحث بالإنجليزية

**Abstract:**

Our research entitled " The translation of the Quranic counter-discourse in the light of communication theories and modern theories of discourse analysis -Comparative analysis of two translations of the Quran into French-" aims mainly to shed light on the importance of using discourse analysis modern theories, the contribution of speech acts and argumentation in the process of analysis, as well as the translation of Qur'anic counter-speech (the speeches against Allah, Prophet, Quran, Eschatology, Believers and theirs refutations).

Thus, we had enquiries about the nature of strategies adopted by translators, the set of linguistic and extra-linguistic factors that determine the act of translation, particularly those linked to the receivers nature and the reception contexts, as well as the impact of translators choices on the translation of the argumentative aspects and locutionary, illocutionary and perlocutionary forces included in the Qur'anic counter-discourse. We aim through this study to answer the enquiries above, firstly through an analysis of the techniques and tools of argumentation, then through a comparative analysis of two French translations of the Quran realized by the French orientalist Régis Blachère and the Egyptian translator Zeinab Abdelaziz.

At the end of this research, we conclude that the accomplishment of argumentation translation process and the relevance of transferring the previously mentioned forces depend, at a large extent, on the mastery of, not only the source and target languages, but above all the techniques and tools of argumentation characterizing the uses of each of them, in order to ensure the pragmatic equivalence capable of expressing argumentative intentions of the Quranic counter-discourse and achieving the desired communicative interaction among the translation receivers.

**Keywords:** Translation; Qur'anic conter-speech; argumentation; discourse analysis; pragmatics; reception.

الملاحق

الملحق رقم 1: مسرد المصطلحات عربي-فرنسي

Discours	الخطاب
Texte	النص
Phrase	المفوض
Énoncé	الجملة
Contexte	السياق
Contexte énonciatif	سياق التلفظ
Contexte situationnel	سياق الحال
Discours coranique	الخطاب القرآني
Contre-discours coranique	الخطاب القرآني المضاد
Le discours contre Allah	الخطاب ضد الله
Le discours contre le Prophète	الخطاب ضد النبي ﷺ
Le discours contre le Coran	الخطاب ضد القرآن الكريم
Le discours contre l'Eschatologie	الخطاب ضد علم الآخرة
Le discours contre les	الخطاب ضد المؤمنين

<b>Croyants</b>	
<b>La réfutation coranique</b>	خطاب الرد القرآني
<b>La polémique coranique</b>	الجدل القرآني
<b>Les stratégies discursives</b>	الاستراتيجيات الخطابية
<b>L'argumentation</b>	الحجاج
<b>L'argumentation coranique</b>	الحجاج القرآني
<b>Les stratégies argumentatives</b>	الاستراتيجيات الحجاجية
<b>Les actes du langage</b>	الأفعال الكلامية
<b>Les actes de l'argumentation</b>	الأفعال الحجاجية
<b>La pragmatique</b>	التداولية
<b>Les représentatifs</b>	التمثليات
<b>Les comportatifs</b>	السلوكيات
<b>Les commissifs</b>	الإلزاميات
<b>Les directifs</b>	التوجيهيات
<b>Les expressifs</b>	التعبيريات

<b>Les verdictifs</b>	الحكميات
<b>Les promissifs</b>	أفعال الوعد
<b>Actes de langage directs</b>	أفعال الكلام المباشرة
<b>Actes de langage indirects</b>	أفعال الكلام غير المباشرة
<b>Force locutoire</b>	قوة التلفظ
<b>Force illocutoire</b>	قوة إنجازية
<b>Force perlocutoire</b>	قوة تأثيرية
<b>Dimension pragmatique</b>	البعد التداولي
<b>Intention discursive</b>	المقصد الخطابي
<b>Intention informative</b>	المقصد الإخباري
<b>Intention communicative</b>	المقصد التواصلية
<b>Compétence linguistique</b>	الكفاءة اللغوية
<b>Compétence interprétative</b>	الكفاءة التأويلية
<b>Compétence pragmatique</b>	الكفاءة التداولية
<b>Équivalence formelle</b>	التكافؤ الشكلي
<b>Équivalence</b>	التكافؤ الوظيفي

<b>fonctionnelle</b>	
<b>Équivalence sémantique</b>	التكافؤ الدلالي
<b>Équivalence pragmatique</b>	التكافؤ التداولي
<b>Théorie de pertinence</b>	نظرية الملاءمة
<b>Principe de coopération</b>	مبدأ التعاون
<b>Maxime</b>	قاعدة
<b>Maxime de pertinence</b>	قاعدة الملاءمة
<b>Maxime de qualité</b>	قاعدة النوع
<b>Maxime de quantité</b>	قاعدة الكم
<b>Maxime de manière</b>	قاعدة الكيف
<b>Implicature</b>	الاستلزام
<b>Implicature conventionnelle</b>	الاستلزام العرفي
<b>Implicature discursive</b>	الاستلزام التخاطبي
<b>Deixis</b>	الإشارات
<b>Présuppositions</b>	الافتراضات المسبقة
<b>Sens implicite</b>	المعنى الضمني
<b>Sens explicite</b>	المعنى الظاهر

<b>Échelle argumentative</b>	السلم الحجاجي
<b>Connecteurs argumentatifs</b>	الروابط الحجاجية
<b>Opérateurs argumentatifs</b>	العوامل الحجاجية
<b>Fonction informative</b>	الوظيفة الإخبارية
<b>Fonction communicative</b>	الوظيفة التواصلية
<b>Fonction argumentative</b>	الوظيفة الحجاجية
<b>Traducteur</b>	المترجم
<b>Traducteur coranique</b>	مترجم القرآن الكريم
<b>Traduction</b>	الترجمة
<b>Traduction coranique</b>	الترجمة القرآنية
<b>Stratégies de traduction</b>	استراتيجيات الترجمة
<b>Compréhension</b>	الفهم
<b>Interprétation</b>	التفسير
<b>Réception</b>	التلقي
<b>L'esthétique de la réception</b>	نظرية جمالية الاستقبال
<b>Récepteur coranique</b>	المتلقي القرآني

<b>Récepteur opposant</b>	المتلقي المنكر
<b>Récepteur de la traduction</b>	متلقي الترجمة

## قائمة المصادر و المراجع

## المصادر و المراجع باللغة العربية:

المصادر:

المدونة:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

\_ABDELAZIZ, Z. (2014). Le Qur''ān Traduction du sens de ses Versets.

Egypte: Université Al-Azhar.

\_BLACHÈRE, R. (1966). Le Coran. Paris: Maisonneuve & Larose.

المراجع:

\_ابن حزم. (1983). الإحكام في أصول الأحكام. بيروت: منشورات دار الآفاق.

\_ابن عيسى، ا. (2000). أساليب الإقناع في القرآن الكريم. الدار البيضاء.

\_ابن منظور. لسان العرب تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد

الشاذلي. القاهرة-مصر: دار المعارف.

\_ابن منظور، م. لسان العرب. بيروت: دار صادر.

\_ابن هشام، ج. (1985). مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك و محمد علي حمد الله. بيروت، لبنان: دار الفكر.

\_أبو زهرة، م. (2010). تاريخ الجدل. بيروت-لبنان: دار الفكر العربي.

\_أبو زيد، ن. (1992). إشكاليات القراءة و آليات التأويل. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

\_أبو زيد، ن. (1993). مفهوم النص -دراسة في علوم القرآن-. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

\_أبو زيد، ن. (1995). النص - السلطة-الحقيقة: الفكر الديني بين إرادة المعرفة و إرادة الهيمنة. بيروت: المركز الثقافي العربي.

\_أحمد، ع. (2000). الترجمة و العولمة. مجلة البحرين الثقافية.

\_أركون، م. (1996). الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

\_أركون، م. (2001). القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة و تعليق: هشام صالح . بيروت، لبنان: الطليعة للطباعة و النشر.

\_أعراب، ا. (2010). الحجاج مفهومه و مجالاته. إربد-الأردن: عالم الكتاب الحديث.

\_الأصفهاني، ا. (2002). مفردات غريب القرآن تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دمشق-سوريا: دار القلم.

\_الأوسي، م. (1994). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني. بيروت: دار  
الكتب العلمية.

\_الباشا، م. (1992). الكافي: معجم عربي حديث. شركة المطبوعات للتوزيع و النشر.

\_البخاري، أ. (2003). صحيح البخاري. بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

\_البستاني، ب. (2012). التداولية في البحث اللغوي و النقدي. لندن: مؤسسة السباب للطباعة و  
النشر.

\_البناء، ج. (2004). نحو قراءة جديدة للقرآن في ظل التحديات المعاصرة. مجلة رؤى.

\_التهناوي، م. (1996). كشاف الاصطلاحات و الفنون و العلوم، تحقيق رفيق العجم و علي  
دروج. لبنان: مكتبة لبنان.

\_التومي ، م. (1980). الجدل في القرآن الكريم، فعاليته في بناء العقلية الإسلامية. الجزائر:  
شركة الشهاب.

\_الجرجاني، ا. (2004). كتاب التعريفات. الإسكندرية، مصر: دار الإيمان.

\_الحباشة، ص. (2008). التداولية و الحجاج، مداخل و نصوص. دمشق، سوريا: صفحات  
للدراسة و النشر.

\_الحدادي، ا. (1999). في معنى القراءة، قراءة في تلقي النصوص. الدار البيضاء، المغرب: دار  
الثقافة للنشر و التوزيع، مطبعة النجاح الجديدة.

\_الحكيم، أ. (1989). علم الترجمة النظري. دمشق: دار طلاس.

\_الخفاجي، ا. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة (عناية القاضي و دراية الراضي). بيروت-لبنان : دار صادر.

\_الذهبي، م. (1976). التفسير و المفسرون. حدائق حلوان، مصر.

\_الراضي، ر. (2010). الحجاجيات اللسانية، مقال ضمن كتاب الحجاج؛ مفهومه و مجالاته، إعداد و تقديم: حافظ إسماعيلي علوي. إربد، الأردن: عالم الكتاب الحديث.

\_الرويلي، م، البازعي، س. (2002). دليل الناقد الأدبي. بيروت-لبنان: المركز الثقافي العربي.

\_الزركشي، ب. (2008). البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت-لبنان: دار الجيل.

\_الزركشي، م. (1994). البحر المحيط في أصول الفقه. القاهرة: دار الكتبي.

\_السبكي، ع. (1995). الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

\_السجستاني، أ. (1990). غريب القرآن (نزهة القلوب). الرغاية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

\_السعدي، ع. (2001). تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

- \_السكاكي، أ. (1987). مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- \_السيد زغلول، أ. (1999). من مناهج التفسير. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- \_السيوطي، ج. (1969). معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
- \_السيوطي، ج و المحلى، ج.. تفسير الجلالين الميسر. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- \_الشاوش، م. (2001). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص". بيروت: المؤسسة العربية للتوزيع.
- \_الصابوني، م.. التبيان في علوم القرآن. بيروت، لبنان: دار الجيل.
- \_الصبيحي، م. (2008). مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقاته. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- \_العبد، م. (2005). النص و الخطاب و الاتصال. القاهرة-مصر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- \_العبد، م. (2002). النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع. مجلة فصول(60)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- \_العثيمين، م. (2001). تفسير القرآن الكريم. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

\_العزاوي، أ. (2006). اللغة و الحجاج. الدار البيضاء: دار الأحمديّة للنشر.

\_العزاوي، أ. (2007). الخطاب و الحجاج. المغرب: الأحمديّة للنشر.

\_العمرى، م. (2002). في بلاغة الخطاب الإقناعي. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.

\_العمرى، م. (2005). البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.

\_الغزالي، م. (2005). كيف نتعامل مع القرآن. (Vol. 7) القاهرة، مصر: نهضة مصر للنشر و

الطباعة و التوزيع.

\_الفقي، ص. (2000). علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دراسة تطبيقية على السور

المكية. القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع.

\_الفيروز آبادي، م. (2005). القاموس المحيط. بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة و النشر و

التوزيع.

\_القرطاجيني، أ. (1981). منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخولة. بيروت-

لبنان: دار الغرب الإسلامي.

\_الكتّابي، م. (1992). جدل العقل و النقل في مناهج التفكير الإسلامي. الدار البيضاء: دار

الثقافة للنشر و التوزيع.

\_المبخوت ش. (1998). نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد

الغربية من أرسطو إلى اليوم. تونس: منشورات كلية الآداب.

- \_المسدي، ع. (1982). الأسلوبية و الأسلوب. طرابلس: الدار العربية للكتاب.
- \_الناجح، ع. (2007). المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري. مجلة الخطاب.
- \_الندوي، ا. (2002). مقالات و بحوث حول الاستشراق و المستشرقين. دمشق: دار ابن كثير.
- \_النيفر، أ. (2000). الإنسان و القرآن وجهها لوجه (التفاسير القرآنية المعاصرة -قراءة في المنهج). دمشق: دار الفكر.
- \_البيافي، ن. (2000). الشعر و التلقي، دراسات في الرؤى و المكونات. دمشق، سوريا: الأوائل للنشر و التوزيع و الخدمات الطباعية.
- \_أورتادو ألبير، أ. (2007). الترجمة و نظرياتها (مدخل إلى علم الترجمة)، ترجمة: علي إبراهيم المنوفي. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- \_أوركيوني، ك. (2008). المضمرة، ترجمة: ريتا خاطر. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- \_أيزر، ف. (1986). فعل القراءة، نظرية الوقع الجمالي، ترجمة: أحمد المدني. مجلة آفاق.
- \_إيكو، أ. (1996). القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطوان أبو زيد. الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- \_إيكو، أ. (2000). التأويل بين السيميائيات و التفكيكية، ترجمة و تقديم: سعيد بنكراد. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

\_باختين، م. (1986). الماركسية و فلسفة اللغة. (م. البكرى , & ي. العيد (Trads.), الدار البيضاء-المغرب: دار توبقال للنشر.

\_بارت، ر. (1994). نقد و حقيقة. (م. عياشي (Trad.), الرباط: مركز الإنماء الحضاري.

\_باسنت، س. (2012). دراسات الترجمة، ترجمة فؤاد عبد المطلب. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

\_بحيري، س. (1997). علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان.

\_بلخير، ع. (2003). تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. الجزائر: منشورات الاختلاف.

\_بلعلي، آ. (2002). تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة. الجزائر: منشورات الاختلاف.

\_بلعلي، آ. (2003). الإقناع المنهج الأمثل للتواصل و الحوار، نماذج من القرآن و الحديث. مجلة التراث العربي.

\_بلمليح، إ. (1955). المختارات الشعرية و أجهزة تلقيها عند العرب. الرباط، المغرب: منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية.

\_بلمليح، إ. (2000). القراءة التفاعلية، دراسات لنصوص شعرية حديثة. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.

بن خراف، ا. (2010). الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة و السياسة لابن قتيبة،  
دراسة تداولية. باتنة.

بن ظافر الشهري، ع. (2004). استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية- . بيروت-لبنان:  
دار الكتاب الجديدة المتحدة.

بن عاشور ، م. (تونس). تفسير التحرير و التنوير . 1976: الدار التونسية للنشر .

بن عبد العالي، ع. (2001). في الترجمة. بيروت: دار الطليعة.

بن عبد الكريم، ج. (2009). إشكالات النص: دراسة لسانية نصية. بيروت: المركز الثقافي  
العربي.

بن عروس، م. (2006). وجهة الخطاب في (سورة المؤمنون). (ج. ا. آدابها (Éd.) مجلة اللغة  
و الأدب.

بن عيسى، ع. (2005). الاتصال اللغوي بين الدقة و الغموض. مجلة اللغة و الاتصال.

بن قوية، س. (2019). دراسة نقدية لترجمة جاك بيرك للقرن الكريم، الدكتوراة: زينب عبد العزيز  
أنموذجا. (ك. ا. -ج. 1 (Éd.) حوليات جامعة الجزائر.

بن كثير، أ. (2000). تفسير القرآن العظيم. بيروت، لبنان: دار بن حزم.

بوجادي، خ. (2009). في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم).  
بيت الحكمة.

\_بوزغادة، م. (2017). اللسانيات: من الجملة إلى النص -مسوغات الانتقال و مسارات التطور. التعليم، 128-135.

\_بوقرة، ن. (2006). نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية -قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية. مجلة اللغة و الأدب، 169-203.

\_بوقرة، ن. (2017). أضواء على نظرية تحليل الخطاب في الفكر اللساني الحديث. مجلة العلوم الإنسانية.

\_بوقرومة، ح. (2008). دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم؛ مقارنة تداولية. مجلة الخطاب.

\_تومي، ع. (2019). الاستلزام الحوارية في الخطاب القرآني -مقارنة تداولية في آيات من سورة البقرة-. (ا. ا. الجزائر، Éd.)، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، 43-62.

\_ثابتي، ي. (2006). الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي. مجلة الخطاب(2).

\_جعيط، ه. (1999). الوحي و القرآن و النبوة. بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة و النشر.

\_جلال الدين القزويني، أ. (s.d.). الإيضاح في علوم البلاغة. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

\_حافظ، ص. (1986). الشعرية و التحدي، إشكالية المنهج. (م. ا. العربي، Éd.)، مجلة الفكر العربي المعاصر.

\_حسن عباس، ف. (1997). البلاغة، فنونها و أفنانها، علم المعاني. إربد، الأردن: دار الفرقان.

\_حسن محمد، ع. (1999). نظرية التوصيل و قراءة النص الأدبي. القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

\_حسن، م. (2006). الصورة و الإقناع، دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع. بيروت- لبنان: دار الآفاق العربية.

\_حسيني، م. (2021). الحجاج في الخطاب القرآني الموجه لأهل الكتاب، آيات من سورة آل عمران أنموذجاً. (م. ف. التطوير (Ed.)، مجلة ريحان للنشر العلمي.

\_حليم، ر. (2007). حدود النص و الخطاب بين الوضوح و الاضطراب. الأثر-مجلة الآداب و اللغات، 92-100.

\_حنفي، ع. (1997). أسلوب المحاوره في القرآن الكريم. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

\_خلف الله، م. (1984). مفاهيم قرآنية. عالم المعرفة.

\_دايك، ف. (2000). النص و السياق، استقصاء في الخطاب الدلالي و التداولي، ترجمة: عبد القادر قنفي. إفريقيا الشرق.

\_دايك، ف. (2004). النص بنى و وظائف، مدخل أولي إلى علم النص ترجمة: منذر عياشي، ضمن كتابه: العلاماتية و علم النص . بيروت: المركز الثقافي العربي.

\_دحمان، ح. (2013). تجليات الحجاج في الخطاب القرآني. باتنة-الجزائر.

\_دلاش، ا.. مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتي . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

\_ديكرو، أ.و سشتايفر، ج. (2007). القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. (م. عياشي ، Trad.)الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

\_راغب، ن. (2003). موسوعة النظريات الأدبية. الشركة العالمية للنشر، لونجمان.

\_روبول، آ و موشلار، ج. (2003). التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغنوس و محمد الشيباني. بيروت: دار الطليعة.

\_ريكور، ب. (2003). نظرية التأويل، الخطاب و فائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

\_ريكور، ب. (2008). عن الترجمة، ترجمة: حسين خمري. الجزائر : منشورات الاختلاف.

\_زرزور، ع. (1980). القرآن و نصوصه. دمشق، سوريا: مطبعة خالد بن الوليد.

\_شرفي، ع. (2007). من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة. الجزائر: منشورات الاختلاف.

\_شيخ الشباب، ع. (2002). التأويل و لغة الترجمة. دمشق، سوريا: مطبعة العجلوني.

\_صولة ، ع. (1998). الحجاج، أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج -

الخطابة الجديدة لبييرلمان و تيتيكاه- ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من

أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود. تونس: كلية الآداب منوبة.

\_صولة، ع. (2007). الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. بيروت: دار

الفارابي

\_طروس، م. (2005). النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية.  
الدار البيضاء: دار الناشر للثقافة مطبعة الناح الجديدة.

\_طه، ع. (1998). اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي. الدار البيضاء - المغرب: المركز الثقافي  
العربي.

\_عبد الرحمان، ط. (2007). في أصول الحوار و تجديد علم الكلام. بيروت: المركز الثقافي  
العربي.

\_عبد العزيز، م. الترجمة و تحليل الخطاب (نحو مقارنة تداولية لفعل الترجمة). مجلة الزهراء.

\_عبد العزيز، أ. (1988). دراسات في علوم القرآن. باتنة، الجزائر: دار الشهاب للطباعة و  
النشر.

\_عبد الغفار، ا. (1998). ظاهرة التأويل و صلتها باللغة. الإسكندرية، مصر: المعرفة الجامعية.

\_عبد الله، إ. (1993). إشكالية المصطلح النقدي: الخطاب و النص. مجلة آفاق عربية.

\_عبد المجيد، ج. (1998). البديع بين البلاغة و اللسانيات النصية. القاهرة، مصر: الهيئة  
المصرية العامة للكتاب.

\_عبد المنعم أبو الفضل، م. (1996). نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين  
المقدمات و المقومات. القاهرة-مصر: مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

\_عبد الواحد، م. (1996). قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة و تراثنا  
النقدي، دراسة مقارنة. القاهرة: دار الفكر العربي.

- \_عداوي، ح. (2020). ريجيس بلاشير و منهجه في ترجمة معاني القرآن الكريم. التعليمية.
- \_عشراتي، س. (1998). الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- \_عشير، ع. (2007). عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحاج. المغرب: إفريقيا الشرق.
- \_عناني، م. (1996). المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة و معجم إنجليزي-عربي. القاهرة: الشركة العالمية للنشر-لونجمان.
- \_عناني، م. (2000). فن الترجمة. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان).
- \_عودة خضر، ن. (1997). الأصول المعرفية لنظرية التلقي. عمان، الأردن: دار الشروق للنشر و التوزيع.
- \_عوض، ي. (1988). علم النص و نظرية الترجمة. مكة المكرمة: دار الثقة.
- \_عياشي، م. (1996). اللسانيات و الدلالة. حلب-سوريا: مركز النماء الحضاري.
- \_غدامير، ه. (2002). فلسفة التأويل، ترجمة: شوقي الزين. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- \_غالبا، ح. (2001). نظرية العلم في القرآن، و مدخل جديد للتفسير. بيروت، لبنان: دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع.
- \_فضل الله، م. (1996). الحوار في القرآن، أساليبه و معانيه. الجزائر: دار المنصوري للنشر.

\_فضل، ص. (1996). بلاغة الخطاب و علم النص. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان.

\_فوكو، م. (1987). حفيات المعرفة. ترجمة: يفوت، س بيروت-لبنان: المركز الثقافي العربي.

\_قاسم، س. (2002). القارئ و النص، العلامة و الدلالة. مدينة أكتوبر: الشركة الدولية للطباعة.

\_قطب، س. (2003). في ظلال القرآن. (éd. 32) القاهرة: دار الشروق.

\_كومييساروف، ف. (2010). علم الترجمة المعاصر، ترجمة عماد محمود حسن طحينة. هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث.

\_كي أوغدن، ش. و أرمسترونغ ريتشاردز، إ. معنى المعنى -دراسة لأثر اللغة في الفكر و لعلم الرمزية، ترجمة: بيان أحمد حازم يحيى. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

\_لالاند، أ. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية. بيروت: منشورات عويدات.

\_لحمداني، ح. (2000). بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي للطباعة و النشر و التوزيع.

\_لحمداني، ح. (2003). القراءة و توليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

\_مجمع اللغة العربية. (1960). المعجم الوسيط. القاهرة: مطبعة مصر.

\_محمد الأمين الطلبة، م. (2008). الحجاج في البلاغة المعاصرة. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

\_محمد الباقلاني، أ. (1990). إعجاز القرآن، تحقيق محمد شريف سكر. بيروت-لبنان: دار الإحياء.

\_محمد الجودي، ل. (2014). جمالية الخطاب في النص القرآني . القاهرة: مؤسسة المختار للنشر و التوزيع.

\_محمد عطية، ف. (1986). علم الترجمة مدخل لغوي. القاهرة: دار الثقافة الجديدة.

\_مخلف، ع. (1985). الاستفادة من الأسنوية في تفسير القرآن الكريم. ملتقى دولي حول التحليل اللساني . الجزائر: جامعة عنابة.

\_مذكور، إ. (1983). المعجم الفلسفي. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

\_مفتاح، م. (1986). تحليل الخطاب الشعري -استراتيجية التناص-. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

\_مفتاح، م. (1994). التلقي و التأويل -مقاربة نسقية-. بيروت-لبنان: المركز الثقافي العربي.

\_موان، ج. (1994). المسائل النظرية للترجمة، ترجمة: لطيف زيتوني. لبنان: دار المنتخب العربي.

\_موان، ج. (2000). اللسانيات و الترجمة، ترجمة: حسين بن رزوق. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

\_نايدا، ي. (2009). دور السياق في الترجمة، ترجمة محي الدين حميدي. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

\_نيوبرت، أ.، و شريف، غ. (2008). الترجمة و علوم النص، ترجمة: محي الدين حميدي. الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.

\_هولب، ر. (2000). نظرية التلقي، مقدم نقدية، ترجمة: عز الدين إسماعيل. القاهرة، مصر: المكتبة الأكاديمية.

\_ولد محمد الأمين، م. (2000). مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة. مجلة عالم الفكر.

\_يقطين، س. (1989). انفتاح النص الروائي: النص-السياق. بيروت: المركز الثقافي العربي.

\_بوزناتشة، ن. (2010). الحجاج في الدرس اللغوي الغربي. مجلة العلوم الإنسانية.

\_يوئيل، ع. (1997). المعنى و الترجمة. بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.

### **المراجع باللغات الأجنبية:**

\_Dictionary of contemprrary English. (1989). Longman.

\_ABULHASSAN HASSA, B.-E. (2011). Literary translation-Aspects of Pragmatics meaning. UK: Cambridge Scholars Publishing.

\_ADAM, J.-M. (1999). Linguistique textuelle/ Des genres de discours aux textes. Paris: Nathan.

\_ASMILI, P., & WINTERSTEIN, G. (2012). Les déclencheurs de présupposition additifs. Revue Language.

\_AUSTIN, J. (1970). Quand dire c'est faire, traduction Gilles Lane. Paris: Editions du Seuil.

\_AUSTIN, J., & DAVID, L. (1966). Argumentation and Debate. Widworth publishing.

\_AZAEIZ, M. (2015). Le contre-discours coranique (Vol. 30). Berlin, Boston: De Gruyter.

\_BELLENGER, L. (1992). L'argumentation; Principes, Méthodes. Paris: ESF.

\_BEN TAIBI, M. (2009). Quelques façons de lire le texte coranique. Limoges: Editions Lambert-Lucas.

\_BLACHÈRE, R. (1966). Le Coran. Paris: Maisonneuve & Larose.

COULTHARD, M. (1985). An Introduction to Discourse Analysis. London & Newyork: Longman.

\_DELISLE, J. (1980). L'analyse du discours comme méthode de traduction. Initiation à la traduction française de textes pragmatiques anglais. Théorie et pratique (préf. de Danica Selescovitch). Ottawa: Université d'Ottawa.

\_DUCROT, O. (1983). Opérateurs argumentatifs et visée argumentative. Cahier de Linguistique.

\_DUCROT, O., & ANSCOMBRE, J. (1983). L'argumentation dans la langue. Bruxelles: Mardaga.

\_DUCROT, O., & TODOROV, O. (1972). Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Paris: Seuil.

\_GENETTE, G. (1972). Figures III. Paris: Seuil.

\_GRICE, P. (1975). Logic and conversatio, In: Syntax and Semantics. New York: Academic Press.

\_HATIM, B., & Mason, I. (1990). Discourse and the translator. UK: Longman.

\_JAUSS, H. (1985). Pour une esthétique de la réception. Bruxelles: Margada.

\_LAROUSSI, G. (1977). Narativité et production de sens dans le texte coranique: le récit de Joseph. Paris: EHRSS.

\_Le Grand Robert. (1989). Dictionnaire de la langue française. Paris: 1989.

\_MALMKJAER, K. (1998). Cooperation and literary translation. The Pragmatics of Translation Multilingual Matters.

\_MOECHLER, J. (1985). Argumentation et conversation, Eléments pour une analyse pragmatique du discours. Paris: Hatier.

\_MOECHLER, J. (2016). Présupposition et implicature: ou se passe la frontière?

\_PETRESCU, O. (2012). De l'argumentation et des stratégies discursives et de traduction. Synergies Roumanie, 155–168.

\_REBOUL, A., & MOESHLER, J. (1998). Pragmatique du discours. De l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours . Armand.

\_SEARLE, R. (1996). Les Actes de langage, Essai de philosophie du langage. Paris: Hermann.

\_SPERBER, D., & WILSON, D. (1995). Relevance– Communication and cognition. UK: Blackwell Oxford.

\_WOLFANG, I. (1985). L'acte de lecture, Théorie de l'effet esthétique.

Bruxelles: Margada.

\_YULE, G. (1996). Pragmatics. New York: Oxford University Press.

## فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

6	مقدمة
12	الفصل الأول: الخطاب القرآني المضاد و ملامح الحجاج فيه
13	تمهيد
14	1-1- مفهوم النص: .....
17	1-2- الخطاب: .....
17	1-2-1- المفهوم: .....
23	1-2-2- البنية: .....
27	1-2-3- الخطاب و النص و الجملة: .....
28	1-2-4- الخطاب و السياق: .....
29	1-3- العلاقة بين النص و الخطاب: .....
31	1-4- الخطاب القرآني: .....
35	1-5- مفاهيم عامة حول الحجاج: .....
36	1-5-1- دلالة الحجاج في المعاجم العربية: .....
37	1-5-2- دلالة الحجاج في المعاجم الأجنبية: .....
38	1-5-3- دلالة الحجاج الاصطلاحية: .....
41	1-5-4- علاقة الحجاج بمجاله المفهومي: .....
41	1-5-5- الحجاج بين الحوار و الجدل: .....

45	1-5-6-الحجاج بين البرهان و الإقناع:.....
50	1-5-7-الحجاج و الخطاب الساخر في القرآن الكريم:.....
57	1-6-ملامح الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم:.....
58	1-6-1-الحجاج و مكوناته:.....
61	1-6-2-أشكال الحجاج في الخطاب القرآني:.....
61	أ-القياس المضمر:.....
62	ب-قياس الخلف:.....
62	ج-قياس التمثيل:.....
63	د-القياس على المحال:.....
64	1-7-الخطاب القرآني المضاد:.....
65	1-7-1-الخطاب ضد الله:.....
66	1-7-2-الخطاب ضد النبي ﷺ:.....
67	1-7-3-الخطاب ضد القرآن الكريم:.....
68	1-7-4-الخطاب ضد علم الآخرة:.....
68	1-7-5-الخطاب ضد المؤمنين:.....
69	1-8-موضوعات الخطاب القرآني المضاد:.....
69	1-8-1-موضوعات الخطاب ضد الله:.....
70	أ-الذات الإلهية:.....
70	ب-أفعال المرسل (الله) حسب المشركين:.....

71	ج-أفعال المشركين ضد المرسل (الله):.....
71	1-8-2-مواضيع الخطاب ضد الرسول ﷺ:.....
72	أ-طبيعة الذات المحمدية:.....
72	ب-أفعال الرسول ﷺ حسب المشركين:.....
73	ج-أفعال المشركين ضد الرسول ﷺ:.....
73	1-8-3-موضوعات الخطاب ضد القرآن الكريم:.....
73	أ-ظاهرة الوحي القرآني:.....
74	ب-مصدر الوحي القرآني:.....
74	ج-أفعال المشركين ضد القرآن الكريم:.....
75	1-8-4-موضوعات الخطاب ضد علم الآخرة:.....
75	أ-البعث:.....
75	ب-الساعة الآخرة:.....
76	ج-الحساب:.....
76	1-8-5-موضوعات الخطاب ضد المؤمنين:.....
76	أ-المؤمنون في نظر المشركين:.....
76	ب-أفعال المشركين ضد المؤمنين:.....
77	1-9-موضوعات الرد القرآني:.....
77	1-9-1-الرد القرآني على الخطابات ضد الله:.....
78	1-9-2-الرد القرآني على الخطابات ضد النبي ﷺ:.....

78	1-9-3- الرد القرآني على الخطابات ضد القرآن الكريم:.....
79	1-9-4- الرد القرآني على الخطابات ضد الآخرة:.....
79	1-9-5- الرد القرآني على الخطابات ضد المؤمنين:.....
79	1-10- طبيعة المشركين:.....
80	1-10-1- الخطابات التمهيدية و استراتيجيات بناء هوية المشركين:.....
81	1-10-2- خطابات المشركين و استراتيجيات بناء هويتهم:.....
82	1-10-3- خطابات الرد القرآني و استراتيجيات بناء هوية المشركين:.....
84	1-11- الترجمة و الحجاج:.....
87	خلاصة
88	<u>الفصل الثاني: ترجمة الخطاب القرآني المضاد في ضوء التداولية</u>
89	تمهيد
89	2-1- تحليل الخطاب؛ من اللسانيات الوصفية إلى اللسانيات النصية:.....
94	2-2- الترجمة و تحليل الخطاب:.....
100	2-3- الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة:.....
100	2-3-1- الحجاج الفلسفي (طه عبد الرحمان):.....
102	2-3-2- الحجاج في البلاغة العربية (محمد العمري):.....
103	2-3-3- الحجاج اللغوي عند أبي بكر العزاوي:.....
105	2-4- الحجاج في الفكر الغربي الحديث:.....
105	2-4-1- الحجاج التداولي (نظرية الأفعال الكلامية):.....

110	2-4-2-الحجاج اللغوي عند ديكرو:.....
114	2-4-2-1-السلم الحجاجي:.....
116	2-4-2-2-قوانين السلم الحجاجي:.....
117	2-4-2-3-القرائن الحجاجية:.....
120	2-5-الاستلزام التخاطبي:.....
121	2-6-مبدأ التعاون:.....
123	2-7-الاستلزام العرفي:.....
124	2-8-المضمر و الترجمة:.....
127	2-9-الافتراضات المسبقة و الترجمة:.....
129	2-10-الاستلزام و الفعل الترجمي:.....
131	2-11-مبدأ التعاون و الترجمة:.....
134	2-12-نظرية الملاءمة:.....
136	2-13-ترجمة الأفعال الكلامية:.....
136	2-13-1-ترجمة القوى الإنجازية للأفعال الكلامية:.....
138	2-14-الإشارات و الترجمة:.....
140	خلاصة
141	<u>الفصل الثالث: الخطاب القرآني المضاد في ضوء جمالية التلقي</u>
142	تمهيد
143	3-1-الخطاب القرآني و التلقي:.....

144	3-1-1-1-جبريل -عليه السلام - متلقيا و مبلغا للقرآن الكريم:.....
146	3-1-2- ظاهرة الوحي كعملية تواصلية:.....
149	3-1-3- الرسول ﷺ متلقيا و مبلغا للقرآن الكريم:.....
152	3-1-4- المتلقي الفعلي للخطاب القرآني:.....
153	3-1-5- المتلقي المستهدف للخطاب القرآني:.....
155	3-1-6- المتلقي المستجيب للخطاب القرآني:.....
157	3-1-7- المتلقي المنكر للخطاب القرآني:.....
158	3-1-8- المتلقي المشارك في إنتاج المعنى:.....
160	3-2- الفهم و دوره في بناء المعنى:.....
162	3-3- المتلقي المفسر و المؤول:.....
163	3-3-1- المتلقي المفسر:.....
168	3-3-2- المتلقي المؤول:.....
173	4- مترجم الخطاب القرآني متلقيا:.....
176	خلاصة
177	<u>الفصل الرابع: ترجمة الخطاب القرآني المضاد في ضوء التداولية و جمالية التلقي</u> -دراسة تحليلية مقارنة-
178	تمهيد
179	4-1- التعريف بالمدونة و المترجمين:.....
179	4-1-1- ريجيس بلاشير و منهجه في ترجمة معاني القرآن الكريم:.....

180	4-1-2- زينب عبد العزيز و منهجها في ترجمة معاني القرآن الكريم:.....
183	4-2- الخطاب ضد الله و خطاب الرد القرآني عليه:.....
183	4-2-1- النموذج 1:.....
187	4-2-2- النموذج 2:.....
194	4-2-3- النموذج 3:.....
199	4-2-4- النموذج 4:.....
206	4-3- الخطاب ضد النبي ﷺ و خطاب الرد القرآني عليه:.....
206	4-3-1- النموذج 1:.....
210	4-3-2- النموذج 2:.....
213	4-3-3- النموذج 3:.....
215	4-3-4- النموذج 4:.....
219	4-4- الخطاب ضد القرآن الكريم و خطاب الرد القرآني عليه:.....
219	4-4-1- النموذج 1:.....
222	4-4-2- النموذج 2:.....
224	4-4-3- النموذج 3:.....
226	4-4-4- النموذج 4:.....
229	4-5- الخطاب ضد علم الآخرة و خطاب الرد القرآني عليه:.....
229	4-5-1- النموذج 1:.....
231	4-5-2- النموذج 2:.....

233	.....:3-5-4 النموذج3
236	.....:4-5-4 النموذج 4
238	.....:4-6-الخطاب ضد المؤمنين و خطاب الرد القرآني عليه:
238	.....:1-6-4 النموذج1
241	.....:2-6-4 النموذج2
244	.....:3-6-4 النموذج3
247	.....:4-6-4 النموذج 4
250	خلاصة
251	خاتمة
258	.....:ملخص البحث بالعربية:
260	.....:ملخص البحث بالفرنسية:
262	.....:ملخص البحث بالإنجليزية:
264	.....:الملاحق:
265	.....:الملحق رقم 01: مسرد المصطلحات عربي-فرنسي :
271	.....:قائمة المصادر و المراجع:
272	.....:المراجع باللغة العربية:
288	.....:المراجع باللغات الأجنبية:
293	.....:فهرس الموضوعات:

